بسم الله الرحمن الرحيم

مدرسة الحديث في الأندلس

الدكتور مصطفى محمد حميداتو
أستاذ الحديث وعلومه
جامعة باتنة - الجزائر

المجلد الأول

دار ابن حزم

الطَبعَة الأولى

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م



ISBN 978–9953–81–525–1

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 ـ 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

المقـدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله...

أما بعد:

فإن أشرف ما صرف الإنسان فيه عمره وأضاء به قبله، وزيّن به وقته، دراسة القرآن الكريم وسنّة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ ﷺ ـ.

أما القرآن الكريم الذي بلّغه النبي ﷺ لأمّته كما تلقاه وسمعه، فقد تعهّد الله بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾[1]. وأمر رسوله ﷺ ببيانه، فقال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾[2].

وبعد انتقاله ﷺ إلى جوار ربّه، بذل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كل غال ونفيس لحفظ السنّة وصيانتها والذود عن حياضها، ونشرها في البلاد التي فتحوها.

وقد تفاوت الناس بعدهم في حفظ السنّة وروايتها بين مكثر ومقل،

(١) سورة الحجر، آية: ٩.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

وضابط ومخل. ومع تقدم الزمن وظهور الفرق المتحرفة، تعرضت السنَّة لفتنة عمياء، وظهر الوضع في الحديث. لكن الله سبحانه وتعالى ما كان ليذر حديث رسوله ﷺ - وهو المبيّن للقرآن الكريم - فريسة للأكاذيب والأوهام، فقيّض له من فطاحل العلماء، ما ضمن به بقاءه ونقاءه.

فانبرى للحديث جهابذة ينخلونه، تمحيصاً لمتونه، ونقداً لرجاله، حتى وصلتنا السنَّة صافية نقية.

وكانت لمحدثي الأندلس جهود متميزة في خدمة السنَّة المطهرة، رواية ودراية.

وقد كانت فترة دراستي بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، من أزكى سنوات عمري وأوفرها تحصيلاً للحديث وعلومه، حيث فتح لي موضوع رسالتي للماجستير - وهو بعنوان: «**منهج نقد الحديث عند الحافظ ابن عبدالبر من خلال كتابه التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**» - الوقوف على كمٍّ هائل من المؤلفات الأندلسية في هذا الفنّ، فاكتشفت جذور مدرسة لم أكن أعرف عنها الكثير، ولم تنل حقها من البحث والتحقيق، مدرسة غرس بذورها الأولى صفوة ممن اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ. فكانوا بحق خير من أدّاها، وقيّض الله لها بعد ذلك جيلاً من التابعين، كانوا خير خلف لخير سلف.

ثم انبرى لحمل المشعل بعدهم جيل طيب الأعراف يكمل اللاحق فيه ما بدأه السابق في سلسلة لم يعكر صفوها وتماسك تظمها إلا حين أسدل الستار عن الوجود الإسلامي في تلك الديار.

فحملت لنا تلك الحقبة خيرة المحدثين أمثال بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وابن عبدالبر وابن حزم الظاهري وغيرهم، ممن كانت لهم جهود متميزة في خدمة السنَّة النبويّة المطهرة.

وقد كُتبت بحوث كثيرة حول محدثي الأندلس، إلا أنها متفرقة، ولا تعطي صورة شاملة ومتكاملة لمدرسة الحديث بالأندلس، ناهيك عن العدد

الكبير من المخطوطات الأندلسية في الحديث وعلومه، التي لم تر النور، ولم تطالها يد التحقيق.

هذه الأسباب وغيرها قوّت عزمي على اختيار «مدرسة الحديث في الأندلس» عنواناً لأطروحتي في الدكتوراه، والتي سأتناولها وفق المنهج الآتي:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة أبواب وخاتمة.

تشتمل المقدمة التي نحن بصددها على بيان أهمية الموضوع ودواعي اختياري له، إضافة إلى بيان منهجي في البحث.

- **التمهيد**: في فتح الأندلس، والحياة الدينية والبيئة الاجتماعية والأدوار السياسية التي مرت بها، إضافة إلى بيان النهضة العلمية التي ازدهرت فيها وأهم مراكزها.

- **الباب الأول**: في الحديث عن بداية تعليم الحديث النبوي الشريف في الأندلس والأسباب التي ساعدت على ذلك، وهو في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وهو بمثابة مدخل لا بدَّ منه للبحث في بيان السنَّة وأهميتها ومكانتها في التشريع والأطوار التي مرت بها، موضحاً آراء علماء الأندلس في ذلك.

الفصل الثاني: في الصحابة والتابعين الذين دخلوا الأندلس من حيث تراجمهم ومروياتهم ومبلغهم من العلم والرواية عنهم ومبلغها من الصحة.

الفصل الثالث: في العوامل التي ساعدت على انتقال علم الحديث إلى الأندلس خاصة الرحلة في طلب العلم، والمذاهب الفقهية إضافة إلى الرحلة إلى الحج.

- **الباب الثاني**: في التعريف بالمؤسّسين الأوائل لمدرسة الحديث بالأندلس، والكتب الحديثية الأولى التي دخلتها، إضافة إلى عناية الأندلسيين بالكتب ونسخها وتكوين المكتبات، وذلك ضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في التعريف بمؤسسي مدرسة الحديث بالأندلس خاصة بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح ويحيى بن يحيى الليثي. وإظهار جهودهم الحديثية وأسانيدهم ومبلغهم من العلم.

الفصل الثاني: في الكتب الحديثية التي دخلت الأندلس كالموطأ والصحيحين والسنن والمسانيد، وإظهار الأسانيد التي وصلت بها إلى تلك الديار.

الفصل الثالث: في بيان عناية الأندلسيين بالكتب ونسخها وتكوين المكتبات باعتبار ذلك من العناصر المهمة في ازدهار مدرسة الحديث بالأندلس.

ـ الباب الثالث: في جهود محدثي الأندلس في مجال الرواية وهو في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حول جهودهم في التصنيف على المسانيد والمصنفات، ودراسة منهج بقي بن مخلد في مسنده وأقوال العلماء فيه، إضافة إلى مقارنة عددية بينه وبين كل من مسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند أبي يعلى الموصلي.

الفصل الثاني: في جهودهم في التصنيف على المجاميع والزوائد والمستخرجات، والتعريف ببعض المطبوع منها والتنبيه على المفقود مع الإشارة إلى أماكن وجود المخطوط منها.

الفصل الثالث: في جهود محدثي الأندلس في التصنيف على الأجزاء، ودراسة مناهج كل من:

ـ محمد بن وضاح القرطبي في كتابه البدع والنهي عنها.

ـ ابن عبدالبر في كتابه جامع بيان العلم وفضله.

ـ إبراهيم بن موسى الشاطبي في كتابه الاعتصام.

ـ الباب الرابع: في دراسة جهود محدثي الأندلس في شرح كتب السنَّة، وذلك ضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في جهودهم في شرح موطأ الإمام مالك ـ رحمه الله ـ. ونظراً لكثرة المؤلفات الأندلسية في هذا الموضوع اقتصرت على دراسة مناهج كل من:

ـ ابن عبدالبر في كتابيه التمهيد والاستذكار.

ـ أبي الوليد الباجي في كتابه المنتقى.

ـ ابن العربي في كتابه القبس.

مع ذكر ما أمكنني حصره من المؤلفات الأندلسية في هذا المجال والتنبيه على المطبوع والمفقود، مع الإشارة إلى مكان وجود المخطوط منها.

الفصل الثاني: في الشروح الأندلسية للصحيحين.

أ ـ ذكر أهم الشروح الأندلسية لصحيح البخاري مع التنبيه على المطبوع والمفقود وأرشدت إلى أماكن المخطوط منها ثم دراسة ثلاثة نماذج من ذلك وهي:

ـ شرح المهلب ابن أبي صفرة لصحيح البخاري.

ـ شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف بن بطال.

ـ كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض.

ب ـ والشيء نفسه بالنسبة للشروح الأندلسية لصحيح مسلم من حيث التنبيه على المطبوع والمفقود والإرشاد إلى أماكن وجود المخطوط منها.

ثم دراسة مناهج ثلاثة نماذج من ذلك هي:

ـ كتاب إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم للقاضي عياض.

ـ تلخيص صحيح مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي.

ـ كتاب المفهم في شرح ما أشكل من تلخيص كتاب الإمام مسلم للقرطبي أيضاً.

ثم مقارنة بين كتاب المفهم للقرطبي وشرح النووي في صحيح مسلم.

الفصل الثالث: في الشروح الأندلسية لكتب السنّة الأخرى:

ـ دراسة منهج ابن العربي المالكي في كتابه عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي.

ـ **الباب الخامس**: في دراسة المصنفات الأندلسية في الرجال وعلوم الحديث وذلك ضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: دراسة المصنفات الأندلسية في الصحابة:

أ ـ المؤلفات في المغازي والسير والشمائل، ودراسة مناهج نماذج من المطبوع منها:

ـ منهج ابن حزم في كتابه جوامع السير.

ـ منهج ابن عبدالبر في كتابه الدرر في اختصار المغازي والسير.

ـ منهج القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ.

ب ـ في المصنّفات الأندلسية في الصحابة، ودراسة نماذج منها وهي:

ـ منهج ابن عبدالبر في كتابه الاستيعاب.

ـ منهج ابن الأمين (إبراهيم بن يحيى) في استدراكه على الاستيعاب.

الفصل الثاني: في دراسة المصنفات الأندلسية في رجال كتب مخصوصة وبلدان معينة وفي المشيخات وذلك ضمن مباحث عديدة:

أ ـ ذكر المصنفات الأندلسية في رجال الموطأ والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي مع دراسة منهج أبي علي الغساني في كتابه تقييد المهمل.

ب ـ ذكر المصنفات الأندلسية حول رجال الأندلس خاصة ودراسة مناهج ثمانية كتب مطبوعة في هذا الفنّ.

جـ ـ ذكر كتب المشيخات والفهارس أو البرامج، ودراسة مناهج النماذج التالية:

ـ فهرسة ابن خير الإشبيلي.

ـ برنامج ابن جابر الوادي آشي.

د ـ ذكر المصنفات الأندلسية في الأنساب والرجال عموماً.

ودراسة منهج ابن حزم في كتابه «جمهرة أنساب العرب».

الفصل الثالث: خصصته لدراسة المؤلفات الأندلسية في علوم الحديث والجرح والتعديل.

أ ـ تعريف بالمؤلفات الأندلسية في علوم الحديث ودراسة منهج القاضي عياض في كتابه «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع».

ب ـ ذكر المؤلفات الأندلسية في الجرح والتعديل، ودراسة منهج أبي الوليد الباجي في كتابه التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح.

ـ **الباب السادس**: وهو أكبر أبواب البحث على الإطلاق، محّضته لدراسة منهج نقد الحديث عند محدثيْ الأندلس وذلك ضمن ثلاثة فصول مهدت لها بتعريف علم نقد الحديث والأدوار التي مرّ بها وأشهر النقاد الأندلسيين، والمصنّفات في هذا الفن.

الفصل الأول: في منهج نقد الحديث سنداً وهو في عدة مباحث:

أ ـ في حدّ الحديث الصحيح والحسن عند محدثي الأندلس.

ب ـ في نقد الحديث باعتبار الاتصال والانقطاع وإبراز مواقف محدثي الأندلس من الحديث المعنعن والمؤنّن ومعنى التدليس، ثم مواقفهم من

الحديث المنقطع والمتصل والمسند، ومناهجهم في التعامل مع الأحاديث المرسلة.

جـ ـ في طرق تحمّل الحديث عند محدثي الأندلس.

الفصل الثاني: في منهج نقد الحديث متناً عند محدثي الأندلس وهو ضمن أربعة مباحث:

أ ـ في اختلاف رواية الحديث وبيان مواقفهم من الحديث الشاذ والمنكر والمضطرب والمقلوب والإدراج والتصحيف إضافة إلى الحديث المعلل والموضوع.

ب ـ في شرح غريب الحديث عند الأندلسيين.

جـ ـ منهجهم في الكشف عن الناسخ المنسوخ من الحديث.

د ـ مناهجهم في التعامل مع مختلف الحديث أو مشكل الحديث.

الفصل الثالث: في اتجاهات الجرح والتعديل عند محدثي الأندلس، وهو في خمسة مباحث:

أ ـ مواقفهم من عدالة الصحابة وطبقاتهم وأوجه الاتفاق والاختلاف في ذلك.

ب ـ مواقفهم من عدالة الرواة، ومعنى العدالة عند الباجي وابن حزم ـ ثم مناقشة منهج ابن عبدالبر في تعديل الرواة.

جـ ـ في الجهالة بالراوي ومذاهب محدثي الأندلس في تحديد الجهالة وأنواعها وبما ترفع.

د ـ في مناقشة مواقف محدثي الأندلس من ضبط الرواة وحفظهم، وإبراز طبقات الرواة بالنسبة للضبط والحفظ عند كل من ابن حزم وابن عبدالبر.

هـ ـ وهو أكبر مباحث هذا الفصل، وخصصته لمراتب الجرح والتعديل عند محدثي الأندلس، وذكر المتكلمين في الرجال منهم، وتمييز

المقلّين عن المكثرين مع عرض نماذج من أقوالهم في ذلك.

وبيان جواز الجرح وأوجه تجريح الرواة، وكلام العلماء بعضهم في بعض، ومواقفهم عند تعارض الجرح والتعديل، ثم بيان مراتب الجرح والتعديل عند كل من ابن حزم وابن عبدالبر.

الخاتمة: وقد ضمّنتها بعض الملاحظات وجملة من النتائج التي استخلصتها من البحث.

وإني لأرجو الله الكريم أن أكون قد وفقت لتغطية جوانب هذا الموضوع المترامي الأطراف، وإظهار عظمة ما قام به علماء الأندلس في سبيل خدمة وصيانة السنّة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

هذا وقد قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها إلا ما لم أجده، وعرّفت بالأعلام المذكورين في البحث تعريفاً موجزاً. كما ضمنت البحث جملة فهارس هي بمثابة الدليل عليه، واتبعت في ترتيبها الألف باء المغربية الأندلسية[1]، إلا فيما يتعلق بالأعلام فإني افتتحت حرف الألف بمن اسمه أحمد، وحرف الميم بمن اسمه محمداً، تيمناً باسم الرسول الأعظم ﷺ.

وأخيراً أبرأ من حولي وقوتي إلى حول الله وقوته، فما كان في هذه الرسالة من صواب فمن الله وتوفيقه، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، ورحم الله امرءاً أهدى لي عيوبي وبيّن لي أخطائي.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أتوجه بخالص شكري وعظيم امتناني لأستاذي الجليل الدكتور خالد علوي المشرف على هذه الرسالة، لما قدّمه لي من نصح وتوجيه وإرشاد، فشكر الله له وجازاه عنّي وعن خدماته الجليلة لسنّة رسول الله ﷺ خير المثوبة وجميل الجزاء.

كما أشكر فضيلة الأستاذة الدكتورة جميلة شوكت عميدة كلية

(١) انظر ص: ٢٥٩، هامش ١.

الدراسات الشرقية بجامعة البنجاب على ما لقيته منها من مساعدة أثناء كتابتي للبحث.

كما أتوجه بالشكر أيضاً إلى قسم الدراسات الإسلامية بجامعة البنجاب والقائمين عليه على ما لقيته منهم من تعاون وتسهيل لمهمتي.

وأخيراً أسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعل جهدي هذا خالصاً لوجهه الكريم إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مصطفى محمد حميداتو



الباب الأول

بداية تعليم الحديث النبوي الشريف بالأندلس

التمهيد: فتح الأندلس، الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والنهضة العلمية التي مرّت بها الأندلس.

الفصل الأول: السنّة ومكانتها في التشريع، والأطوار التي مرّت بها.

الفصل الثاني: الصحابة والتابعون الذين دخلوا الأندلس.

الفصل الثالث: العوامل التي ساعدت على انتقال علم الحديث النبوي الشريف إلى الأندلس.

التمهيد

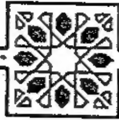
١ ـ فتح الأندلس.

٢ ـ الحياة السياسية في الأندلس والأدوار التي مرّت بها.

٣ ـ البيئة الاجتماعية والتركيبة العرقية في الأندلس.

٤ ـ الحياة الدينية في الأندلس.

٥ ـ النهضة العلمية في الأندلس وأهم مراكزها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التمهيد

١ ـ فتح الأندلس:

ترجع تسمية الأندلس إلى قبائل الوندال التي حكمت إسبانيا في القرن الخامس الميلادي، فسمّيت البلاد منذ ذلك الزمن باسم «فاندلوسيا» أي: بلاد الفندال، وأطلق عليها العرب فيما بعد بلاد الأندلس[١]. لما ولي عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أمر عبدالله بن نافع بن الحصين، وعبدالله بن نافع بن عبد القيس[٢] أن يسيرا إلى الأندلس، وكتب عثمان إلى من انتدب معهما:

«... أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن فتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام». فخرجوا ومعهم البربر فأتوها من برّها وبحرها، ففتح الله على المسلمين. وزاد في سلطان

(١) نفح الطيب للمقري التلمساني ١/٢٢٨. (دار صادر بيروت ـ لبنان).

(٢) عبدالله بن نافع بن عبد القيس أمّرَهُ عثمان بن عفان بأن يسير مع رفيقه عبدالله بن نافع بن الحصين إلى الأندلس. وكان على إفريقيا حينئذ عبدالله بن سعد بن سرح، ولما عزل عثمان عبدالله بن سعد عن إفريقيا، ترك في عمله عبدالله بن نافع بن عبد القيس فكان عليها. ولم تشر كتب التاريخ إلى مصير رفيقه ابن الحصين (الكامل في التاريخ لابن الأثير ص: ١/٧٢).

المسلمين مثل إفريقيا[1]. وكان ذلك في سنة ٢٧ للهجرة. إلا أن الفتح الحقيقي للأندلس وانضمامها إلى الدولة الإسلامية كان على يد طارق بن زياد البربري[2]، وموسى بن نصير اللخمي[3] في زمن الوليد بن عبدالملك بن مروان[4].

٢ ـ الأدوار السياسية التي مرّت بها الأندلس:

بعد الفتح المبارك الذي منّ به الله على المسلمين، دخلت الأندلس تحت ظل الحكم الإسلامي الذي استمر طيلة ثمانية قرون، مرت خلاله بمراحل سياسية مختلفة نوجزها فيما يلي:

أ ـ عهد الولاة (٩٢ ـ ١٣٨هـ):

تبدأ هذه الفترة من الفتح الإسلامي للأندلس على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير، وتنتهي بدخول عبدالرحمٰن بن معاوية بن هشام بن

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٧٢/١ (أحوال سنة ٢٧هـ) مطبعة محمد أفندي. و(ص: ٤٧/٣ دار الفكر ١٩٧٨).

(٢) هو طارق بن زياد بن عبدالله بن رَفْهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن نطّوفت بن نفزاو ولد سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، وتوفي سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م، أسلم على يد موسى بن نصير. كان والياً على طنجة بالمغرب الأقصى. (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي ٥/٢ تحقيق أ. ليفي برفنسال ـ طبعة ليدن ١٩٥١). ـ (تاريخ الأندلس المسمى: المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبدالواحد المراكشي طبعة السعادة ـ مصر).

(٣) هو موسى بن نصير اللخمي يكنى: أبا عبدالرحمٰن، ولد سنة ١٩هـ في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه، كان أبوه نصير على حرس معاوية ـ رضي الله عنه. روى عن تميم الداري، وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي، توفي رحمه الله سنة ٩٧هـ بوادي القرى (تاريخ ابن الفرضي ص: ١٤٦ رقم: ٤٥٦). (الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦).

(٤) الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ثم الدمشقي ولي الخلافة سنة ٨٦هـ بعد وفاة والده، مات سنة ٩٥هـ (أخبار مجموعة ص: ١٩ مكتبة المثنى - بغداد).

عبدالملك بن مروان، الملقب بالداخل، إلى الأندلس. فبعد اغتيال عبدالعزيز بن موسى بن نصير[1] سنة (٩٧هـ)، الذي كان عيّنه والده على إشبيليا، شهدت المنطقة عهداً جديداً هو عهد الولاة الذي دام أكثر من أربعين عاماً، تعاقب على الحكم خلاله ما يربو على العشرين رجلاً كان آخرهم يوسف بن عبدالرحمٰن بن أبي عبده بن عقبة بن نافع الفهري وتميّزت هذه الفترة بعدم الاستقرار السياسي.

ب ـ عهد الإمارة الأموية:

بدأ هذا العهد بدخول عبدالرحمٰن الداخل[2] الأندلس واستيلائه على الملك واتخاذه قرطبة عاصمة للإمارة الأموية في المغرب بعد زوالها من المشرق.

وصلت الدولة الأموية في الأندلس أوجّها في عهد عبدالرحمٰن الثالث[3] (الناصر) حيث أعاد لها وحدتها الداخلية، ووطّد أركان الإدارة بها، فعاشت ذروة مجدها أيامه ثم أيام الحكم بن عبدالرحمٰن[4] الذي

(١) عبدالعزيز بن موسى بن نصير مولى لخم كان والده قد استخلفه على الأندلس عند خروجه منها سنة ٩٥هـ فأقام واليها إلى أن قتله الجند سنة ٩٧ وقيل: سنة ٩٩هـ (بغية الملتمس ص: ٣٧٣ رقم: ١٠٩٨). مطبعة روخس مجريط ١٨٨٤.

(٢) هو عبدالرحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم ـ دخل الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة (١٣٨هـ) واستولى على الملك ودخل القصر واتخذ قرطبة عاصمة له. توفي ـ رحمه الله ـ في سنة اثنتين وسبعين ومائة (تاريخ ابن الفرضي ص: ٣ وبغية الملتمس ص: ١٥).

(٣) عبدالرحمٰن بن محمد بن عبدالله الناصر لدين الله، ولي الأمر سنة (٣٠٠هـ) وتوفي رحمه الله سنة خمسين وثلاثمائة، وكانت مدة ولايته نصف قرن من الزمن، ومولده فيما ذكر ابن الفرض سنة سبع وسبعين ومائتين (تاريخ ابن الفرضي ص: ١٤ بغية الملتمس ص: ١٨).

(٤) الحكم بن عبدالرحمٰن بن محمد بن عبدالله (المستنصر بالله)، ولي الأمر سنة خمسين وثلاثمائة توفي (رحمه الله) سنة ست وستين وثلاثمائة وكان مولده سنة (٣٠٢هـ) فكانت مدة خلافته خمسة عشر سنة وخمسة أشهر (نفس المصدر السابق ص: ١٨)، انظر كذلك: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص: ١٦.

كان مغرماً بالعلم مجلاً للعلماء، ناشراً للعلم بين عامة الناس وخاصتهم.

وانتهى عهد الإمارة الأموية بنهاية هشام الثالث[1]، آخر خليفة أموي، وكان ذلك سنة ٤٢٢هـ.

جـ ـ عهد العامريين:

بعد وفاة الحكم بن عبدالرحمٰن الملقب بالمستنصر بالله سنة ٣٦٦هـ، ورثه ابنه هشام المؤيد[2] وسنّه آنذاك عشرة أعوام وأشهر، فتسلّم الحاجب المنصور محمد بن عبدالله بن أبي عامر[3] مقاليد الأمور ودانت له أقطار الأندلس كلها وأمنت، ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته، ثم تقلّد الوزارة والحجابة ابنه أبو مروان عبدالملك بن أبي عامر[4]، الذي حافظ على نهج أبيه في الغزو والسياسة، ثم أتى بعده أخوه عبدالرحمٰن[5] الذي لم يستتب له الأمر إلى أن قام عليه محمد بن هشام بن عبدالجبّار بن

(١) هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمٰن الناصر ـ بُويع في سنة ٤١٨هـ ولد سنة ٣٦٤هـ خلع سنة ٤٢٢هـ توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٤٢٧هـ وهو آخر ملوك بني أمية بالأندلس، وبخلعه انقطعت الدعوة لبني أمية في جميع أقطار الأندلس (المعجب في تلخيص أخبار المغرب ـ ص: ٣٨ ـ ٣٩) وبغية الملتمس ص: ٢٣.

(٢) هشام بن الحكم يكنى: أبا الوليد ويلقب بالمؤيد كان له إذ ولي ١٠ أعوام وأشهر ـ قتل سنة ٤٠٣هـ وكان طول مدته متغلباً عليه ولا ينفذ له أمراً (بغية الملتمس ص: ١٩).

(٣) محمد بن أبي عامر ـ أبو عامر أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد ـ أصله من الجزيرة الخضراء قدم شاباً إلى قرطبة فطلب العلم والأدب وسمع الحديث وتميّز في ذلك ـ كان ذا همّة في الجهاد، مواصلا لغزو الروم ـ توفي في طريق الغزو سنة ٣٩٣هـ (بغية الملتمس ص: ١٠٥ رقم: ٢٤٢).

(٤) أبو مروان عبدالملك بن محمد بن أبي عامر الملقب بالمظفّر أمير الأندلس بعد أبيه توفي في صفر سنة ٣٩٩هـ (بغية الملتمس ص: ٣٦١ رقم: ١٠٥٣).

(٥) عبدالرحمٰن بن محمد بن أبي عامر الملقب بالناصر الأمير بعد أخيه عبدالملك. توفي مقتولاً في رجب سنة ٣٩٩هـ (بغية الملتمس ص: ٣٤٣ رقم: ٩٧٨).

عبدالرحمٰن الناصر سنة ٣٩٩هـ، وخلع هشام المؤيد. وبعد مقتل هشام المؤيد سنة ٤٠٣هـ، تعاقب خلفاء ضعاف على كرسي الحكم. انتهى عصرهم بخلع هشام الثالث (المعتد بالله) سنة ٤٢٢هـ، الأمر الذي أدى إلى اشتعال الثورات في عدة أماكن من أقطار الأندلس، التي فقدت وحدتها السياسية، واستقلت كل ولاية بحكمها.

د ـ عهد ملوك الطوائف:

بعد انهيار الخلافة الأموية، استقلّ كل أمير بما تحت سلطانه من المناطق، وظهرت في كل مدينة دويلة وتقاسموا ألقاب الخلافة فمنهم من تسمّى بالمعتضد، وبعضهم تسمى بالمأمون، وآخرين تسموا بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتد إلى غير ذلك من الألقاب، التي قال فيها أبو علي الحسن بن رشيق:

ممّا يزهدني في أرض أندلس	سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها	كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد[1]

ومن الدويلات الكثيرة التي ظهرت في الأندلس خلال تلك الفترة نذكر الآتي:

١ ـ دولة بني هُود في طرطوش وسرقسطة ولاردة.

٢ ـ الدولة العامرية في بلنسية.

٣ ـ دولة بني جهور في قرطبة.

٤ ـ دولة بني عبّاد في إشبيليا.

٥ ـ دولة بني برزال في غرناطة ومالقة.

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص: ٤٧.

٦ ـ دولة بني ذي النون في طليطلة.

٧ ـ دولة بني الأفطس في بطليوس[١].

هـ ـ عهد المرابطين:

في عام ٤٧٧هـ استولى الأسبان على طليطلة وشرعوا في محاصرة إشبيليا، فاستنجد أميرها المعتمد بن عباد بيوسف بن تاشفين[٢] أمير دولة لمرابطين، الذي جذبت شهرته وقوة جنده ودولته، أهل الأندلس للاستنجاد به ضدّ الإفرنجة، وكانت معركة الزلاقة سنة ٤٨٠هـ[٣]، التي انتصر فيها جيش المرابطين على الإسبان، منعطفاً حاسماً في إنهاء دول الطوائف وإلحاق الأندلس بدولة المرابطين في المغرب.

و ـ عهد الموحدين:

بعد وفاة يوسف بن تاشفين تدهورت دولة المرابطين في الأندلس وطمع فيها ملوك النصارى الذين تحالفوا للقضاء عليها. في هذه الآونة برزت قوة دولة الموحّدين الفتية التي سارعت لصدهم، وتوسيع رقعتها وبسطت نفوذها على الأندلس، وحكمتها من (٥٥٨ ـ ٦٢٩هـ)[٤]، انتهت بتغلب ملوك النصارى على معظم أرض الأندلس.

---

(١) نفس المصدر ص: ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أبو يعقوب أمير المسلمين ولد بصحراء المغرب سنة ٤١٠هـ ـ شمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط وجزيرة الأندلس ـ توفي بمراكش سنة ٥٠٠هـ (الأعلام ٢٢٢/٨ ـ والبيان المغرب ٢٠/٤ ـ ٢٤، ٢٤٣/٣).

(٣) المعجب ص: ٨٤.

(٤) تاريخ العرب والإسلام ص:٤٩٢ دار الفكر ١٩٨٢. الوثائق السياسية والإدارية في لأندلس لمحمد ماهر حمادة ص: ٤٣٩ ـ ٤٤٥ مؤسسة الرسالة ط٢ ـ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

ز ـ دولة بني الأحمر في غرناطة:

بعد نهاية حكم الموحّدين في الأندلس، استطاع محمد بن هود[١] أن يحافظ على بعض المناطق الأندلسية ويبسط سلطاته عليها مثل قرطبة واشبيليا، لكنه لم يستطع الصمود أمام هجمات النصارى المتتالية. وبعد سقوط قرطبة صمدت قبيلة عربية من بني نصر أو بني الأحمر[٢]، متخذة من غرناطة عاصمة لملكها الذي دام قرنين ونصفا من الزمن.

إن سقوط قرطبة ومرسية وإشبيليا حدا بالمسلمين إلى تأليف جبهة قوية لمقاومة النصارى، فكانت غرناطة ملتقاهم وحصنهم المنيع للدفاع عن الوجود الإسلامي في الأندلس، الذي انتهى بهجوم الملكين الكاثوليكيين (فرديناند وإيزابيلا) على غرناطة وسقوطها عام ٨٩٨هـ/١٤٩٢م. فأسدل الستار على الحكم الإسلامي للأندلس الذي دام حوالي ثمانية قرون.

٣ ـ البيئة الاجتماعية في الأندلس:

تنوّعت وتعدّدت العناصر البشرية التي ضمتها بلاد الأندلس، بحكم اختلاف الأصول التي انحدرت منها. فإضافة إلى العرب والبربر، ضمّت شبه الجزيرة الإيبيرية كل من المسالمة والمولدين والصقالبة وأهل الذمة.

أ ـ العرب:

تذكر كتب التاريخ أن معظم جيش موسى بن نصير كان من العرب[٣]،

---

(١) أبو عبدالله محمد بن يوسف بن هود الجذامي، من سرقسطة، بدأ حركته من مرسية سنة ٤٢٥هـ فأطاعته أغلب المدن، ولم يعش ابن هود بعد سقوط قرطبة طويلاً، توفي في ثغر المرية سنة ٦٣٥هـ (الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ص: ١٢٨/٢ ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٣٧٥هـ).

(٢) قامت دولة بني الأحمر في غرناطة بزعامة محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد، من مدينة أرغونة ولد سنة ٥٩٥هـ وتوفي سنة ٦٧١هـ، وخلفه ابنه محمد، وكان آخر ملوك غرناطة أبو عبدالله محمد الريشيكو (انظر انبعاث الإسلام في الأندلس- علي منتصر الكتاني ـ ص:٦٥ وما بعدها ـ طبعة مجمع البحوث الإسلامية ـ إسلام آباد ١٩٩٢).

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب المراكشي ص: ٨.

وأنهم ساهموا في تأليف تسيج المجتمع الجديد بالأندلس. ولما استقرت قدم الإسلام في شبه الجزيرة الإيبيرية وتوسع فتحها، تعاقبت عليها أفواج العرب من الشام وغيرها.

وقد مزجت السنون دماء الفاتحين العرب بالأسبان عن طريق المصاهرة، فتولدت أجيال ساهمت في ازدهار الحضارة الإسلامية في تلك الربوع. تميّزت أيام العرب الأولى في الأندلس بسلسة من النزاعات القبلية التي لم تهدأ إلا عند ظهور الإمارة الأموية. ورغم أن نفوذ القبائل العربية كان متميّزاً إلا أنها كانت تمثل أقلية في المجتمع الأندلسي.

ب ـ البربر[1]:

كان البربر أسبق العناصر البشرية دخولاً إلى الأندلس حيث تذكر كتب التاريخ أن جيش طارق بن زياد كان جلّه منهم، كما كانت هجرة القبائل البربرية إلى شبه الجزيرة الإيبيرية أوسع وأشد كثافة من هجرة العرب[2].

وقد شارك البربر في الحياة السياسية بالأندلس مشاركة متميّزة وتقلد زعماؤهم مناصب حسّاسة في الدولة.

جـ ـ المسالمة:

وهم الذين دخلوا الإسلام من الأسبان وآثروا التمتّع بالعدل والحرية في ظل الحكم الإسلامي، ويمثل هؤلاء أكثرية المسلمين في الأندلس.

---

(١) البربر شعوب متعددة القبائل تنتهي في رأي النسّابة إلى جذمين عظيمين (البرانس ـ والبتر) اللذين ينتهيان إلى مازيغ بن كنعان من نسل سام بن نوح عليه السلام، ويذكر ابن خلدون أنهم من بني برّ ابن قيس بن عيلان (جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص: ٤٩٥) ـ (تاريخ ابن خلدون ١٧٦/٦ ـ مؤسسة جمال ـ بيروت ـ ١٩٧٩).

(٢) انظر دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبدالله عنان ص: ٢٠٥ طبعة ١ القاهرة ١٩٦٩.

د ـ المولدون:

الذين ولدوا من آباء مسلمين ونشئوا على الإسلام وامتزجت دماؤهم بدماء زملائهم العرب والبربر عن طريق المصاهرة، فتكوّنت منهم جماهير الأندلسيين. ولعل محدّث الأندلس وحافظها بقي بن محمد يرجع أصله إلى مسالمة الأندلس[1]: والمحدّث الفقيه أبو محمد الأصيلي (عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن جعفر) المتوفى سنة ٣٩٢هـ، أصله من شذونة وكان جده من مسالمة أهل الذمة[2].

هـ ـ الصقالبة:

الذين كان يؤتى بهم من مختلف البلاد الأوروبية صغار فتتعهّد الدولة برعايتهم وتنشئتهم نشأة إسلامية. فلفظة صقالبة «كان يطلقها العرب على الأرقاء الذين كانوا يشترونهم من أوروبا ... وكانوا يخدمون في الشرطة أو في الجند أو في قصر الخلافة»، وقد علا شأنهم في المجتمع الأندلسي وتقلدوا المناصب القيادية في الدولة[3].

و ـ أهل الذمّة:

منهم نصارى الأسبان الذين عاشروا العرب وتعرّبوا وعاشوا في ظل الإسلام الذي كفل لهم حرية العقيدة. ويعرف هؤلاء بالمستعربين (LES MOZARABES)، وقد كفلت لهم الدولة الإسلامية جميع حقوقهم، فكانت لهم كنائس يؤدون فيها شعائر دينهم. ومنهم اليهود الذين اندمجوا في المجتمع الأندلسي، وساهموا في الحياة العامة مع النصارى والمسلمين، وكانت منهم أقليات في أغلب المدن المفتوحة[4].

---

(١) تاريخ الأدب العربي ـ كارل بروكلمان ـ ٢٠١/٣ ـ دار المعارف ط٢ القاهرة ١٩٦٩ ونفح الطيب للمقري التلمساني ٤٧/٢، ٥١٨/٢، ١٦٨/٣.

(٢) بغية الملتمس ص: ٣٢٧ رقم: ٩٠٦ وتاريخ ابن الفرضي ص: ٢٤٩ رقم: ٧٦٠.

(٣) الحلل السندسية للأمير شكيب أرسلان ج ١ ص: ٤٦ طبعة ١٩٣٦.

(٤) نفح الطيب ٢٠٢/١.

وملخص القول أن المجتمع الأندلسي ضمّ مزيجاً من العناصر البشرية المختلفة، ساهمت جميعها في تكوين البيئة الثقافية والنهضة العلمية التي عرفتها بلاد الأندلس طيلة القرون الثمانية للحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.

٤ ـ الحياة الدينية في الأندلس:

بدأت المذاهب الفقهية تعرف طريقها إلى الأندلس في منتصف القرن الثاني الهجري، ويذكر صاحب نفح الطيب «أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي[١] وأهل الشام منذ أول الفتح، ففي دولة الحكم بن هشام بن عبدالرحمٰن الداخل ـ وهو ثالث الولاة بالأندلس من الأمويين ـ انتقلت الفتوى إلى رأي الإمام مالك بن أنس»[٢].

وكان صعصعة بن سلام[٣] الشامي أول من أدخل الأندلس مذهب الأوزاعي[٤]. وفي أواسط القرن الثاني رحل كثير من طلبة العلم الأندلسيين إلى المشرق وخاصة إلى الحجاز للتفقّه على إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ وكان الغازي بن قيس وزياد بن عبدالرحمٰن اللخمي ويحيى بن يحيى الليثي من أوائل الأندلسيين الذين أدخلوا مذهب مالك الأندلس[٥].

ووجد في الأندلس من أخذ بالفقه الشافعي، فالأمير عبدالله بن

(١) الإمام عبدالرحمٰن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي ـ أبو عمرو ـ إمام أهل الشام في وقته نزيل بيروت روى عن عطاء وابن سيرين وخلق وعنه أبو حنيفة وقتادة وشعبة وآخرين ـ كان ثقة مأموناً فاضلاً كثير الحديث ولد سنة ٨٨هـ وتوفي سنة ١٥٧هـ (طبقات الحفاظ ص: ٨٥ رقم: ١٦٨، والتقريب ص: ٣٤٧ رقم: ٣٩٦٧).

(٢) نفح الطيب ٢٣٠/٣.

(٣) هو صعصعة بن سلام الشامي يكنى: أبا عبدالله يروي عن الأوزاعي وسعيد بن عبدالعزيز ونظرائهما من الشاميين ـ توفي بالأندلس سنة ١٩٢هـ (تاريخ ابن الفرضي ٢٠٣/١ رقم: ٦١٠) (وبغية الملتمس ص: ٣١١ رقم: ٨٥٣).

(٤) جذوة المقتبس للحميدي ص: ٢٤٤ (الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦).

(٥) قال المقري في النفح ٤٥/٢ «زياد بن عبدالرحمٰن اللخمي المعروف بشبطون، أول من أدخل مذهب مالك الأندلس».

عبدالرحمٰن الناصر كان فقيهاً شافعياً[١].

وممن كان يميل إلى مذهب الإمام الشافعي من الأندلسيين:

القاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيّار مولى هشام بن عبدالملك[٢] يقال له: البياني، أبو محمد الأندلسي القرطبي الذي أخذ الفقه عن أبي إبراهيم المزني. توفي سنة ٢٧٨هـ[٣].

والإمام أحمد بن فرج بن أحمد اللخمي الإشبيلي المتوفى سنة ٦٩٩هـ[٤].

وأما المذهب الظاهري فكان يمثّله الإمام ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد) القرطبي[٥] وتلميذه الحميدي (أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح) السيورقي المتوفى سنة ٤٨٨هـ، وغيرهما ممن تأثر بالمدرسة الظاهرية. إلا أن المذهب المالكي كان أكثر رسوخاً وانتشاراً من غيره. نقل صاحب البغية[٦] عن ابن حزم قوله: «مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان. مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف كانت القضاة من قبله، فكان لا يولي قضاء البلاد من أقصى الشرق إلى أقصى أعمال إفريقيا

(١) بغية الملتمس ص: ٣٣٣ وجامع بيان العلم وفضله ص: ١٦٠/٢. (دار الكتب العلمية بيروت). والأمير عبدالله قتله والده لمنافسته أخاه الحكم ولي عهده سنة ٣٣٨هـ (الحلة السيراء لابن الأبار ٢٠٨/١ ط١ القاهرة ١٩٦٣).

(٢) قال ابن الفرضي: مولى الوليد بن عبدالملك انظر (تاريخ ابن الفرضي ص: ٣٦٨/١ رقم: ١٠٧٣).

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ٣٤٤/٢ رقم: ٧٣ ط١ ـ القاهرة ١٩٦٤. وبغية الملتمس ص: ٤٣١ رقم: ١٢٩٣.

(٤) طبقات الحفاظ للسيوطي ص: ٥١٨ رقم: ١١٣٦ (دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

(٥) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب ولد سنة ٣٨٤هـ وتوفي سنة ٤٥٦هـ، انظر (ترجمته في بغية الملتمس ص: ٤٠٣ رقم: ١٢٠٤ ـ طبعة مجريط ١٨٨٤م).

(٦) بغية الملتمس ص: ٤٩٧.

إلا أصحابه والمنتمين إلى مذهبه. ومذهب مالك بالأندلس، فإن يحيى (بن يحيى) كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاء، فكان لا يلي قاض في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه»[١].

٥ ـ النهضة العلمية في الأندلس وأهم مراكزها:

كان الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس تحريراً لشعوبها من الاستعباد، وإنقاذاً لها من التخلف وإيذاناً بطلوع فجر جديد أضاء تلك الأرجاء الفسيحة علماً وعدلاً. أنشأ المسلمون بها دولة قويّة، عظيمة الشأن، وشيّدوا فيها حضارة راقية طالت مختلف المجالات الفكرية والثقافية والعمرانية والاقتصادية والاجتماعية. أنجبت بلاد الأندلس أجيالاً من العلماء المبدعين في كل فنّ من الفنون، وبرزت مدن: قرطبة وإشبيليا وغرناطة كمراكز علمية قدّمت للحضارة الإسلامية والإنسانية إسهامات سنية لازدهار ورخاء البشرية.

ولئن كانت النهضة العلمية قد طالت جميع مدن وقرى الأندلس بدون استثناء إلا أن عواصم الأقاليم والمقاطعات كان لها النصيب الأوفر في ذلك. وفيما يلي نلقي الضوء على أهمها:

أ ـ قرطبة:

أخذت قرطبة مكانتها المرموقة كعاصمة لدولة الإسلام في الأندلس، عندما اتخذها الأمير عبدالرحمٰن بن معاوية (الداخل) حاضرة له، وبما اشتملت عليه من أسباب الحضارة والرقي، واحتضانها لأشهر العلماء والمفكرين الذين ساهموا بنتاجهم في ترعرع وازدهار الحركة العلمية بها. ثم

---

(١) أقول: وكذلك فعل أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن الذي تولى سنة ٥٨٠هـ، فقد عمم العمل بالمذهب الظاهري في بلاد المغرب والأندلس، وحرق كتب الفقه المالكي (المعجب المراكشي ص: ١٨٤ مطبعة السعادة مصر).

بلغت قرطبة أوجّ قمّتها العلمية في عهد الحكم المستنصر[١] الذي اشتهر بحبّه للعلم وتكريمه لأهله وجمعه للكتب واستقطابه للعلماء وإنشائه للمكتبة العامة بقرطبة.

هذا وقد نبغ في قرطبة علماء أفذاذ تركوا بصماتهم في مختلف العلوم والفنون:

ـ فكان أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي[٢] القرطبي من الجراحين والأطباء الكبار في عصره، وكتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» شاهد على تبحّره، توفي بالأندلس بعد الأربعمائة.

ـ وكان ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد من أعظم فلاسفة عصره.

وأما العلوم الشرعية وخاصة ما يتعلق بالحديث الشريف وعلومه فلقرطبة كانت الرحلة في الرواية، إذ هي مركز الكرماء ومعدن العلماء وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد[٣]، وفي ذلك يقول أبو محمد بن عطية المحاربي[٤]:

بأربعة فاقت الأمصار قرطبة ... منهنّ قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ... والعلم أعظم شيء وهو رابعها[٥]

---

(١) هو الحكم بن عبدالرحمٰن بن محمد بن عبدالله الملقب بالمستنصر بالله توفي سنة ٣٦٦هـ، وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وأشهر (المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص: ١٦).

(٢) بغية الملتمس ص: ٢٧١ رقم: ٧١٥.

(٣) الديباج المذهب لابن فرحون ص: ٢٨٤ (دار الكتب العلمية بيروت).

(٤) نفح الطيب ١/١٥٣.

(٥) هو القاسم بن تمام بن عطية المحاربي من أهل ألبيرة، توفي سنة ٣١٨هـ (البغية ص: ٤٣٤ رقم: ١٢٩٩) انظر تاريخ ابن الفرضي ص: ١/٣٦٢ رقم: ١٠٦٤.

ومن أعلام المحدّثين بقرطبة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس الليثي المتوفى سنة ٢٣٤هـ[١]: عاقل الأندلس وإمامها في الحديث والفقه. وروايته للموطأ من أشهر الروايات وأحسنها، وعليها اعتمد الحافظ ابن عبدالبر في كتابه التمهيد.

- بقي بن مخلد، أبو عبدالرحمٰن (المتوفى سنة ٢٧٦هـ)[٢]، شيخ المحدّثين بالأندلس وصاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي ملأ الأندلس علماً وديناً.

- أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي، حافظ المغرب من غير منازع، وصاحب التمهيد والاستذكار والاستيعاب وغيرها من التصانيف الفريدة، المتوفى سنة ٤٦٣هـ[٣].

- عبدالرحمٰن بن محمد بن عتّاب بن محسن أبو محمد (المتوفى سنة ٥٢٠هـ)[٤]، وهو من الشيوخ الجلة الأكابر بالأندلس في علو الإسناد وسعة الرواية. هذا وللحديث والمحدّثين مزيد دراسة في الفصول القادمة إن شاء الله. وقد بدأت قرطبة تفقد أهميّتها العلمية عند ظهور ملوك الطوائف وتعدّد عواصمهم، فانتقلت بذلك إلى منطقة الظل، إلى أن استولى عليها الكفار، وفي ذلك يقول صاحب النفح: «ولم تزل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الإسلامي إلى سنة أربعمائة فانحطّت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن، إلى أن كانت الطامة الكبرى عليها بأخذ الكفار لها ثالث عشري شوال سنة ستمائة وثلاث وثلاثين»[٥].

---

(١) تاريخ ابن الفرضي ص: ١٧٩/٢ رقم: ١٥٥٦ ـ وبغية الملتمس ص: ٤٩٥ رقم: ١٤٩٧.

(٢) تاريخ ابن الفرضي ٩١/١ رقم: ٢٨٣ ـ والبغية ص: ٢٢٩ رقم: ٥٨٤.

(٣) بغية الملتمس ص: ٤٧٤ رقم: ١٤٤٢.

(٤) بغية الملتمس ص: ٣٤٥ رقم: ٩٨٦.

(٥) نفح الطيب ٤٥٨/١.

ب ـ غرناطة:

يقال لها: غرناطة، ويقال: إغرناطة وكلاهما أعجمي ومعناها باللاتينية: الرّمانة. كان لها من الشهرة والعمارة ولأهلها من الثروة والعدّة، وبها من الفقهاء ما هو مشهور[١].

يرتبط اسم غرناطة بعصر بني الأحمر في الأندلس، الذين لم يألوا جهداً في سبيل نشر العلم والثقافة في ربوعها، فشجعوا العلماء والأدباء والكتّاب وعملوا على تشييد المدارس والمكتبات، وكانوا يتفانون في أن تخلف غرناطة قرطبة في إحياء دورس العلوم والمعارف.

إن المناخ العلمي والثقافي المتميّز الذي أوجده أمراء غرناطة شجّع على ظهور نخبة من العلماء والفقهاء نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- أحمد بن محمد الكرني، شيخ الأطباء بغرناطة، الذي يعد من أشهر أطباء القرن السابع الهجري[٢].

- أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري أبو جعفر (المتوفى سنة ٥٤٠هـ)، العلامة المتبحر في القراءات وعلوم القرآن، صاحب كتاب الإقناع في القراءات[٣].

وأما في الحديث وعلومه فإن غرناطة تعتبر أحد أركان مدرسة الحديث بالأندلس، ومرتع المحدّثين بما احتضنت وأنجبت من أئمة في هذا الفنّ نذكر منهم:

- أحمد بن محمد بن أبي خليل مفرج الأموي (أبو العباس) المتوفى سنة ٦٣٧هـ، المعروف بابن الرومية صاحب التصانيف الشهيرة مثل «رجّالة

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ـ ٩٩/١ ـ دار المعارف (القاهرة ١٣٧٥هـ).

(٢) الإحاطة ٢١٣/١.

(٣) الإحاطة ٢٠١/١ ـ ٢٠٣.

المعلم بزوائد البخاري على مسلم» و«نظم الدراري فيما تفرّد به مسلم عن البخاري» وغيرها كثير.

ـ أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم الثقفي صاحب «صلة الصلة لابن بشكوال». المتوفى سنة ٧٠٨هـ[١].

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر ذا الوزارتين الأديب المؤرّخ والسياسي المحنّك لسان الدين بن الخطيب الغرناطي السلماني، صاحب التصانيف المتميزة في شتى نواحي المعرفة، في التاريخ والأدب والفلسفة والتصوّف والطب والفلك والسياسة وغير ذلك. وصدق المقري التلمساني حين قال في نفح الطيب: «وكفاها شرفاً ولادة لسان الدين بها»[٢].

جـ ـ إشبيليا:

وهي من أشهر المدن الأندلسية مشاركة في تطوّر الحركة العلمية حيث كانت عاصمة لدولة بني عبّاد التي اشتهر أمراؤها بالعلم والأدب، كمحمد بن إسماعيل بن عبّاد القاضي[٣]. ذو الوزارتين الذي كان له في العلم والأدب باع. والمعتضد عباد بن محمد[٤]، وابنه المعتمد على الله[٥] محمد بن عباد.

وممن اشتهر بالحديث وعلومه من أهل إشبيليا نذكر:

ـ أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي الإشبيلي[٦] القاضي

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ١/١٩٥.

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ١/١٤٧. (ستأتي ترجمته في ص: ٤٦٥).

(٣) محمد بن إسماعيل بن عباد القاضي أبو القاسم ذو الوزارتين صاحب إشبيلية. كان له في العلم باع ـ كان يشارك الشعراء والبلغاء في الشعر وحوك البلاغة ـ توفي قريباً من الثلاثين وأربعمائة. (بغية الملتمس ص: ١٠٧ رقم: ٢٤٧).

(٤) بغية الملتمس ص: ٣٨٢ رقم: ١١١٨.

(٥) بغية الملتمس ص: ١٠٨ رقم: ٢٤٨.

(٦) بغية الملتمس ص: ٨٢ رقم: ١٧٩.

الفقيه الحافظ المجتهد صاحب «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» و«عارضة الأحوذي» وغيرها (المتوفى سنة ٥٤٣هـ).

ـ أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي الفقيه المحدّث، من أهل الإتقان وجودة الضبط[١].

وإضافة إلى ما ذكرنا فإن الحركة العلمية طالت أغلب مدن الأندلس كسرقسطة وبلنسية وشاطبة وغيرها، وأدلت كل منها بدلوها في تشييد وإثراء النهضة العلمية بها.

ورغم تقلب الأحوال السياسية والاجتماعية التي شهدتها شبه الجزيرة الإيبيرية، فإن الحركة العلمية استمرت في عطائها ووفرة إنتاجها.



---

(١) بغية الملتمس ص: ٦٥ رقم: ١١٢.

الفصل الأول

السنّة ومكانتها في التشريع

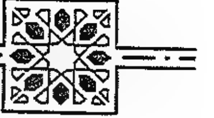
المبحث الأول: السنّة: لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: مكانة السنّة في التشريع.

المبحث الثالث: استقلالية السنّة بالتشريع.

المبحث الرابع: النسخ بين القرآن والسنّة.

المبحث الخامس: الأطوار التي مرّت بها السنّة.



السنّة ومكانتها في التشريع

تمهيد:

حرص المسلمون واعتنوا بالسنّة المطهرة حرصهم على القرآن الكريم، وكانت هذه العناية الفائقة ثمرة معرفة راسخة وعميقة بأهمية السنّة ومعناها والحاجة إليها.

إن الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ الذين سمعوا أقوال النبي ﷺ وشهدوا أفعاله، كانوا إذا أشكل عليهم فهم آية من القرآن واختلفوا في مدلولها أو حكم من أحكامها، رجعوا في ذلك إلى النبي ﷺ، لاستيضاحها والكشف عن أسرارها، يقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١].

فموقع السنّة النبويّة الشريفة من القرآن هو موضع المبيِّن من المبيَّن، وعليه كانت السنّة المصدر الثاني للتشريع كما سنبينه.

فالسنّة: إما مؤكدة ومقررة حكماً جاء في القرآن الكريم

ـ وإما مفصلة ومفسّرة لما جاء في القرآن مجملاً، أو مقيّدة ما جاء فيه مطلقاً أو مخصصة ما جاء فيه عاماً.

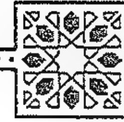
ـ وإما مثبتة ومنشئة حكماً سكت عنه القرآن الكريم.

(١) سورة النحل، آية رقم: ٤٤.

ومن خلال هذه المرتبة المتميّزة للسنّة في التشريع الإسلامي حرص المسلمون عليها، فحفظوها في الصدور، ووضعوا لروايتها شروطاً ودوّنوها في الكتب، وتناقلتها الأمّة جيلاً بعد جيل إلى أن وصلتنا محفوظة مدونة نقية من الشوائب. والحقيقة أن موضوع السنّة قد أُشْبِعَ بحثاً من قبل الكثير إلا أن طبيعة البحث وموضوعه يستدعيان التذكير به، خاصة آراء علماء الأندلس في الموضوع كالإمام الشاطبي وغيره.

وحتى تتضح عناصر هذا الموضوع أكثر لا بدَّ لنا من توضيح معنى السنّة في اللغة والاصطلاح، ومكانتها في التشريع الإسلامي والأطوار التي مرت بها، وهو ما سنتناوله في هذا الفصل إن شاء الله.





المبحث الأول: السنّة لغة واصطلاحاً

١ ـ السنّة في اللغة:

أصلها من مادة (سن).

(فالسَّنن) الطريقة، يقال: استقام فلان على سَنَنٍ واحد. ويقال: امض على (سُنَنِك) و(سَنَنِكَ) أي على وجهك وسَنَّ السكين أحده، وبابه رده[1].

وسَنَّ للقوم سُنَّةً وسَنَناً. وسَنَّ الإبل يسنها سناً إذا أحسن رعيتها. حتى كأنه صقلها.

قال في اللسان[2]:

سنة الله: أحكامه وأمره ونهيه، وسنها الله للناس: بيّنها. وسنّ الله سنّة أي: بيّنَ طريقاً قويماً. قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ﴾[3].

والسنّة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة.

وفي الحديث: «**من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فَعُمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من**

(١) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ص: ٣١٧ (دار القلم بيروت لبنان).
(٢) لسان العرب لابن منظور المجلد ١٣ صفحة: ٢٢٥ (دار صادر بيروت).
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٨.

أوزارهم شيء»[1]. وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل هو سنّة.

وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً ممّا لم ينطق به الكتاب العزيز، ولذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنّة، أي: القرآن والحديث. وفي الحديث: «إني لأنسى أو أُنَسَّى لأسنّ»[2]، أي: إنّما أُدفع إلى النسيان لأسوق الناس بالهداية إلى الطريق المستقيم وأُبيّن لهم ما يحتاجون أن يفعلوا إذا عرض لهم النسيان.

٢ ـ السنّة في الاصطلاح:

يختلف معنى السنّة ومدلولها في اصطلاح المتشرّعين حسب اختلاف أبحاثهم وأغراضهم. فهي عند المحدّثين غيرها عند الأصوليين والفقهاء.

١ ـ السنّة عند المحدّثين: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلْقية أو خُلُقيّة أو سيرة، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها. أي أن المحدّثين عدُّوا صفته ﷺ من السنّة، فهي بهذا التعريف مرادفة للحديث[3].

٢ ـ وهي عند الأصوليين: ما نقل عن النبي ﷺ (غير القرآن) من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً على حكم شرعي، ولا يذكرون فيها (الوصف) لأنهم ينظرون إلى السنّة كمصدر للتشريع، فهي

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم ـ باب من سنّ سنّة حسنة أو سيّئة ـ كتاب الزكاة ـ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ـ حديث رقم: ١٠١٧ ص: ٢/٧٠٥ ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار إحياء التراث العربي بيروت.
(٢) الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي ـ كتاب السهو ـ باب العمل في السهو ص: ١٠٠ حديث رقم: ٢ (دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٥ بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي). وانظر التمهيد لابن عبدالبر ٢٤/٣٧٥ (مطبعة فضالة ـ المغرب ١٩٩٠م).
(٣) قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص: ٦٤ ـ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ـ بيروت ـ ١٩٧٩.

بمعنى الحديث عندهم[1]، وقد يطلقون السنّة على ما اجتهد فيه الصحابة كجمع المصحف في عهد الخليفة أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد كما فعل سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ مستدلين في ذلك بقوله ﷺ: «**عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»[2].

٣ ـ **وهي عند الفقهاء**: ما ثبت عن النبي ﷺ من غير الفرض والواجب. وقد تطلق السنّة عند الفقهاء في مقابلة البدعة. ومن ذلك قولهم: (فلان على سنّة) إذا عمل على وفق ما عمل النبي ﷺ وأصحابه، وقولهم: (فلان على بدعة) إذا عمل على خلاف ما كان عليه ﷺ وأصحابه، أو أحدث في الدين ما ليس منه[3].

ـ معنى الحديث والخبر والأثر:

١ ـ لغة:

الحديث: الجديد، وهو ضد القديم، ويستعمل في اللغة أيضاً، بمعنى الخبر، قليله وكثيره، وجمعه أحاديث، على غير قياس. قال الفرّاء[4]: نرى أن واحد الأحاديث (أُحدوثة) بضم الهمزة والدال، ثم جعلوه جمعاً للحديث[5].

(١) توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري ص: ٢ (ط١ ـ ١٣٢٨هـ/١٩١٥م ـ مصر).

(٢) التمهيد ٦٦/٨ ـ سنن البيهقي ١١٤/١٠ (دار الفكر ط١ بيروت ١٣٥٥هـ) مسند الإمام أحمد ١٢٦/٤ (دار الفكر ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

(٣) الموافقات للشاطبي ص: ٤ دار المعرفة بيروت ـ والمكتبة التجارية الكبرى مصر.

(٤) أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبدالله بن منصور الديلمي الفراء، المتوفى سنة ٢٠٧هـ عن ٦٧ سنة (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٣٣٣/٢ المكتبة العصرية بيروت).

(٥) مختار الصحاح للرازي ص: ١٢٥.

الخبر: النبأ، والجمع أخبار وأخابير جمع الجمع، وخبّره بكذا وأخبره: نبّأه[1].

الأثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور، والأثر: الخبر، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[2] أي نكتب ما سلف من أعمالهم[3].

٢ ـ اصطلاحاً:

ـ الحديث هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقية، والجمهور على أن الحديث يشمل المرفوع والموقوف والمقطوع[4].

ـ والخبر والأثر عند المحدّثين مرادفان للحديث يراد بهما المرفوع أو المرفوع والموقوف معاً. وبعضهم يطلقها على الموقوف. وقيل: الخبر هو المرفوع والأثر هو الموقوف.

قال ابن حجر في شرح النخبة[5]: «الخبر عند علماء هذا الفنّ مرادف للحديث. وقيل الحديث ما جاء من النبي ﷺ، والخبر ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها (الإخباري). ولمن يشتغل بالسنّة النبويّة (المحدّث). وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلقاً، فكل حديث خبر من غير عكس».

وعند فقهاء خراسان تسمية الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر[6].

(١) لسان العرب لابن منظور ص: ٢٢٧/٤ (دار صادر بيروت).

(٢) سورة يس، آية: ١٢.

(٣) نفس المصدر السابق ص: ٥/٤.

(٤) منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر ص: ٢٧، دار الفكر، ط٣ ـ ١٩٨١.

(٥) نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر ص: ٧ (مكتبة الغزالي ط٢ ـ دمشق ـ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

(٦) تدريب الراوي ص: ١٨٤/١ (دار الكتب العلمية ـ ط٢ ـ بيروت ١٩٧٩).

وعند المحدّثين كل هذا يسمى أثراً[1]. وقيل: الحديث يختص بالمرفوع عند الإطلاق ولا يراد به الموقوف إلا بقرينة[2].

والحديث أعمّ من السنّة، لأنه يتناول كلّ ما صدر عن النبي ﷺ حتى لو كان منسوخاً ليس عليه العمل. وعليه فكلّ سنّة حديث وليس كل حديث سنّة.



---

(١) نفس المصدر السابق ص: ١/١٨٥.

(٢) توجيه النظر إلى أصول الأثر ص: ٣.

المبحث الثاني: مكانة السنّة في التشريع

كما أشرنا في بداية الفصل فإن القرآن الكريم الذي أنزله الله عزَّ وجلَّ على رسوله الكريم ﷺ يعتبر المصدر الأول للتشريع في الإسلام.

فالقرآن مقطوع بصحته إجمالاً وتفصيلاً، وقد بلّغه رسول الله ﷺ إلى صحابته مشافهة، ثم نقله المسلمون جيلاً عن جيل متواتراً إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين محفوظاً من التبديل والتغيير والتحريف.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[1]. وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بتبيين آيات القرآن وأحكامه للمسلمين فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

وعليه كان الناس بحاجة إلى هذا البيان لمعرفة مراد الله عزَّ وجلَّ في كثير من الأحكام، فكانت السنّة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم وذلك للآتي:

١ ـ القرآن الكريم قطعي الثبوت، وأما السنّة فمنها قطعي الثبوت مثل الأحاديث المتواترة وهو قليل، وأغلبها ظني الثبوت وهو أحاديث الآحاد.

والمقطوع به مقدّم على المظنون، فلزم من ذلك تقديم الكتاب على السنّة.

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

٢ ـ السنّة إما بيان للكتاب أو زيادة على ذلك، فإن كان بياناً فهو ثان على المبين في الاعتبار إذ يلزم من سقوط المبيّن سقوط البيان من غير عكس، وعليه كان الكتاب أولى في التقدم، وإن كان زيادة فلا يعتبر إلا بعد أن لا يوجد في الكتاب[1].

٣ ـ الأخبار والآثار الدالة على تقدّم الكتاب على السنّة من ذلك: أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: «كيف تقضي؟» قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله»، قال فبسنّة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم يكن في سنّة رسول الله ﷺ»، قال: أجتهد رأيي، قال: «الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله ﷺ»[2].

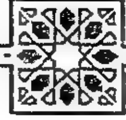
وذهب بعض العلماء إلى أن السنّة مقدمة على الكتاب أو مساوية له في المرتبة، إذ هي مبيّنة له ومقيدة لمطلقه ومخصصة لعامه[3]. والحقيقة أن السنّة تبيِّن مراد الله عزّ وجلّ في كتابه، لا أنها مقدمة عليه لما قدمناه.



(١) الموافقات للشاطبي ٧/٤ (دار المعرفة بيروت).

(٢) عارضة الأحوذي لابن العربي ٦٨/٦ ـ ٦٩. قال ابن العربي: إن حديث معاذ هذا صحيح وأنّه مشهور ص: ٧٢/٦. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١١٤/١٠ (دار المعرفة الطبعة الأولى ـ بيروت ١٣٥٥هـ).

(٣) الموافقات ٧/٤ ـ ٨.



المبحث الثالث: استقلال السنّة بالتشريع

كما أسلفنا في بداية الفصل فإن نصوص السنّة على ثلاثة أقسام:

إما مؤيّدة لأحكام القرآن موافقة لها، أو مبيّنة وموضّحة لها، أو دالّة على حكم سكت عليه الكتاب.

ـ **فمن الأول**: الآثار التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات على وجه الإجمال، فهي موافقة للآيات التي وردت في ذلك كقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ـ **ومن الثاني**: الأحاديث التي فصّلت أحكام العبادات والمعاملات فبيّنت مجملها، وخصّصت عامها، وقيّدت مطلقها.

فقد فرض الله تعالى الصلاة على المسلمين من غير بيان لأوقاتها وعدد ركعاتها وهيآتها، فبيّنت السنّة ذلك وفصّلته، قال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[3]، وكذلك فرض الله الحج، من غير أن يبين مناسكه،

(١) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

(٣) التمهيد: ١١٧/٥، ٢١٣/٩ وأخرجه البخاري في كتاب أخبار الآحاد حديث رقم: ٧٢٤٦ وفي كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم حديث رقم: ٦٠٠٨. (مكتبة الغزالي ـ دمشق ـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي).

فبيّن الرسول الكريم ﷺ ذلك، وقال: «خذوا عني مناسككم»[1]، ومن العام الذي خصصته السنّة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾[2]، خُصّص بقوله ﷺ: «المسلم فيه اسم الله وإن لم يذكر التسمية»[3]. وغير ذلك من السنن التي بيّنت المراد من مجمل القرآن ومطلقه وعامه.

- ومن الثالث: الآثار التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وخالتها أو عمّتها وغير ذلك من الأحاديث الدالة على أحكام سكت عنها القرآن الكريم.

والجمهور على أن السنّة استقلت بإثبات أحكام جديدة لما ذكرنا، وقال آخرون[4]: بأن السنّة راجعة في معناها إلى الكتاب، فلا تجد في السنّة أمراً إلا والقرآن دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية.

ويبدو أن الفريقين متفقان على وجود أحكام جديدة في السنّة لم يُنص عليها صراحة في الكتاب كما قدمنا، إلا أن الجمهور يسمي ذلك استقلالاً في التشريع، والآخرون يرون أنها داخلة تحت نصوصه[5].



---

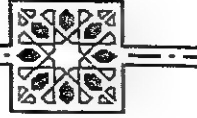
(١) التمهيد ٦٩/٢ - ٩١ - ٩٨، ٣٣٣/٤، ١١٧/٥، ٢٧٢/٧، وفتح الباري: ٢١٧/١ - ٤٩٩. وأحمد عن جابر بن عبدالله ص: ٥٩/٥ حديث رقم: ١٤٤٢٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢١.

(٣) فتح الباري ٦٢٤/٩. (الحديث عن عكرمة عن ابن عباس فيمن ذبح ونسي التسمية) قال ابن حجر: سنده صحيح.

(٤) وهو قول الإمام الشاطبي (إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي اللخمي) انظر الموافقات ١٢/٤.

(٥) انظر السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي ص: ٢٨٥.



المبحث الرابع: النسخ بين القرآن والسنّة

لا خلاف بين العلماء في نسخ الكتاب بالكتاب، والسنّة بالسنّة، واختلفوا في مسألتين:

- الأولى: في نسخ الكتاب بالسنّة حيث ذهب الحنفية إلى جواز نسخ الكتاب بالسنّة المتواترة والمشهورة لتساويهما في قطعية الثبوت فجاز النسخ[1]، واستدلوا بأمثلة منها قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[2]، فنُسخ الميراث بقول النبي ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»[3].

وذهب الجمهور إلى أنه لا ينسخ القرآن إلا القرآن وهو قول الإمام أحمد[4]، واستدلّ الشافعي رحمه الله بقول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[5]. والسنّة ليست مثل القرآن ولا خير منه.

---

(١) انظر الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي (أبي بكر محمد بن موسى) ص: ١٧ و ١٨ - (إدارة الطباعة المنيرية ط١ - ١٣٤٦هـ).

(٢) سورة النساء، آية: ١١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر حديث رقم: ٦٧٦٤ والتمهيد ٥٩/٢، ٦٩/٣، ١٦٠/٩ - ١٧٠.

(٤) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ص: ١٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٠٦.

ـ الثاني: نسخ السنّة بالكتاب، وهو جائز عند الجمهور واستدلوا لذلك بتحويل القبلة، فإن المسلمين صلوا بعد الهجرة عدة أشهر تجاه بيت المقدس، وليس في ذلك نصّ من القرآن، ثم نسخ ذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1].

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: لا تُنسخ السنّة بالقرآن[2].



(١) سورة البقرة، آية: ١٤٤.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي ص: ١٠٨ (طبعة دار الفكر ـ ١٣٠٩) انظر كذلك: أصول الفقه الإسلامي لوهبي الزحيلي ص: ٢/٩٦٤ ـ ٩٧١ دار الفكر، ط١ ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

المبحث الخامس: الأطوار التي مرّت بها السنّة

مرّت السنّة منذ عهد رسول الله ﷺ إلى أن دوّنت وحفظت في الكتب بمراحل عديدة نوجزها فيما يلي:

١ ـ السنّة في عهد الرسول ﷺ:

كان المجتمع العربي في عهد الرسول ﷺ تغلب عليه الأميّة، فكان الناس يعتمدون في نقل العلوم والمعارف على الذاكرة والحفظ.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[1].

وقد كان اهتمام المسلمين في عهده ﷺ منصباً على حفظ كتاب الله العزيز وصيانته ودراسته، وفهم آياته، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة للحديث الشريف، حيث وردت عن النبي ﷺ أحاديث تفيد كراهة كتابته وأخرى في إباحتها.

ـ فمن الأول: ما أخرجه الإمام مسلم وابن عبدالبر عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»**[2].

(١) سورة الجمعة، آية: ٢.

(٢) صحيح مسلم حديث رقم: ٣٠٠٤ (كتاب الزهد باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم) وجامع بيان العلم ٦٣/١.

- ومن الثاني: قول عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما: «كنت أكتب كل شيء اسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ يتكلم في الرضا والغضب؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: «**أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق**»[1].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب»[2]، وثبت عن رسول الله ﷺ قوله: «**اكتبوا لأبي شاه**»[3] كما كانت لبعض الصحابة صحف يدوّنون فيها ما سمعوه منه ﷺ كالصحيفة الصادقة لعبدالله بن عمرو.

والراجح من أقوال العلماء والمحقّقين أن كراهة الكتابة إنما كانت في أول أيام الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن الكريم وانشغال المسلمين عنه.

فلما حفظ المسلمون القرآن وميّزوه عن غيره أذن لهم بالكتابة، جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: «**إيتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده**»[4]، وهو ما يدل على أن آخر الأمرين كان الإذن بكتابة الحديث.

٢ - السنّة في عهد الصحابة رضوان الله عليهم:

بعد وفاة رسول الله ﷺ قام الصحابة رضوان الله عليهم، بتبليغ السنّة

(١) جامع بيان العلم وفضله ٧١/١. والحاكم في المستدرك ١٠٤/١ (دائرة المعارف العثمانية ١٣٣٤هـ) ووافقه الذهبي.

(٢) البخاري كتاب العلم - باب كتابة العلم حديث رقم: ١١٣.

(٣) البخاري كتاب الديات - باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين - حديث ٦٨٨٠ - وجامع بيان العلم: ٧/١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم - باب كتابة العلم حديث رقم: ١١٤، وانظر فتح الباري ٢٠٨/١.

إلى من ورائهم من جماهير المسلمين. وقد تميّز عصر الخلافة الراشدة بعدم التشجيع على كتابة الحديث. ولئن كانت الرغبة في تدوين السنّة موجودة عند كثير من الصحابة، إلا أن حرصهم على سلامة كتاب الله من الاختلاط بغيره، جعلهم يحجمون عن الكتابة.

ذكر الذهبي في تذكرته[1]: أن عائشة رضي الله عنها قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلب كثيراً... فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها، فدعا بنار فحرقها.

وعن الزهري عن عروة بن الزبير: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السّنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله عنها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السّنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً[2].

وعلى هذا سار كثير من الصحابة في عدم كتابة الحديث الشريف خوفاً من أن يهمل الناس كتاب الله تعالى، وينكبّوا على دراسة غيره.

وهذا لا يعني عدم وجود محاولات من بعض الصحابة لكتابة بعض الحديث عن رسول الله ﷺ فقد أورد ابن عبدالبر[3] عن أبي جحيفة قال: «قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوى القرآن؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه، وما في هذه الصحيفة، قلت وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر».

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٥/١ (ط٤ الهند ١٣٨٨هـ/١٩٧٧م).

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص: ٦٤/١ باب ذكر كراهية كتاب العلم وتخليده في الصحف.

(٣) البخاري كتاب العلم - باب كتابة العلم حديث رقم: ١١١، وجامع بيان العلم ٧١/١.

وهكذا كان بعض الصحابة لا يرون بأساً في كتابة الحديث وعليه يمكن القول بأن عصر الصحابة انقضى، والسنّة لم تدّون، إلا ما ذكرناه من محاولات فردية.

٣ ـ السنّة في عصر التابعين:

شهدت هذه المرحلة كسالفتها تبايناً في آراء التابعين حول مسألة كتابة الحديث.

فذهبت طائفة منهم إلى عدم كتابته خوف اختلاطه بالقرآن أو بآراء وفتاوى المجتهدين، منهم:

إبراهيم النخعي (المتوفى سنة ٩٦هـ) الذي كان يكره أن يكتب الحديث في الكراريس[١]، وعامر الشعبي (المتوفى سنة ١٠٣هـ). الذي قال: ما كتبت سوداء في بياض قط[٢].

وحرصت طائفة على كتابة الحديث لقناعتهم بجواز ذلك، فقد سئل قتادة[٣]: «نكتب ما نسمع منك؟ قال: وما يمنعك أن تكتب وقد أخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب، قال: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾»[٤]، وعن عبدالله بن محمد بن عقيل قال: كنت أختلف إلى جابر بن عبدالله، أنا وأبو جعفر، معنا ألواح نكتب فيها[٥]. وكان الشعبي يقول: «الكتاب قيد العلم»[٦]. ولا غرابة إن وجد رأيان في المسألة لتابعي واحد، فقد يعدل عن رأيه الأول إذا زالت الأسباب الموجبة إليه كالشعبي مثلاً. وهكذا انتشرت كتابة الحديث بين التابعين واتسع نطاقها إلى أن اتخذ

(١) جامع بيان العلم وفضله ٦٧/١ باب ما جاء في كتابة العلم.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) تقييد العلم ـ للخطيب البغدادي ص: ١٠٣ (ط٢ دار إحياء السنة المحمدية ١٩٧٤).
(٤) سورة طه، آية: ٥٢.
(٥) تقييد العلم ص: ١٠٤.
(٦) المصدر السابق ص: ٩٩.

الخليفة عمر بن عبدالعزيز[١] ـ رضي الله عنه ـ قراره الحازم وكتب إلى عامله في المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يأمره: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سنّة ماضية، أو حديث عمرة[٢]، فاكتبه. فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله»[٣]. فدوّن هذا الأخير شيئاً من السنّة، وكتب الإمام محمد بن شهاب الزهري ما سمعه من الصحابة من أحاديث رسول الله ﷺ غير مبوّب على أبواب العلم، مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

قال ابن شهاب: «أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً»[٤].

ويعتبر العمل الذي قام به عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ بمثابة أول تدوين رسمي للسنّة، وشرارة الانطلاقة الكبرى لكتابة الحديث النبوي الشريف.

٤ ـ السنّة في عصر التدوين:

شهد القرن الثاني نشاطا علمياً متميّزاً في مجال كتابة الحديث وجمعه على الأبواب وضمها إلى بعضها في مصنّفات حوت إلى جانب الحديث، فتاوى الصحابة والتابعين. فقد جمع عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج بمكة مصنفاً، وكتب الإمام مالك بالمدينة موطأه، كذا فعل محمد بن إسحاق[٥].

(١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولي إمرة المدينة للوليد، ثم ولي الخلافة، فعُدّ من الخلفاء الراشدين ـ مات في رجب سنة ١٠١هـ، وله أربعون سنة ومدة خلافته سنتان ونصف (تقريب التهذيب ص: ٤١٥ رقم: ٤٩٤٠).
(٢) هي عمرة بنت عبدالرحمٰن بن سعد بن زرارة الأنصارية ـ أكثرت عن عائشة ـ ثقة ماتت سنة ٩٨هـ (التقريب ص: ٧٥٠ رقم: ٨٦٤٣).
(٣) تقييد العلم ص: ١٠٥.
(٤) جامع بيان العلم وفضله ص: ٧٦/١.
(٥) محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي وثقه ابن معين مرة وضعفه أخرى، عيب عليه التدليس مات سنة ١٥٠ أو ١٥١هـ (طبقات الحفاظ ص ٨٢ رقم: ١٦٠).

ومحمد بن عبدالرحمٰن بن أبي ذئب[١]، وكتب سفيان الثوري بالكوفة والإمام عبدالرحمٰن بن عمرو الأوزعي بالشام وعبدالله بن المبارك في خراسان[٢].

وبوصول القرن الثالث، الذي يعدّ بحقّ العصر الذهبي للسنّة، اتجهت همم المحدّثين إلى إفراد حديث رسول الله ﷺ في مؤلفات، فظهرت المسانيد وهي الكتب الحديثية المصنّفة على مسانيد أسماء الصحابة، بحيث تجمع مرويات كل صحابي على حدة، وتحتوي المسانيد على الصحيح والضعيف من الحديث.

فألّف أبو داود سليمان بن الجارود الطيالسي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ) مسنده ثم تبعه غير واحد، منهم مسدّد البصري (المتوفى سنة ٢٢٨هـ)، وعثمان بن أبي شيبة (المتوفى سنة ٢٣٩هـ)، ونسج على منوالهم بعض الأئمة كأحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١هـ)، وبقي بن مخلد الأندلسي (المتوفى سنة ٢٧٦هـ)، الذي رتّب مسنده على أسماء الصحبة، ثم رتّب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنّف ومسند، قال فيه علي بن أحمد بن حزم: «وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه وإتقانه»[٣].

٥ - إفراد الحديث الصحيح بالتأليف:

نشطت حركة الجمع والنقد في أواسط القرن الثالث، فانبرت نخبة من المحدّثين، قامت بجمع الأحاديث والتثبّت في صحتها، فجردت الصحيح من حديث رسول الله ﷺ وجمعته، فظهرت الكتب الستة. وكان أولهم الإمام

(١) محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي ذئب العامري المدني ثقة كان لا يبالي عمن يحدث، مات بالكوفة سنة ١٥٩هـ (طبقات الحفاظ ص: ٨٩ رقم: ١٧٥).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/١٨٦ (طبعة مكتبة المعارف الرياض ١٩٨٣).

(٣) بغية الملتمس ص: ٢٤٥ رقم: الترجمة: ٥٨٤.

محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ). الذي ألّف جامعه الصحيح المسند من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، ثم اقتفى أثره تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى سنة ٢٦١هـ) فكتب جامعه الصحيح. والجامع هو الكتاب الذي تشتمل أبوابه على كل أمور الدين من عقائد وأحكام وآداب وغيرها.

ثم أعقب ذلك، الكتب الأربعة التي ألّفها الأئمة:

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى سنة ٢٧٥هـ) وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (المتوفى سنة ٢٧٩هـ) وأحمد بن شعيب النسائي (المتوفى سنة ٣٠٣هـ)، وعبدالله بن يزيد بن عبيدالله بن ماجه القزويني (المتوفى سنة ٢٧٣هـ).

بعد هذه الحقبة المباركة التي ظهرت فيها الكتب الستّة، جاء علماء عمدوا إلى جمع ما أمكنهم من حديث رسول الله ﷺ .. فألّف الإمام الطبراني[١] معاجمه، وكتب الإمام الدارقطني[٢] سننه وجمع ابن حبان[٣] وابن خزيمة[٤] صحيحيهما، وغيرهم ممّن سار على نهجهم.

(١) الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب ولد سنة ٢٦٠هـ - ألف المعاجم وغيرها توفي رحمه الله سنة ٣٦٠هـ، طبقات الحفاظ ص: ٣٧٢ رقم: ٨٤٤ - وميزان الاعتدال ٢/١٩٥.

(٢) الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي - صاحب السنن - والعلل - والأفراد. ولد سنة ٣٠٦هـ حدث عنه الحاكم والبرقاني وأبو نعيم - توفي رحمه الله سنة ٣٨٥هـ (طبقات الحفاظ ص: ٣٩٣ رقم: ٨٩٣).

(٣) الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي - صاحب التصانيف - سمع النسائي وأبا يعلى - كان ثقة نبيلاً فهماً توفي رحمه الله سنة ٣٥٤هـ (الرسالة المستطرفة ص: ١٦ - وطبقات الحفاظ ص: ٣٧٥ رقم: ٨٤٧).

(٤) ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر النيسابوري - الإمام الحافظ، صاحب التصانيف التي زادت على المائة وأربعين كتاباً، توفي رحمه الله سنة ٣١١هـ (انظر تذكرة الحفاظ ٢/٧٢٠).

ثم عكف بعد ذلك كثير من العلماء، على تلك الكتب بالشرح والتهذيب والاختصار والاستخراج والاستدراك والجمع. وقد كان لعلماء الأندلس حظاً وافراً من تلك الخدمات، التي ستتناولها بالبحث والدراسة فيما يستقبل من أبواب إن شاء الله.

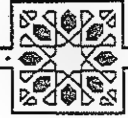


الفصل الثاني

الصحابة والتابعون الذين دخلوا الأندلس وأثرهم في نقل الحديث إليها

المبحث الأول: الصحابة الذين دخلوا الأندلس.

المبحث الثاني: التابعون الذين دخلوا الأندلس وأثرهم في نقل الحديث إليها.



المبحث الأول:
الصحابة الذين دخلوا الأندلس
(المنيذر اليماني) رضي الله عنه

تمهيد:

الصحابة والأصحاب: لغةً مشتقة من الصحبة وتطلق على كل من صحب غيره قليلاً أو كثيراً. والصحابي عند المحدّثين: هو من رأى رسول الله ﷺ في حال إسلام الراوي وإن لم تطل صحبته له، وإن لم يرو عنه شيئاً[1]. ونصّ البخاري على أن من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه[2]. وقال آخرون: لا بدّ في إطلاق الصحبة مع الرؤية أن يروي حديثاً أو حديثين[3].

وعند أصحاب الأصول: أن الصحابي من طالت مجالسته للرسول ﷺ على طريق التبع[4] قال ابن حجر: وأصحّ ما وقفت عليه من ذلك: «أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه، من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص: ١٣٣، بيروت، ط٣ ـ ١٤٠٨.
(٢) فتح الباري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ترجمة باب فضائل أصحاب النبي ﷺ.
(٣) الباعث الحثيث ص: ١٣٣.
(٤) تدريب الراوي ٢/٢١٠ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط٢ ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

لم يغز ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى»[1]. وبذلك يخرج من هذا الحد من لقيه ﷺ من الكفار ولم يؤمن به، وغير المميّز ممّن حنّكهم ﷺ من أبناء الصحابة، ومن رآه في المنام ومن رأى جسده الشريف بعد وفاته وقبل دفنه.

وعدد من رأى النبي ﷺ وسمع منه كثير. قال أبو زرعة الرازي[2]: «قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه»[3]، وقيل أكثر من ذلك[4]، والله أعلم بعددهم.

والصحابة كلهم عدول ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عزَّ وجلَّ عليهم وثناء رسول الله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيّه ﷺ ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منها[5].

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[6]، وقال ﷺ: **«لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**[7].

وقد أخذ الصحابة الكرام سنن النبي ﷺ، وتفرقوا في البلدان والبوادي

(١) فتح الباري ٧/٤ ـ ٥ و(الإصابة ص: ١/١٠ ـ ١١ ـ ١٢).
(٢) أبو زرعة: عبيدالله بن عبدالكريم بن يزيد الرازي. أحد الأعلام وحفاظ الإسلام، وكان من الصلاح والعبادة والخشية بمحل عظيم ـ توفي رحمه الله سنة ٢٦٤هـ. (تذكرة الحفاظ ص: ٢/٥٥٧).
(٣) تدريب الراوي ٢/٢٢٠، والباعث الحثيث ص: ١٣٧. والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر/٧ ـ ٨.
(٤) ذيل على كتاب الاستيعاب ـ لابن فتحون، انظر الإصابة ١/٥.
(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (بهامش الإصابة).
(٦) سورة الفتح، آية: ٢٩.
(٧) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سبّ الصحابة (رقم: ٢٥٤١ ص٤/١٩٦٧).

والقرى من جنوب آسيا شرقاً إلى بلاد الأندلس غرباً، لتبليغها للناس كافة ناصحين محتسبين.

ولتأخّر فتح الأندلس إلى العقد الأخير من القرن الأول، لم تشهد هذه الأخيرة تدفّق أفواج الصحابة، مثلما هو الحال بالنسبة إلى الشام ومصر والعراق، إلا أن الله سبحانه وتعالى أبى أن يحرمها ذلك الفضل، فحلّ بها الصحابي الجليل المنيذر اليماني - رضي الله عنه.

المنيذر اليماني - رضي الله عنه -:

١ - ترجمته:

هو المنيذر اليماني الأسلمي، يقال: المنيذر بصيغة التصغير، وقيل بوزن المنتشر، الشمالي، ذكره ابن يونس[1]، وقال: رجل من أصحاب النبي ﷺ[2].

ويقال المنيذر الإفريقي[3]. قال ابن السكن المنيذر الشمالي من مدحج، ويقال من كندة[4].

قال ابن الأبار في التكملة[5]: المنيذر الإفريقي: له صحبة كان يسكن إفريقيا، ودخل الأندلس فيما ذكر عبدالملك بن حبيب، قال أبو محمد الرشاطي: ولم يذكره أحد غيره.

(١) عبدالرحمٰن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري صاحب تاريخ مصر - ولد سنة ٢٨١هـ سمع النسائي ولم يرحل من مصر توفي سنة ٣٤٧هـ (طبقات الحفاظ ص ٣٦٧ رقم: ٨٣٤).

(٢) الإصابة ٤٦٥/٣ (مطبعة مصطفى محمد - مصر ١٣٥٨هـ /١٩٣٩م).

(٣) الاستيعاب ٥٢٨/٣ (بحاشية الإصابة).

(٤) الإصابة ٤٦٥/٣.

(٥) التكملة لكتاب الصلة ٧٣١/٢ رقم: الترجمة ١٨٤٧ مطبعة الخانجي ١٩٥٦م /١٣٧٥هـ

قال ابن بشكوال[1]: «يقال فيه المنيذر لكونه من أحداث الصحابة - رضي الله عنهم». وسماه البخاري في تاريخه «أبو المنيذر» بالكنية.

٢ - مروياته:

لم يؤثر عن المنيذر اليماني - رضي الله عنه - سوى حديث واحد عن رسول الله ﷺ، ذكره المحدّثون بألفاظ متقاربة من طريق عبدالرحمٰن الحبلي.

قال البخاري في تاريخه: أبو المنيذر صاحب النبي ﷺ وكان يكون بإفريقيا عن رسول الله ﷺ، قال: من قال: **«رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً فأنا الزعيم لآخذنّ بيده فأدخله الجنة»**، قاله رشدين بن سعد عن حي بن عبدالله عن أبي عبدالرحمٰن الحبلي عن أبي المنيذر[2].

وذكره ابن عبدالبر بنفس السند بلفظ: **«من قال: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فأنا الزعيم له فلآخذنّ بيده ولأدخلنه الجنة»**[3].

وأورده ابن حجر في الإصابة بنفس السند بلفظ: **«من قال إذا أصبح: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فأنا الزعيم لآخذن بيده فلأدخلنه الجنة»**[4].

ووصله الطبراني في الكبير إلى رشدين، قال: حدثنا عبدان بن أحمد ثنا الجراح بن مخلد ثنا أحمد بن سليمان ثنا رشدين بن سعد عن حي بن عبدالله المعافري عن أبي عبدالرحمٰن الحبلي عن المنيذر صاحب رسول الله ﷺ، وكان يكون بإفريقيا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من قال: إذا أصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فأنا الزعيم**

(١) نفح الطيب: ٥/٦.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري المجلد ٨ صفحة ٧٥ رقم: الترجمة ٢٢٢١ (طبعة دار الفكر - بدون تاريخ).

(٣) الاستيعاب ٥٢٨/٣ (مطبوعة بهامش الإصابة).

(٤) الإصابة ٤٦٥/٣.

لآخذن بيده حتى أدخله الجنة»[١]، وتابعه ابن وهب عن حي لكنه لم يسمه قال عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: إسناده حسن[٢]، وقال ابن حجر فيه رشدين وهو ضعيف[٣]. والراجح عندي أن هذا الحديث حسن كما قال الهيثمي لأن رشدين مختلف في توثيقه[٤]، وكل من تكلم فيه فمن ناحية الاختلاط ولم يتهمه أحد. ولهذا الحديث شواهد كثيرة تدعم ما ذهبنا إليه[٥].

٣ ـ مبلغه من العلم:

كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على درجات متفاوتة من العلم بسنّة رسول الله ﷺ، فمنهم الملازم له ومنهم من لم يصحبه إلا يسيرا. فكان منهم السابقون الأولون في الإسلام، الذين صحبوا رسول الله ﷺ منذ فجر الإسلام، ومنهم الأحداث الذين صحبوه ﷺ في آخر حياته.

ولئن لم يكن للصحابي الجليل المنيذر اليماني رضي الله عنه من شيء

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣٥٥/٢٠ رقم: الترجمة ٨٣٨ ـ مطبعة الأمة بغداد.

(٢) مجمع الزوائد ١١٦/١٠ (باب ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى) دار الكتاب العربي بيروت (الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٢م).

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) هو رشدين بن سعد بن مفلح بن هلال المهري أبو الحجاج، المصري. قال الميموني: سمعت أبا عبدالله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ يقول: رشدين بن سعد ليس يبالي عن من روى لكنه رجل صالح، فوثقه ابن خارجة وكان في المجلس، فتبسم أبو عبدالله ثم قال: ليس به بأس في أحاديث الرقاق (تهذيب الكمال ١٩١/٩ رقم: الترجمة ١٩١١) قال ابن عدي سمعت عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز يقول: سئل أحمد بن حنبل عن رشدين بن سعد فقال: أرجو أنه صالح الحديث (الكامل في الضعفاء ١٤٩/٣ رقم: الترجمة ٦٦٩/١٩ ـ دار الفكر الطبعة الثالثة ١٩٨٨).

وكذلك قال ابن شاهين في الثقات (تهذيب التهذيب ٢٧٧/٣.رقم: الترجمة ٥٢٦).

(٥) انظر: الترغيب ٤٥٣/١، تاريخ بغداد للخطيب ٣٤١/٨، اتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٩/٥، سنن أبي داود حديث رقم: ١٥٢٩، مسند أحمد ٣٣٧/٤، مستدرك الحاكم ١، عن أبي سعيد الخدري ص: ٥١٨/١ ووافقه الذهبي.

نقله عن رسول ﷺ بعد الحديث الذي ذكرناه سوى جهاده بنفسه وماله في سبيل الله، لكفاه، فضلاً على أنه نقل إلى من بعده ما تعلمه من أفعال رسول الله ﷺ وتصرفاته في سفره وحضره وظعنه وإقامته وسائر أحواله.

والمنيذر اليماني ـ رضي الله عنه ـ يعتبر من أحداث الصحابة كما ذكر ابن بشكوال[١]، لذلك لم يؤثر عليه كثير رواية.



(١) نفح الطيب للمقري التلمساني ٥/٦.



المبحث الثاني: التابعون الذين دخلوا الأندلس

- تمهيد:

التابعون واحدهم تابعي وتابع، قيل هو من صحب الصحابي، وقيل من لقيه وهو الأظهر. قال السيوطي ولا يُكتفى فيه بمجرّد اللقي، بخلاف الصحابي مع النبي ﷺ لشرف منزلة النبي ﷺ، فالاجتماع به يؤثر في النور القلبي أضعاف ما يؤثر الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار، والأكثرون من أهل العلم على أن التابعي من لقي الصحابي[١].
والتابعون طبقات أولها من أدرك العشرة[٢].

قال ابن حبيب في تاريخه[٣]: دخل الأندلس من التابعين سوى من لا يعرف نحو من عشرين رجلاً، بهؤلاء وغيرهم أقبل موسى بن نصير إلى إفريقيا.

وبعث عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - عشرة من فقهاء التابعين ليفقهوا أهل إفريقيا، فواصل بعضهم طريقه إلى الأندلس[٤]. وفي هذا المبحث سوف نلقي الضوء على من اشتهر بالرواية منهم.

---

(١) تدريب الراوي ٢/٢٣٤.

(٢) تدريب الراوي ٢/٢٣٥.

(٣) تاريخ عبدالملك بن حبيب ص: ١٣٨ (طبعة مجريط ١٩٩١).

(٤) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا لأبي عبدالله بن أبي عبدالله المالكي ص: ١/٦٤ (مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الأولى ١٩٥١).

حنش الصنعاني:

١ - ترجمته:

هو حنش بن عبدالله بن عمرو بن حنظلة أبو رشيد الصنعاني السبائي، من صنعاء الشام.

قال ابن بشكوال[١]: قال ابن وضاح: حنش لقب له. وفي رياض النفوس[٢]: أبو رشيد حنش بن عبدالله السبائي الصنعاني، من أهل الفضل والدين، كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغزا المغرب مع رفيقه رويفع بن ثابت[٣]، وغزا الأندلس مع موسى بن نصير، وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبدالملك بن مروان، وكان أول من ولي عشور إفريقيا في الإسلام. توفي - رحمه الله - بإفريقيا سنة مائة. قال ابن حبيب[٤]: دخل الأندلس من التابعين حنش بن عبدالله الصنعاني. وذكر ابن الفرضي[٥]، أن حنشاً كان بسرقسطة، وأنه الذي أسّس جامعها وبها مات، وقبره بها معروف بغربي المدينة[٦].

٢ - مكانته في الحديث:

كان حنش بن عبدالله الصنعاني - رحمه الله - تابعياً كبيراً على مبلغ عظيم من العلم. روى عن جماعة من الصحابة منهم:

علي بن أبي طالب، وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥/١٠ (دار المسيرة - ط٢ - بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، نفح الطيب ٣/٧.

(٢) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا - ص: ١/٧٨.

(٣) رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري صحابي سكن مصر مات سنة ٥٦هـ (التقريب ص: ٢١١ رقم: ١٩٧١).

(٤) تاريخ عبدالملك بن حبيب ص: ١٤٢. وانظر كذلك نفح الطيب ٣/٧.

(٥) تاريخ ابن الفرضي ١/١٢٥ رقم: الترجمة: ٣٩١.

(٦) بغية الملتمس ص: ٢٦٣ رقم: الترجمة: ٦٨٧.

عباس، ورويفع بن ثابت وفضالة بن عبيد، وأبي الدرداء. روى عنه الحارث بن يزيد وابن أنعم، وقيس بن الحجّاج، وعامر بن يحيى المعافري[1]، وخالد بن أبي عمران والجلاح أبو كثير. روى له الجماعة إلا البخاري.

قال ابن أبي حاتم[2]، حدثنا عبدالرحمٰن قال: سئل أبو زرعة عن حنش بن عبدالله الصنعاني؟ فقال: ثقة، سئل أبي عن حنش الصنعاني فقال: صالح.

قال ابن الفرضي: تابعي كبير ثقة[3]. وذكره ابن حبان في الثقات[4]، وقال العجلي: مصري تابعي ثقة[5].

٣ ـ نماذج من مروياته:

١ ـ من صحيح مسلم:

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن أبي شجاع سعيد بن يزيد[6]، عن خالد بن أبي عمران[7]، عن حنش الصنعاني عن فضالة بن عبيد قال:

---

(١) جذوة المقتبس للحميدي ص: ١٨٩ ترجمة رقم: ٤٠٣ (مكتبة نشر الثقافة الإسلامية مصر)، ورياض النفوس ٧٨/١.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ٢٩١/٣ رقم الترجمة ص: ١٢٩٨ (الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن ـ ١٣٧١هـ/١٩٥٢م).

(٣) تاريخ ابن الفرضي ١٢٥/١ رقم: الترجمة ٣٩١، وانظر بغية الملتمس ص: ٢٦٣ رقم: الترجمة: ٦٨٧.

(٤) كتاب الثقات لابن حبان ١٨٤/٤ (ط١ ـ حيدر آباد الدكن ١٣٩٨هـ/١٩٧٨).

(٥) تاريخ الثقات لأحمد بن عبدالله العجلي ص: ١٣٦ رقم: الترجمة ٣٦٨. (دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٩١).
وانظر كذلك: التقريب لابن حجر ص: ١٨٣ رقم: الترجمة ١٥٧٦ (دار الرشيد سوريا، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ/١٩٤١).

(٦) سعيد بن يزيد الحميري أبو شجاع الإسكندراني ثقة عابد مات سنة ١٥٤هـ (التقريب ص: ٢٤٣ رقم: ٢٤٢٢).

(٧) خالد بن أبي عمران التجيبي أبو عمر قاضي إفريقيا فقيه صدوق مات سنة ١٢٩هـ (التقريب ص: ١٨٩ رقم: ١٦٦٢).

اشتريت يوم خيبر قلادة باثني عشر ديناراً فيها «ذهب» و«خرز» ففصلتها فوجدت فيها أكثر من اثني عشر ديناراً فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «لا تباع حتى تُفَصَّلَ»[1].

وأخرج له الإمام مسلم في البيوع أربعة أحاديث كلها من طريق فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

٤ ـ من مسند الإمام أحمد بن حنبل:

عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا يحيى بن إسحاق[2]، قال: أنا ابن لهيعة[3]، (ح) وقتيبة بن سعيد[4]، قال: ثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد[5]، عن حنش الصنعاني عن رويفع بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لأحد»**، وقال قتيبة لرجل، أن يسقي ماءه ولد غيره: **«ولا يقع على أمة حتى تحيض أو يبين حملها»**[6].

وفي رواية بنفس السند قال: «نهى رسول الله ﷺ أن توطأ الأمة حتى تحيض، وعن الحبالى حتى يضعن ما في بطونهن».

---

(١) صحيح مسلم كتاب المساقات ـ باب بيع القلادة فيها خرز وذهب. حديث رقم: ١٥٩١ ص: ١٢١٣/٣.

(٢) هو يحيى بن إسحاق السيلحيني ـ صدوق مات سنة ٢١٠هـ (التقريب ص: ٥٨٧ رقم: الترجمة ٧٤٩٩).

(٣) عبدالله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أبو عبدالرحمٰن المصري ـ القاضي صدوق خلط بعد احتراق كتبه. له في مسلم بعض شيء مقرون، مات سنة ١٧٤هـ، التقريب ص: ٣١٩ رقم: الترجمة ٣٥٦٣.

(٤) هو قتيبة بن سعيد بن جميل ثقة ثبت، توفي سنة ٢٤٠هـ، التقريب ص: ٤٥٤ رقم: الترجمة ٥٥٢٢.

(٥) هو الحارث بن يزيد الحضرمي ثقة ثبت توفي سنة ١٣٠هـ، التقريب ص: ١٤٨ رقم: الترجمة ١٠٥٧.

(٦) أخرجه الإمام أحمد عن رويفع بن ثابت ص: ١٠٨/٣.

أقول: والحديث رواته ثقات عدا ابن لهيعة مختلف فيه، وهو حسن الإسناد.

هذا ولحنش الصنعاني أحاديث كثيرة[1]:

- في سنن أبي داود عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما -

- وفي جامع الترمذي عن فضالة بن عبيد[2] - رضي الله عنه -

- وفي سنن النسائي عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه -

- وفي كتاب التفرد لأبي داود عن كعب الأحبار[3] - رضي الله عنه -

وأبي سعيد الخدري[4] - رضي الله عنه -

وأبي هريرة - رضي الله عنه -

وأم أيمن - رضي الله عنها -

بعد هذا العرض الموجز للأسانيد والمرويات، يتبيّن لنا، أن حنش الصنعاني - رحمه الله -، دخل الأندلس بعلم غزير.

---

(١) تهذيب الكمال ٤٢٩/٧ رقم: الترجمة ١٥٥٥.
وتاريخ البخاري ٩٩/٣ رقم: ٣٤٣.
وتهذيب التهذيب ٥٧/٣.
وميزان الاعتدال ٦٢٠/١ رقم: ٢٣٦٩ (طبعة دار الفكر بدون تاريخ). والجرح والتعديل ٢٩/٣ رقم: ١٢٩٨.

(٢) فضالة بن عبيد بن نافذة بن قيس الأنصاري الأوسي شهد بدراً ثم نزل دمشق وولي قضاءها توفي - رضي الله عنه سنة ٥٨هـ (التقريب ص: ٤٤٥ رقم: ٥٣٩٥).

(٣) هو كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق ثقة من الثانية، مخضرم، كان من أهل اليمن نسكن الشام مات في آخر خلافة عثمان وقد زاد على المائة (التقريب ص: ٤٦١ رقم: ٥٦٤٨).

(٤) أبو سعيد الخدري هو سعد بن مالك بن سنان له ولأبيه صحبة - روى الكثير مات بالمدينة سنة ٦٥ وقيل ٧٤هـ، (تقريب التهذيب ص: ٢٣٢ رقم: ٢٢٥٣).

وإذا ثبت ما قاله ابن الفرضي من أن حنشاً توفي بسرقسطة فإن ذلك يعني أنه قضى حوالي ثمان سنوات في الأندلس مجاهداً ومحدّثاً وداعياً إلى الله.

- عبدالله بن يزيد الحبلي:

١ - ترجمته:

هو أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن يزيد المعافري ثم الحبلي ذكره صاحب رياض النفوس[1]، في التابعين العشر الذين أرسلهم عمر بن عبدالعزيز ليفقّهوا أهل المغرب. وعده ابن الفرضي[2]، في من دخل الأندلس من التابعين مع موسى بن نصير، كذا ذكره ابن حبيب في تاريخه[3]. توفي - رحمه الله - بالقيروان سنة مائة[4]، ويذكر أهل قرطبة أنه توفي بقرطبة، وأنه دفن بقبليها، وقبره مشهور[5]، والله تعالى أعلم بحقيقة الأمر في ذلك. قال البخاري[6]: «عبدالله بن يزيد أبو عبدالرحمٰن الحبلي يُعد في المصريين». وكان فاضلاً جليلاً من جملة التابعين.

٢ - مبلغه من العلم:

كان عبدالله بن يزيد - رحمه الله - على مبلغ عظيم من العلم وكثرة مروياته تدلّ على غزارة علمه وسعة اطلاعه.

---

(١) رياض النفوس ص: ٦٤/١.

(٢) تاريخ ابن الفرضي ١٢١/١ ترجمة رقم: ٦٣٣.

(٣) تاريخ عبدالملك بن حبيب ص: ١٤٢.

(٤) رياض النفوس ص: ٦٤/١.

(٥) نفح الطيب ص: ٩/٣.

(٦) التاريخ الكبير للبخاري ٢٢٦/٥ رقم: الترجمة ٧٣٩، له ترجمة في تهذيب التهذيب ٨١/٦.
وفي الجرح والتعديل ١٩٧/٥ رقم: الترجمة ٩١٧.
وتهذيب الكمال ٣١٦/١٦ رقم: الترجمة ٣٦٦٣.

ولعلمه وورع اختاره عمر بن عبدالعزيز ليفقّه أهلَ إفريقيا. قال أبو بكر المالكي في تاريخ القيروان: «بعثه عمر بن عبدالعزيز إلى إفريقيا ليفقّههم فبث فيها علماً كثيراً»[1].

روى عن جماعة من الصحابة منهم[2]:

جابر بن عبدالله - وعبدالله بن عمر بن الخطاب - وعبدالله بن عمرو - وعقبة بن عامر الجهني - وعمارة بن شبيب السبئي - وفضالة بن عبيد - وقبيصة بن ذؤيب - والمستورد بن شداد - وأبي سعيد الخدري - وأبو عبدالله الصنابحي - وأبي ذر الغفاري.

وروى عنه[3]:

بكر بن سوادة الجذامي - والجلاح أبو كثير - وأبو هانىء حميد بن هانىء الخولاني - ويحيى بن عبدالله المعافري - وربيعة بن سيف - وأبو عقيل زهرة بن معبد - شرحبيل بن شريك - وعامر بن يحيى المعافري - وعبدالله بن هبيرة السبئي - وعبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم الإفريقي. أخرج له مسلم في صحيحه - والبخاري في الأدب المفرد. والترمذي في سننه - والنسائي في السّنن وفي عمل اليوم والليلة - وأبو داود في سننه - وابن ماجه في سننه.

٣ - ثقته وعدالته:

لقد نصّ جهابذة علماء هذا الفن على ثقة وعدالة عبدالله بن يزيد،

(١) كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لعبدالرحمٰن بن محمد بن عبدالله الأنصاري المعروف بالدباغ - الجزء الأول. (طبع بالمطبعة العربية التونسية ١٣٢٠هـ) وانظر تهذيب الكمال ٣١٧/١٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٨١/٦ وتهذيب الكمال ٣١٦/١٦ ترجمة رقم: ٣٦٦٣.

(٣) المصدر السابق وتاريخ البخاري الكبير ٢٢٦/٥ ترجمة رقم: ٧٣٩.

قال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين: ثقة[1]. وذكره ابن حبان في كتاب الثقات[2]. وقال ابن سعد في طبقاته: كان ثقة[3]. وقال العجلي في تاريخ الثقات: شامي تابعي ثقة[4].

كل ما تقدم من أقوال العلماء في - عبدالله بن يزيد الحبلي - يشهد لمكانته العلمية وورعه، ويدل على مبلغ ثقته وصدقه، ولا أدل على ذلك من اصطفاء عمر بن عبدالعزيز له وترشيحه لتفقيه أهل أفريقية. وقد جاوز - رحمه الله - العدوة ودخل الأندلس مجاهداً وداعياً إلى الله[5]، - توفي سنة - مائة، قيل في القيروان وقيل في قرطبة.

بعد هذا العرض الموجز لحياة التابعي الجليل - عبدالله بن يزيد الحلبي، وأقوال العلماء فيه، نورد في ما يلي نماذج من مروياته.

نماذج من مروياته:

١ - من صحيح مسلم:

حدثني أبو طاهر أحمد بن عمرو بن سرحٍ[6]، أخبرنا ابن وهب[7]، أخبرني أبو هانىء سمع أبا عبدالرحمٰن الحبليَّ يقول: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال:

(١) تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي ص: ١٤٢ ترجمة رقم: ٤٧٧ (طبعة جامعة الملك عبدالعزيز - مكة).

(٢) كتاب الثقات لابن حبان ٥١/٥.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥١١/٧ (دار صادر بيروت ١٩٥٨).

(٤) تاريخ الثقات للعجلي ص: ٢٨٣ رقم الترجمة: ٩٠٩.

(٥) تاريخ ابن الفرضي: ٢١٢/١ رقم الترجمة: ٦٣٣.

(٦) أحمد بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن السرح - أبو طاهر المصري - ثقة - مات سنة ٢٥٠هـ (تقريب التهذيب ص: ٨٣ رقم: ٨٥).

(٧) هو عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم المصري - أبو محمد الفقيه - ثقة حافظ عابد مات سنة ١٩٧هـ (التقريب ص: ٣٢٨ رقم: ٣٦٩٤).

نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك. قال أبو عبدالرحمٰن: وجاء ثلاثة نفر إلى عبدالله بن عمرو بن العاص وأنا عنده فقالوا: يا أبا محمد، إنا والله ما نقدر على شيء لا نَفَقَة ولا دابة ولا متاع فقال لهم: ما شئتم إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسّر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان، وإن شئتم صبرتم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً**»، قالوا: فإنا نصبر لا نسأل شيئاً[1].

٢ ـ من سنن الترمذي:

حدثنا أحمد بن محمد[2]، حدثنا عبدالله بن المبارك[3]، عن حيوة بن شريح[4]، عن شرحبيل بن شريك عن أبي عبدالرحمٰن الحبلي عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»[5].

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وأخرج له أبو عيسى الترمذي حديثين آخرين: الأول عن عبدالله بن عمرو بن العاص[6]، والآخر عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنهم ـ[7].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقاق ـ باب النهي عن الدخول على أهل الحجر حديث رقم: ٢٩٧٩.

(٢) أحمد بن محمد بن موسى أبو العباس السمسار المعروف بمردويه ـ ثقة حافظ مات سنة ٢٣٥هـ أخرج له البخاري والترمذي والنسائي (انظر تقريب التقريب ص: ٨٤ رقم: ١٠٠).

(٣) عبدالله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة، ثقة، ثبت، فقيه، عالم، مجاهد مات سنة ١٨١هـ وله ثلاث وستون سنة (التقريب ص: ٣٢٠ رقم: ٣٥٧٠).

(٤) حيوة بن شريح بن صفوان ـ أبو زرعة المصري ثقة ثبت فقيه زاهد مات ١٥٨ أو ١٥٩هـ (تقريب التهذيب ص: ١٨٥ رقم: ١٦٠٠).

(٥) سنن الترمذي ٣٣٣/٤ حديث رقم: ١٩٤٤ (طبعة اسطنبول تحقيق أحمد شاكر ١٩٨١).

(٦) المصدر السابق ٣٥٢/٤ حديث رقم: ١٩٨٠.

(٧) المصدر السابق ٦٣/٥ حديث رقم: ٢٧٠٧.

ـ حبان بن أبي جبلة:

١ ـ ترجمته:

هو حبان بن أبي جبلة ـ بكسر أوله ثم موحّدة ـ القرشي المصري مولى بني عبد الدار، ويقال مولى بني حسنة قال أبو سعيد بن يونس: كان بإفريقيا بعث به إليها عمر بن عبدالعزيز مع جماعة من الفقهاء من أهل مصر ليفقّهوا أهلها. يقال توفي بإفريقيا سنة اثنتين وعشرين ومائة[1]، كذا قال ابن الفرضي[2]، وقيل توفي بإفريقيا سنة خمس وعشرين ومائة[3]، قال ابن حجر في الإصابة[4]: «قال ابن يونس: بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل مصر يفقههم»، والصحيح ما ذكره المزي وابن الفرضي.

قال ابن حبان في كتاب الثقات: ومن قال: حبان بن أبي جبلة فقد وهم[5]. وذكر ابن الفرضي عن يوسف بن يحيى المغامي: أن حبان بن أبي جبلة غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الأندلس حتى انتهى إلى حصن من حصونها يقال له: قرقشونة، فتوفي بها، والله أعلم[6].

٢ ـ مكانته في الحديث وأقوال العلماء فيه:

هو من التابعين العشر الذين انتدبهم عمر بن عبدالعزيز ليفقهوا أهل إفريقيا، وممن دخل الأندلس للجهاد والرباط والدعوة إلى الله[7]. كان ـ رحمه الله ـ من أهل الفضل والدين، روى عن جماعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ منهم:

---

(١) تهذيب الكمال ٣٣٢/٥ رقم: الترجمة ١٠٦٦.

(٢) تاريخ ابن الفرضي ١٤٦/١ رقم: الترجمة: ٣٨٣.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي: ٧١/٨ (دار الكتاب العربي ط ٢ بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م).

(٤) الإصابة لابن حجر ٣٧٢/١ رقم: الترجمة: ١٩٤٥ (دار الكتاب العربي بيروت).

(٥) كتاب الثقات لابن حبّان ١٨١/٤.

(٦) تاريخ ابن الفرضي ١٤٦/١ رقم: ٣٨٣. ونفح الطيب ٩/٣.

(٧) رياض النفوس ٧٣/١ ومعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الدباغ ص: ٢٠٩/١ (مكتبة الخانجي ـ مصر ـ ١٩٦٨).

عبدالله بن عباس ـ وعمرو بن العاص ـ وعبدالله بن عمرو بن العاص ـ وعبدالله بن عمر بن الخطاب[1].

وعنه: عبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم، وأبو شيبة عبدالرحمٰن بن يحيى الصدائي، وعبيدالله بن زحر، وموسى بن علي بن رباح اللخمي[2].

قال ابن حجر في الإصابة[3]، تابعي له إدراك، وذكره فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره. وذكره ابن حبان في كتاب الثقات[4].

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب[5]: وثقه أبو العرب الصقلي في طبقات أهل إفريقيا.

أخرج له الإمام البخاري في الأدب المفرد[6]، وابن سنجر في مسنده[7]، وأبو يعلى الموصلي في المسند[8].

ـ نماذج من مروياته:

١ ـ من مسند أبي يعلى[9]:

حدثنا داود بن رشيد[10]، حدثنا الوليد، عن يحيى بن عبدالرحمٰن بن

(١) تهذيب الكمال ٣٣٢/٥.
(٢) تاريخ ابن الفرضي ١٢٢/١ رقم: ٣٨٣.
(٣) الإصابة لابن حجر ص: ٣٦٨/١ رقم: الترجمة: ١٩٤٥.
(٤) كتاب الثقات: ١٨١/٤.
(٥) تهذيب التهذيب ص: ١٧١/٢.
(٦) الأدب المفرد ص: ٣٥١ رقم: الحديث ١٠١٧ (ط٢ ـ القاهرة ١٣٧٩هـ).
(٧) ذكر ذلك صاحب رياض النفوس ص: ٧٣/١.
(٨) مسند أبي يعلى الموصلي ٣٣١/١٣ (دار المأمون للتراث ـ دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
(٩) أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي الحافظ الثقة المتوفى بالموصل سنة ٣٠٧هـ، وقد زاد على المائة (الرسالة المستطرفة ص: ٥٣).
(١٠) داود بن رشيد بالتصغير ـ الخوارزمي نزيل بغداد ـ ثقة مات سنة ٢٣٩هـ (التقريب ص: ١٩٨ رقم: ١٧٨٤).

حاطب عن حبان بن أبي جبلة عن عمرو بن العاص قال: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد في حربه منذ أسلمنا أحداً من أصحابه[1].

الحديث رجاله ثقات غير أن الوليد بن مسلم[2]، قد عنعن وهو كثير التدليس والتسوية.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد[3]، وقال رجاله ثقات.

٢ ـ من الأدب المفرد للبخاري[4]: باب لا يُسَلِّمُ على شرّاب الخمر، حدثنا سعيد بن أبي مريم[5]: حدثنا بكر بن مضر[6]، قال: حدثنا عبيدالله بن زحر[7]، عن حبان بن أبي جبلة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: لا تُسلِّموا على شرّاب الخمر. وذكره ابن حجر في الفتح[8]، بلفظ: «لا تسلّموا على شربة الخمر» كذا ذكره ابن الفرضي[9]، بنفس سند البخاري.

ـ المغيرة بن أبي بردة:

١ ـ ترجمته:

هو المغيرة بن أبي بردة من بني عبد الدار بن قصي، ويقال:

(١) مسند أبي يعلى الموصلي ٣٣١/١٣ حديث رقم: ٧٣٤٧.
(٢) الوليد بن مسلم القرشي ـ أبو العباس (ستأتي ترجمته في ص: ٢٦٢).
(٣) مجمع الزوائد ٣٥٠/٩.
(٤) الأدب المفرد: ص: ٣٥١ رقم: الحديث: ١٠١٧.
(٥) سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي أبو محمد المصري ثقة ثبت فقيه مات سنة ٢٢٤هـ التقريب ص: ٢٣٤ رقم: ٢٢٨٦.
(٦) بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصري ثقة ثبت مات سنة ١٧٣هـ (التقريب ص: ١٢٧ رقم: ٧٥١).
(٧) عبيدالله بن زحر الضمري مولاهم الإفريقي صدوق يخطئ من السادسة مات شاباً (ميزان الاعتدال ٦/٣ رقم: ٥٣٥٩).
(٨) فتح الباري ٤٢/١١.
(٩) تاريخ ابن الفرضي ١٤٦/١ ترجمته رقم: ٣٨٣.

المغيرة بن عبدالله بن أبي بردة، ويقال: عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني، حجازي[1].

قال ابن الأبّار[2]: واسمه: نشيط بن كنانة.

قال صاحب المعالم[3]: حليف بني عبد الدار، وقيل أنه من بني عبد الدار حليف كنانة.

غزا مع موسى بن نصير المغرب والأندلس، ولما قتل يزيد بن أبي مسلم أمير إفريقيا[4]، اجتمع أهل الفضل والدين على أن يولوا المغيرة لما علموا من فضله ودينه وحزمه فأبى عن ذلك[5].

وكان موسى بن نصير يخرجه أبداً على العساكر[6]. وولي غزو البحر لسليمان بن عبدالملك سنة ثمان وتسعين، والطالعة بالبعث من مصر لعمر بن عبدالعزيز سنة مائة[7].

٢ ـ مبلغه من العلم وأقوال العلماء فيه:

المغيرة بن أبي بردة نشيط بن كنانة، من أهل الفضل معدود في التابعين.

اشتهر ـ رحمه الله ـ بالدين والحزم، ولذلك صرفه الولاة إلى قيادة الجيوش وتدبير أمورها.

(١) تهذيب الكمال ص: ٣٥٢/٢٨ رقم: الترجمة ٦١٢٣.
(٢) التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبّار ٧٠٤/٢ رقم: الترجمة ١٧٨٧.
(٣) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لعبدالرحمٰن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ ص: ١٩٦/١.
(٤) يعني سنة اثنتين ومائة (تهذيب التهذيب ٢٥٧/١٠).
(٥) معالم الإيمان ١٩٧/١.
(٦) التكملة لابن الأبّار (مصدر سابق) ص: ٧٠٤/٢.
(٧) تهذيب الكمال ٣٥٣/٢٨.

روى عن:

زياد بن نُعَيْم الحضرمي، وأبي هريرة، وعن بعض بني مدلج[1].

وعنه روى:

الجلاج أبو كثير على خلاف فيه، والحارث بن يزيد وسعيد بن سلمة المخزومي، وقيل: سلمة بن سعيد، وعبدالله بن أبي صالح، وموسى بن الأشعث البلوي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن محمد القرشي، وأبو مرزوق التجيبي، وولده عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة[2].

أخرج له الأربعة، ومالك في الموطأ.

ذكره ابن حبان في الثقات[3]، وقال البخاري: سمع من أبي هريرة[4]، قال الذهبي في الميزان: المغيرة من أبي بردة عن أبي هريرة، وُثِّق بخلف[5]، وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من تابعي المدينة[6]، وقال أبو عبيد الآجري عن أبي داود: معروف[7]، وقال النسائي: ثقة[8]، كذا ذكره الخزرجي[9].

ـ نماذج من مروياته:

أ ـ من موطأ الإمام مالك ـ رحمه الله ـ:

(١) تهذيب الكمال ٣٥٢/٢٨ رقم: الترجمة ٦١٢٣، وتهذيب التهذيب ٢٥٦/١٠.
(٢) رياض النفوس: ٨٠/١، ومعالم الإيمان ١٩٦/١ رقم: الترجمة ٥٠ من التابعين.
(٣) كتاب الثقات لابن حبان ٤١٠/٥.
(٤) التاريخ الكبير للبخاري ٣٢٣/٧ رقم: الترجمة ١٣٨٩.
(٥) ميزان الاعتدال للذهبي: ٢٨٤/٥ رقم: الترجمة: ٨٧٠٢.
(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٤٠/٥.
(٧) تهذيب الكمال ٣٥٣/٢٨.
(٨) نفس المصدر السابق.
(٩) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ٤٩/٣ رقم: الترجمة ٧١٤٥.

حدثنا يحيى عن مالك عن صفوان بن سليم[١]، عن سعيد بن سلمة[٢]، من آل بني الأزرق عن المغيرة بن أبي بردة وهو من بني عبد الدار، أنه سمع أبا هريرة يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ به؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هو الطهور ماؤه الحل ميتته»**[٣].

وفي رواية النسائي[٤]: أفنتوضأ من ماء البحر؟

وفي مسند أحمد[٥]: **«هو الطهور ماؤه الحلال ميتته»**.

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد[٦]، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

٢ ـ من مسند الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ:

حدثنا عبدالله حدثني أبي ثنا قتيبة بن سعيد[٧]، قال: ثنا ابن لهيعة عن

---

(١) صفوان بن سليم المدني أبو عبدالله الزهري مولاهم ـ ثقة مفت عابد رُمي بالقدر مات سنة ١٣٢هـ وله اثنتان وسبعون سنة (تقريب التهذيب ص: ٢٧٦ رقم: ٢٩٣٣) و(التمهيد ص: ٢١٧/١٦ ـ ٢٢٠).

(٢) سعيد بن سلمة المخزومي من آل ابن الأزرق قال ابن عبدالبر لم يرو عنه إلا صفوان بن سليم: وثقه النسائي (التقريب ص: ٢٣٧ رقم: ٢٣٢٧) و(التمهيد ٢١٧/١٦ ـ ٢٢٠).

(٣) الموطأ ـ كتاب الطهارة ـ باب الطهور للوضوء حديث رقم: ١٢ ص: ٢٢ وص: ٤٩٥ (دار إحياء الكتب العربية).

(٤) ورواه الترمذي في كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور (عارضة الأحوذي ٨٧/١، ٨٨).
سنن النسائي ـ كتاب الطهارة ـ باب ماء البحر ٥٠/١.
وسنن ابن ماجه ـ كتاب الطهارة ـ باب الوضوء بماء البحر الحديث رقم: ٣٣٨.

(٥) مسند الإمام أحمد ٣٦٥/٥ عن عبدالله بن المغيرة بن أبي بردة عن بعض بني مدلج و٢٣٧/٢ عن المغيرة بن أبي بردة عن أبي هريرة.
ورواه أبو داود في سننه ٦٤/١ كتاب الطهارة باب الوضوء بماء البحر.

(٦) مجمع الزوائد للهيثمي ٢١٥/١ باب في ماء البحر.

(٧) مرت ترجمته.

يزيد بن أبي حبيب[١]، عن أبي مرزوق عن المغيرة بن أبي بردة عن زياد بن نعيم الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع فرضهن الله في الإسلام فمن جاء بثلاث لم يغنين عنه شيئاً حتى يأت بهن جميعاً، الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت»**[٢].

ذكره ابن الأثير في أسد الغابة وقال: قال ابن منده: زياد بن نعيم الحضرمي، ذكره ابن أبي خيثمة في الصحابة وهو تابعي قاله أبو سعيد بن يونس[٣].

وعليه فالحديث مرسل. إضافة إلى أن ابن لهيعة متكلم فيه[٤].

هذا وقد كان المغيرة بن أبي بردة ـ رحمه الله ـ على جانب عظيم من الورع والأمانة والفضل، وكان كثير الصدقة لا يرد سائلاً.

ولأمانته ودينه، أجمع أهل الفضل والدين بإفريقيا على أن يولّوه عليهم بعد مقتل يزيد بن أبي مسلم، إلا أنه أبى عن ذلك، رغبة منه في السلامة[٥].

---

(١) يزيد بن أبي حبيب المصري أبو رجاء ثقة فقيه وكان يرسل مات سنة ١٢٨هـ (التقريب ص: ٦٠٠ رقم: ٧٧٠).

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٠٠/٤ ـ ٢٠١.
الإصابة ٥٥٩/١ ترجمة رقم: ٢٨٦٦.
كنز العمال للهندي ٣٠/١ حديث رقم: ٣٣.
الدر المنثور للسيوطي ٢٩٨/١ (قم ـ إيران ١٤٠٤هـ ق).
الترغيب والترهيب للمنذري ٣٨٤/١، وذكره مرفوعا عن عمارة ابن حزم٥٤/١.
مجمع الزوائد للهيثمي مرفوعاً عن عمارة بن حزم ٤٧/١ باب فيما بني عليه الإسلام. قال الهيثمي في إسناده ابن لهيعة.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير ٢٧٤/٢ رقم الترجمة: ١٨١١ (القاهرة ١٩٧٠).

(٤) انظر الفتح الرباني لأحمد عبدالرحمٰن البنا ص: ٧٩/١، دار الشهاب القاهرة.

(٥) معالم الإيمان ١٩٧/١.

ـ علي بن رباح:

١ ـ ترجمته:

هو علي بن رباح بن قصير بن القشيب بن يَيْنَع بن أردة بن حجر بن جزيلة بن لخم اللخمي، أبو عبدالله ويقال: أبو موسى، المصري، والد موسى بن علي بن رباح، والمشهور فيه عُلي بالضم[١].

قال ابن الفرضي علي بن رباح بن نصير (بالنون) اللخمي من أزده (بالزاي)[٢]، ثم من بني القشيب.

ولد سنة خمس عشرة، يوم اليرموك. وكان أعور، ذهبت عينه يوم ذي السواري في البحر، مع عبدالله بن سعيد: سنة أربع وثلاثين، توفي ـ رحمه الله ـ سنة أربع عشرة أو سبع عشرة ومائة.

قال في رياض النفوس: كان فاضلاً جليلاً من جملة التابعين[٣]، دخل الأندلس مع موسى بن نصير.

٢ ـ مكانته في الحديث:

يعدّ علي بن رباح اللخمي ـ رحمه الله ـ من كبار علماء التابعين الذين دخلوا الأندلس، روى عن جماعة من الصحابة منهم:

عمرو بن العاص ـ وعبدالله بن عمرو ـ وأبو هريرة ـ وعائشة أم المؤمنين ـ وعبدالله بن عباس ـ وفضالة بن عبيد ـ وعقبة بن عامر الجهني ـ

(١) ترجمته في تهذيب الكمال ٢٠/٤٦٠ رقم: الترجمة ٤٠٦٧.
ابن الفرضي ١/٣١٠ رقم: الترجمة ٩١٥.
طبقات ابن سعد ٧/٥١٢.
التاريخ الكبير للبخاري ٦/٢٧٤ رقم: الترجمة ٢٣٨٧.
ثقات ابن حبان ٥/١٦١ سير أعلام النبلاء ٥/١٠١ و ٧/٤١٢.
تهذيب التهذيب ٧/٣١٨، وثقات العجلي ص: ٣٤٦ رقم: الترجمة ١١٨٤.

(٢) تاريخ ابن الفرضي ص: ١/٣١١.

(٣) رياض النفوس ص: ١/٧٧.

ومعاوية بن خديج ـ ومعاوية بن أبي سفيان ـ وأبي رافع مولى رسول الله ﷺ وأبي قتادة الأنصاري ـ والمستورد بن شداد ـ وسراقة بن مالك بن جعشم ـ وأبي قيس مولى عمرو بن العاص[١]، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

وعنه: ابنه موسى ـ وأبو هانىء حميد بن هانىء ـ ويزيد بن أبي حبيب ـ وحنين بن أبي حكيم ـ والحكم بن عبدالله البلوي ـ والحارث بن يزيد الحضرمي وغيرهم[٢].

قال الذهبي[٣]: كان من كبار علماء التابعين، سئل عنه أحمد بن حنبل فقال: ما علمت إلا خيراً، وذكره ابن حبان في الثقات[٤]، وقال العجلي: تابعي ثقة[٥]. وأورده ابن سعد[٦]، في الطبقة الثانية من أهل مصر قال: كان ثقة، وقيل: إن حديثه من خمسمائة حديث إلى ستمائة وكان من أشراف العرب[٧].

أخرج له مسلم عن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد والمستورد بن شداد، وأبي قيس مولى عمرو بن العاص.

والبخاري في أفعال العباد عن جنادة بن أبي أمية، وفي الأدب المفرد عن رافع بن خديج وسراقة بن مالك بن جعشم، وزيد بن ثابت.

وأبو داود في السنن عن عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو.

وابن ماجه في السنن عن عمرو بن العاص وعتبة بن المنذر وأبي

(١) تهذيب الكمال ٢٠/٤٢٦ ـ ورياض النفوس: ١/٧٧ ـ تاريخ البخاري ٦/٢٧٤ رقم: ٢٣٨٧.

(٢) تهذيب التهذيب ٧/٣١٨ رقم: الترجمة ٥٤٠، وتاريخ ابن الفرضي ١/٣١٠ رقم: ٩١٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/١٠١.

(٤) ثقات ابن حبان ٥/١٦١.

(٥) تاريخ الثقات للعجلي ص: ٣٤٦ رقم: الترجمة: ١١٨٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٧/٥١٢.

(٧) سير أعلام النبلاء ٥/١٠١ و ٧/٤١٢.

قتادة الأنصاري. والنسائي في السنن عن معاوية بن خديج ومعاوية بن أبي سفيان.

والترمذي في الجامع عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ.

وأبي قتادة الأنصاري[1].

وكان علي بن رباح اللخمي ـ رحمه الله ـ معروفاً بين معاصريه بغزارة العلم، ويكفي دليلاً على ذلك كثرة مروياته التي زخرت بها كتب الحديث.

ـ نماذج من مروياته:

١ ـ من مسند الإمام أحمد بن حنبل:

حدثنا عبدالله، حدثني أبي، ثنا وكيع، عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول: «ثلاث ساعات كان ينهانا رسول الله ﷺ أن نصلي فيهنّ أو نقبر فيهنّ موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيَّف للغروب حتى تغرب»[2].

٢ ـ من سنن الدارمي:

حدثنا عبدالله بن صالح قال: حدثني موسى عن أبيه، عن عقبة بن

(١) انظر تهذيب الكمال ٤٢٦/٢٠.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد ١٥٢/٤ (المسند طبعة اسطنبول ١٩٨١).
ومسلم في الصلاة باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها ٥٦٨/١ حديث رقم: ٨٣١. وأبو داود في الجنائز باب الدفن عند طلوع الشمس وعند غروبها ٥٣١/٣ رقم: ٣١٩٢. طبعة اسطنبول ١٩٨١م. والترمذي: باب ما جاء في كراهية الصلاة على الجنائز عند طلوع الشمس وعند غروبها ٣٤٨/٣ رقم: ١٠٣٠ طبعة اسطنبول: ١٩٨١م. والنسائي: في الجنائز، باب الساعات التي نهي عن الإقبار فيها ٨٢/٤ رقم: ٨٩ طبعة اسطنبول ١٩٨١.
وابن ماجه: باب ما جاء في الأوقات التي لا يصلى فيها على الميت ٤٨٦/١ رقم: ١٥١٩.

عامر: أن رسول الله ﷺ قال: **«تعلّموا كتاب الله وتعاهدوه وأقتنوه وتغنوا به، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلّتاً من المخاض في العقل»**[1].

إن علي بن رباح اللخمي ـ رحمه الله ـ جمع بين غزارة العلم وكثرة الرواية، أما الثقة والعدالة، فقد أقرها له جهابذة هذا الفنّ. وكل ما تقدم من أقوال العلماء فيه يشهد لمكانته العلمية، ويكفيه أن أخرج له أصحاب الكتب الستة[2].

إن التابعين الذي دخلوا الأندلس للجهاد والرباط والدعوة إلى الله، أكثر من أن نلمّ بهم في مثل هذا المبحث.

قال عبدالملك بن حبيب في تاريخه: «دخل الأندلس من التابعين سوى من لا يعرف، نحواً من عشرين رجلاً، بهؤلاء وغيرهم أقبل موسى بن نصير إلى إفريقيا»[3]. وقد ألّف ابن بشكوال في ذلك كتاباً حافلاً سماه: [التنبيه والتعيين، لمن دخل الأندلس من التابعين] ذكر فيه أنه دخل الأندلس من التابعين ثمانية وعشرين رجلاً[4].

ومن بين الذين دخلوا الأندلس من التابعين، من اشتهر بالإمارة وقيادة الجيوش الفاتحة، فلم يؤثر لهم على مرويات كثيرة في كتب السنّة، من هؤلاء:

(١) رواه الدارمي في سننه باب في تعاهد القرآن ٢٥٢/٢ (مطبعة نشر السنة ملتان)، وأحمد في المسند ١٥٠/٤عن عقبة بن عامر الجهني. والهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٩/٧ وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) ذكرنا أن علي بن رباح أخرج له الجماعة إلا البخاري، إلا أنني وجدت أن البخاري قال في باب غزوة ذات الرقاع من صحيحه «وقال بكر بن سوادة: حدثنا زياد بن نافع، عن أبي موسى، أن جابراً حدّثهم، قال: صلّى ﷺ بهم يوم «محارب وثعلبة» يعني صلاة الخوف». (انظر فتح الباري ٣٣٧/٧، وتهذيب الكمال ٤٣٠/٢٠). قال ابن حجر، وأبو موسى هذا قال أبو مسعود الدمشقي وغيره هو علي بن رباح، وقيل هو أبو موسى الغافقي. فإذا ثبت أنه علي بن رباح يكون بذلك قد أخرج له الستة.

(٣) تاريخ عبدالملك بن حبيب ص: ١٣٨.

(٤) نفح الطيب ٢٨٨/١.

١ ـ موسى بن نصير ـ رحمه الله ـ:

وهو موسى بن نصير بن عبدالرحمٰن بن زيد اللخمي بالولاء أبو عبدالرحمٰن.

كان أبوه نصير على حرس معاوية.

كانت ولادة موسى بن نصير في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة تسع عشرة من الهجرة النبويّة[١].

قال الحجاري[٢]: أن أصله من وادي القرى بالحجاز، وأنه خدم بني مروان بدمشق وتنبه شأنه، فصرّفوه في ممالكهم إلى أن ولي إفريقيا وما وراءها من المغرب في زمن الوليد بن عبدالملك.

قال ابن حبيب[٣]: وكان دخول موسى بن نصير الأندلس في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وهو ابن ستين سنة، وأقام بالأندلس سنتين وشهر.

قال الذهبي[٤]: الأمير الكبير أبو عبدالرحمٰن موسى بن نصير اللخمي يروي عن تميم الداري، حدّث عنه ولده عبدالعزيز ويزيد بن مسروق.

وقد حجّ موسى مع سليمان بن عبدالملك فمات بالمدينة[٥]، وقيل: عزله سليمان ونكبه[٦]. توفي رحمه الله سنة سبع وتسعين للهجرة.

---

(١) تاريخ ابن حبيب ص: ١٣٨، ونفح الطيب ٢٨٣/١.
(٢) نفح الطيب ٢٨٣/١.
(٣) تاريخ ابن حبيب ص: ٢٤٦.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤٩٦/٤ رقم الترجمة: ١٩٥.
(٥) المصدر السابق، وانظر كذلك تاريخ ابن الفرضي ١٤٤/٢ رقم الترجمة: ١٤٥٦.
(٦) نفح الطيب ٢٨٢/١ ـ ٢٨٣. والأعلام للزركلي ٢٨٥/٨.
وانظر كذلك مزيد تفصيل عنه في البيان المغرب لابن عذارى المراكشي ٢٣/٢ (مطبعة المناهل ـ ١٩٥٠) دار صادر بيروت.

٢ ـ عبدالرحمٰن بن عبدالله الغافقي أمير الأندلس:

روى عن ابن عمر وعنه عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قال عثمان بن سعيد الدارمي: سألت يحيى بن معين عنه فقال: لا أعرفه[١]، وقال ابن عدي: إذا لم يعرف ابن معين الرجل فهو مجهول.

قال ابن حجر[٢]: هذا الذي ذكر ابن عدي قاله في ترجمة عبدالرحمٰن بن آدم عقب قول ابن معين في كل منهما: لا أعرفه، وهو لا يتمشى في كل الأحوال، فربّ رجل لم يعرفه ابن معين بالثقة والعدالة وعرفه غيره.

وهذا الرجل يعني: (عبدالرحمٰن بن عبدالله الغافقي) قد عرفه ابن يونس وإليه المرجع في معرفة أهل مصر والمغرب، وقد ذكره ابن خلفون في الثقات وقال: كان رجلاً صالحاً جميل السيرة، استشهد في قتال الفرنجة في شهر رمضان سنة خمس عشرة ومائة.

وقال البخاري في التاريخ الصغير[٣]: قتل سنة اثنتين وعشرين ومائة، وقد أخرج له أبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل حديثاً واحداً في ذمّ الخمر:

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز، عن أبي طعمة[٤] مولاهم وعن عبدالرحمٰن بن عبدالله الغافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: **«لعنت الخمر على عشرة وجوه: لعنت الخمر بعينها، وشاربها وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها».**

---

(١) تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي ترجمة رقم: ٤٨١.
(٢) تهذيب التهذيب ٢١٧/٦.
(٣) التاريخ الصغير للبخاري ص: ١٤٢ (إله آباد الهند الطبعة الاولى ١٣٢٥هـ).
(٤) أبو طُعْمة شامي سكن مصر، وكان مولى عمر بن عبدالعزيز يقال اسمه هلال ـ مقبول من الرابعة، انظر ترجمته في (تقريب التهذيب ص: ٦٥١ رقم: ٨١٨٦).

قال العلاّمة أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح[1].

ومِمن دخل الأندلس من التابعين غير الذي ذكرنا.

٣ ـ عياض بن عقبة بن نافع الفهري، أبو يحيى:

قال في رياض النفوس[2]: كان من جلة التابعين وفضلاء المؤمنين، يروي عن عبدالله بن أبي حبيب وإسحاق بن أبي فروة. توفي بمصر سنة مائة للهجرة[3].

٤ ـ **عبدالجبار بن أبي سلمة بن عبدالرحمٰن بن عوف الزهري** على ما ذكره المقري في نفح الطيب[4].

٥ ـ ومِمن دخل الأندلس من التابعين: **محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري**، الذي غزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير. وكان من أهل الدين والفضل، معروفاً بالفقه[5].

٦ ـ **زيد بن قاصد السكسكي**: تابعي، دخل الأندلس وحضر فتحها: وأصله من مصر، يروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعنه عبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم[6].

بعد هذا العرض الموجز لتراجم أشهر من دخل الأندلس من التابعين،

---

(١) مسند الإمام أحمد بشرح أحمد محمد شاكر ١٦/٧ رقم: الحديث ٤٧٨٧، طبعة دار المعارف ـ مصر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م. وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم: ٣٣٨٠.
وأخرجه أبو داود في سننه ٨١/٤ حديث رقم: ٣٦٧٤ لكنه قال فيه عن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز عن (أبي علقمة). وذكره الإمام المزي في تهذيب الكمال بسنده ٢٤٤/١٧.

(٢) رياض النفوس ٨٤/١.

(٣) ذكره ابن حبيب في تاريخه (ص: ١٤٢) في عداد التابعين الذين دخلوا الأندلس ولم يغلّوا.

(٤) نفح الطيب ١١/٣.

(٥) بغية الملتمس ص: ٥١، ترجمة رقم: ٦٧.

(٦) بغية الملتمس ص: ٢٨١، ترجمة رقم: ٧٥٧.

وذكر نماذج من مروياتهم ومبلغها من الصحة، وأقوال العلماء فيهم، نستخلص النتائج الآتية:

١ ـ أن التابعين الذين دخلوا الأندلس لم يكونوا على مبلغ واحد من العلم. فمنهم من اشتهر بالرواية ومنهم من نبغ في الإمارة وقيادة الجيوش.

٢ ـ أسهم التابعون الذين دخلوا الأندلس في نقل حديث رسول الله ﷺ خاصة من اشتهر منهم بالعدالة وكثرة الرواية. كعلي بن رباح اللخمي الذي يعدُّ من كبار علماء التابعين، وحديثه من خمسمائة إلى ستمائة. وحنش بن عبدالله الصنعاني الذي وثقه جهابذة العلماء وأخرج له الإمام مسلم في صحيحه والأئمة الأربعة في سننهم. وغيرهم ممن أسهم في انتقال: حديث رسول الله ﷺ إلى الأندلس.

٣ ـ بعض التابعين الذين دخلوا الأندلس، على عدالتهم وفضلهم، لم يشتهروا بكثرة الرواية، وإنما نبغوا في الإمارة وقيادة الجيوش والفتوحات كموسى بن نصير اللخمي صاحب فتح الأندلس.

وعبدالرحمٰن بن عبدالله الغافقي أمير الأندلس الذي استشهد في قتال الروم سنة خمس عشرة ومائة.

٤ ـ أن الصحابة والتابعين الذين دخلوا الأندلس كان لهم فضل السبق في إيصال حديث رسول الله ﷺ إلى تلك الربوع.

٥ ـ أن ما وصل إلى بلاد الأندلس من حديث رسول الله ﷺ عن طريق الجيوش الفاتحة كان بمثابة النواة الأولى لمدرسة الحديث بالأندلس.

هذا وقد تضافرت عدة عوامل أخرى ساعدت في انتقال الحديث النبوي الشريف إلى الأندلس كالرحلة في طلب العلم، والرحلة إلى الحج وانتشار المذاهب الفقهية، وهو ما سنتناوله بالبحث والدراسة في الفصل القادم ـ إن شاء الله ـ.

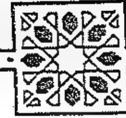
الفصل الثالث

العوامل التي ساعدت على انتقال علم الحديث إلى الأندلس

المبحث الأول: الرحلة في طلب العلم.

المبحث الثاني: الرحلة إلى الحج.

المبحث الثالث: المذاهب الفقهية.



المبحث الأول: الرحلة في طلب العلم

إن من العوامل التي ساعدت في انتشار الحديث الشريف وعلومه في ربوع الأندلس، الرحلات التي كان يقوم بها العلماء وطلبة العلم، في طلب الحديث.

ومما لا شك فيه أن للرحلات في طلب الحديث فوائد كثيرة، منها الالتقاء بالشيوخ والسماع منهم مباشرة ومعرفة أحوالهم، ومنها معرفة الطرق المختلفة للحديث الواحد، فعلاوة على سماع الطالب لحديث أهل بلده وكتابته ومعرفة أهله منهم، يسمع الراوي من علماء الأمصار التي يرحل إليها، روايات وزيادات لم يسمعها في بلده، وبذلك يتحقق له العلوّ في الإسناد والتثبّت في المتون والأسانيد، ومعرفة أسباب ورود الأحاديث وغير ذلك من الفوائد واللطائف التي لا يُحصّلها إلا من رحل وصبر وسمع وقيّد واحتك بالرواة والمحدّثين.

- الرحلة في طلب الحديث عند الصحابة:

منذ أشرق نور الإسلام في ربوع الجزيرة العربية، بدأت الوفود تسافر إلى رسول الله ﷺ لسماع كلام الله عزّ وجلّ، ومعرفة تعاليم الدين الجديد ليعودوا إلى أقوامهم مبشّرين ومنذرين.

وقد سجّلت لنا كتب التاريخ صفحات خالدات من رحلات الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - في طلب الحديث الذي فاتهم سماعه منه ﷺ.

فهذا جابر بن عبدالله[١] - رضي الله عنه يقول: «بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فإذا عبدالله بن أنيس[٢]، الأنصاري، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابراً على الباب، فرجع إليّ الرسول، فقال: جابر بن عبدالله؟ فقلت نعم، فخرج إليّ فاعتنقته واعتنقني، قال، قلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه منه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الله تبارك وتعالى العباد حفاة عراة غرلاً بهما**» قال: قلنا: ما بُهما؟ قال: «**ليس معهم شيء. فيناديهم بصوت يسمعه من بعُد ويسمعه من قرب أنا الملك الديّان. لا ينبغي لأحد من أهل الجنّة أن يدخل الجنّة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة**»، قال: قلنا له: كيف وإنما نأتي الله عزّ وجلّ حفاة عراة غرلاً، قال: «**بالحسنات والسيئات**»[٣].

ورحل أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه إلى عقبة بن عامر فلما قدم مصر أخبروا عقبة فخرج إليه، قال: حَدِّثْنَا ما سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ستر مسلماً على خزية ستره الله**

(١) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمي، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن أربع وتسعين (التقريب ص: ١٣٦ رقم: ٨٧١).

(٢) عبدالله بن أنيس الجهني، أبو يحيى المدني، حليف الأنصار، صحابي شهد العقبة وأحد، ومات بالشام في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ (تقريب التهذيب ص: ٢٩٦ رقم: ٣٢١٦).

(٣) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وأدب السامع ٢/٢٢٥ (مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٣/١٩٨٣)، وابن حجر في الفتح ١/١٧٤ (مكتبة الغزالي دمشق) وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١/٩٣.

يوم القيامة» فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة وما حلّ رحله[1].

وكان الصحابة ـ رضي الله عنهم يشجّعون على طلب الحديث والرحلة لسماعه، من ذلك قول ابن عباس[2] ـ رضي الله عنهما ـ «كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ فلو أشاء أن أرسل إليه حتى يجيئني فيحدّثني، فعلت، ولكني كنت أذهب إليه فأقيل على بابه حتى يخرج إلي فيحدثني»[3].

وورث التابعون هذه السنّة الحميدة، فاستمرّت الرحلات في طلب الحديث بينهم، حتى لقد كان أحدهم يخرج وما يخرجه إلا الحديث عن صحابي يريد أن يسمعه منه لأنه سمعه من رسول الله ﷺ، وفي هذا يروى أن سعيد بن المسيّب[4]، قال: «إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»[5]، بل وقد رحل مسروق[6]، في حرف وأن أبا سعيد

---

(١) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم ٩٤/١ والحاكم في معرفة علوم الحديث ص: ٧ (دار إحياء العلوم بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

(٢) عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عمّ رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ـ ﷺ ـ، بالفهم في القرآن. فكان يسمى البحر، والحبر لسعة علمه، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة (تقريب التهذيب ص: ٣٠٩ رقم: ٣٤٠٩).

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص: ٩٤/١.

(٤) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، اتفقوا على أن مراسيله أصح المراسيل، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علما منه، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين (تقريب التهذيب ص: ٢٤١ رقم: ٢٣٩٦).

(٥) معرفة علوم الحديث للحاكم ص: ٨ وجامع بيان العلم ص: ٩٤/١.

(٦) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة الكوفي ثقة فقيه عابد، مخضرم. مات سنة اثنتين أو ثلاث وستين للهجرة. (تقريب التهذيب ص: ٥٢٨ رقم: ٦٦٠١).

رحل في حرف. وقال الشعبي[1]: «لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع»[2].

والحقيقة أن أخبار السلف ورحلاتهم في طلب الحديث كثيرة يضيق المقام بسردها.

الرحلة في طلب الحديث من وإلى الأندلس:

١ ـ رحلات الأندلسيين إلى المشرق طلباً للحديث:

شهدت بلاد الأندلس أفواجاً من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق لسماع حديث رسول الله ﷺ وجمع كتبه، والاستفادة من شيوخ الحديث والعلماء.

كان المقصود من رحلات محدّثي الأندلس إلى المشرق أموراً أهمها:

أ ـ تحصيل العلوّ في الإسناد.

ب ـ لقاء الحفاظ والاستفادة منهم.

فقد شهد القرن الثاني للهجرة طلائع المحدّثين الأندلسيين الذين توجهوا إلى المشرق قصد الأخذ والاستفادة من علمائه وفي مقدمتهم إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه الله[3] ـ ولعلّه من المناسب في هذا المقام ـ ولتوضيح ما أسهمت به هذه الرحلات في نشر الحديث النبوي الشريف

---

(١) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو، ثقة مشهور فقيه فاضل، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة وله نحو من ثمانين (تقريب التهذيب ص: ٢٨٧ رقم: ٣٠٩٢).

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٩٥/١.

(٣) إمام دار الهجرة مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن حثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح ـ وأمّه العالية بنت شريك بن عبدالرحمن، حمل به ثلاث سنين. الأخبار في إمامة مالك وحفظه وإتقانه وورعه وتثبته أكثر من أن تحصى، مات ـ رحمه الله ـ سنة تسع وسبعين ومائة وهو ابن سبع وثمانين سنة (التمهيد لابن عبدالبر ص: ٨٩/١).

وعلومه في الأندلس ـ أن نعرّف بطائفة من محدّثي الأندلس الذين كان لهم فضل السبق في الأخذ عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ:

١ ـ الغازي بن قيس: من أهل قرطبة يكنى، أبا محمد. رحل في صدر أيام الإمام عبدالرحمٰن بن معاوية، فسمع من مالك بن أنس، الموطأ، وسمع من محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي ذئب، وعبدالملك بن جريج والأوزاعي وغيرهم، وقرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة، وانصرف إلى الأندلس، وكان يحفظ الموطأ[1]. قال ابن عبدالبر كان (الغازي بن قيس) عاقلاً نبيلاً يروي حديثاً كثيراً ويتفقّه في المسائل، رأساً في علم القرآن[2]. توفي ـ رحمه الله ـ سنة تسع وتسعين ومائة.

٢ ـ زياد بن عبدالرحمٰن اللخمي: المعروف بزياد شبطون، هو زياد بن عبدالرحمٰن بن زياد بن عبدالرحمٰن بن زهير، من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبدالله. رحل إلى المدينة وسمع من مالك الموطأ، وله منه سماع هو معروف بسماع زياد.

روى عن أئمة الحديث وفطاحل العلماء منهم: الليث بن سعد وعبدالرحمٰن بن أبي الزناد ويحيى بن أيوب وموسى بن علي بن رباح وسفيان بن عيينة وغيرهم[3].

ويعتبر زياد بن عبدالرحمٰن أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكمّلاً متقناً[4]. قال يحيى الليثي: «زياد أول من أدخل الأندلس علم السنّن ومسائل الحلال والحرام»[5]. توفي ـ رحمه الله ـ سنة أربع ومائتين.

(١) تاريخ ابن الفرضي ٣٤٥/١ رقم: ١٠١٥. وبغية الملتمس للضبي ص: ٤٢٥ رقم: ١٢٧٢.

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣٤٨/١ (دار مكتبة الحياة ـ بيروت).

(٣) تاريخ ابن الفرضي ١٥٤/١، وبغية الملتمس ص: ٢٨٠ رقم: ٧٥١.

(٤) نفح الطيب للمقري التلمساني ٤٥/٢.

(٥) ترتيب المدارك: ٣٥٠/١.

٣ ـ يحيى بن يحيى الليثي: هو يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس، من أهل قرطبة من البربر من قبيلة مصمودة: تولى بني ليث، يكنى: أبا محمد.

سمع يحيى من زياد بن عبدالرحمٰن موطأ مالك بن أنس، ثم رحل إلى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فأثبت روايته فيها عن زياد. وسمع بمكة من سفيان بن عيينة، وبمصر من الليث بن سعد وعبدالله بن وهب وقدم الأندلس بعلم كثير، ورحل رحلة ثانية فألفى مالكاً عليلاً فأقام عنده إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ وحضر جنازته. وتوفي يحيى ـ رحمه الله ـ سنة أربع وثلاثين ومائة[1].

والحقيقة أن رحلات الأندلسيين في طلب الحديث استمرت ونشطت عبر العصور، ولم تقتصر على جهة معينة.

فقد ذكرت لنا كتب التاريخ أن الأندلسيين رحلوا وجالوا في أغلب البلاد الإسلامية ابتداءاً من العدوة (بلاد المغرب الأقصى) والقيروان ومروراً بمصر والشام والحجاز وإلى غاية ما وراء النهر.

فأما مصر والشام فكان المتوجّهون إلى الحج من الأندلسيين يمرون عليها. فيجلسون إلى العلماء والمحدّثين بها وأما الرحلة إلى خراسان وما جاورها فكانت محصورة، إذ أن كثيراً من علماء تلك الديار يفدون إلى الحج فيلتقي بهم الأندلسيون هناك فيأخذون منهم ما لم يجدونه عند مشايخ بلدهم.

ورغم ذلك فقد سُجلت رحلات لبعض المحدّثين الأندلسيين نحو أصبهان وخراسان ومرو ونيسابور، وفي ما يلي نورد نماذج من الذين جابوا تلك البقاع والأصقاع:

(١) تاريخ ابن الفرضي ص: ١٧٩/٢ رقم: ١٥٥٦.

١ ـ **سعيد بن نصر بن عمر بن خلفون**: من أهل أستجة، يكنى: أبا عثمان. سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ وغيره، ورحل إلى المشرق، ودخل بغداد فسمع من أبي علي بن الصوّاف، وإسماعيل الصفّار وأبي بكر أحمد بن كامل بن شجرة، وكان حافظاً للحديث، توفي ببخارى يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة خمسين وثلاثمائة. ذكره غنجار في تاريخ بخارى[١].

٢ ـ **عطية بن سعيد بن عبدالله**: يكنى، أبا محمد، أندلسي حافظ سمع بالأندلس من أبي محمد عبدالله بن محمد بن علي الباجي وطبقته وخرج منها قبل الأربعمائة. ذكر ذلك الحميدي[٢]. أخبر أبو محمد بن حزم أنه طاف بلاد المشرق سياحة وانتظمها سماعاً وبلغ إلى ما وراء النهر ثم عاد إلى نيسابور وأقام بها مدّة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثمان أو تسع وأربعمائة بمكة[٣].

٣ ـ **عبدالرحمٰن بن عبدالله بن خالد الهمداني**: الوهراني المعروف بابن الخرّاز، يكنى: أبا القاسم، روى بالمشرق عن أبي محمد بن شبوية المروزي وعن أبي بكر محمد بن صالح الأبهري الفقيه، قال ابن بشكوال: أخبرنا أبو محمد بن عتاب ـ رحمه الله ـ قال: أنا أبو القاسم حاتم بن محمد ونقله من خطه قال: أملى علينا أبو القاسم عبدالرحمٰن بن عبدالله بن خالد الهمداني قال: لما وصلت إلى مدينة مرو من مدائن خراسان سمعت الجامع الصحيح عن محمد بن عمر بن شبوية المروزي[٤]. وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة إحدى عشرة وأربعمائة.

٤ ـ **أحمد بن محمد بن عبدالرحمٰن الأنصاري**: الشارقي الواعظ يكنى: أبا العباس سمع بالمشرق من كريمة المروزية والقاضي أبي بكر بن

(١) الصلة لابن بشكوال ٢٠٣/١ رقم: ٤٦٣ (طبع سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).
(٢) جذوة المقتبس للحميدي ص: ٣٠١ رقم: ٧٤١.
(٣) بغية الملتمس ص: ٤٢٠ رقم: ١٢٦٠.
(٤) المصدر السابق ص: ٣٥٣ رقم: ١٠٦٢ والصلة لابن بشكوال ٣٠٥/١.

صدقة، وأبي الليث السمرقندي، ودرس على أبي إسحاق الشيرازي، ودخل العراق، وفارس، والأهواز ومصر، ثم انصرف إلى الأندلس. وتوفي ـ رحمه الله ـ بشرق الأندلس في نحو خمسمائة[١].

ومما زاد حركة الحديث بالأندلس نشاطاً وحيوية، رحلة كثير من المشارقة إلى الأندلس للأخذ عن علمائها والاستفادة منهم أو للتحديث بها وتبليغ ما استوعبوه من مشايخهم، أو الاستيطان بها، حيث اتسمت الرحلة عند المحدّثين بالأخذ والعطاء.

ومن بين المشارقة الوافدين على الأندلس نذكر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ، النماذج الآتية حسب البلدان التي قدموا منها:

٢ ـ رحلات محدّثي المشرق إلى الأندلس:

ـ الراحلون إلى الأندلس من العدوة (وهي بلاد المغرب الأقصى):

ـ **عبدالله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي**: من أهل أصيلة ويقال فيها أزيلة بالزاي (بلد بقرب طنجه)، يكنى: أبا محمد، قال ابن الفرضي: سمعته يقول: قدمت قرطبة سنة اثنتين وأربعين (وثلاثمائة)، فسمعت بها من أحمد بن مطرّف، وأحمد بن سعيد، ومحمد بن معاوية القرشي، ومن وهب بن مسرّة بوادي الحجارة. ثم رحل إلى العراق فسمع من علمائها، ثم وصل إلى الأندلس في آخر أيام المستنصر بالله، فشُووِرَ وقرأ عليه الناس كتاب البخاري رواية أبي زيد المروزي وغير ذلك، توفي ـ رحمه الله ـ سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[٢]، ودفن بقرطبة.

ـ **القاضي عياض بن موسى بن عياض**: اليحصبي السّبتي أبو الفضل، الفقيه المحدّث صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان، إسبتي الدار

(١) الصلة ٧٥/١ رقم: ١٥٩.
(٢) ترجمته في بغية الملتمس ص: ٣٢٧ رقم: ٩٠٦، وتاريخ ابن الفرضي ص: ٢٤٩ رقم: ٧٦٠.
وطبقات الحفاظ للسيوطي ص: ٤٠٦ رقم: ٩١٩. والديباج المذهب ص: ١٣٨.

والميلاد. رحل إلى الأندلس سنة سبع وخمسمائة طالباً للعلم[1]، فأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبدالله محمد بن علي بن جمدين وأبي الحسن بن سراج وعن أبي محمد بن عتّاب، وروى عن القاضي أبي بكر بن العربي وأجاز له أبو علي الغسّاني. تولى قضاء غرناطة ثم ولي قضاء سبتة. توفي بمراكش سنة أربع وأربعين وخمسمائة[2].

ـ ومن القيروان رحل إلى الأندلس:

ـ **محمد بن هشام بن الليث اليحصبي:** يكنى: أبا عبدالله، سكن قرطبة، قال ابن الفرضي: روى محمد بن هشام عن يحيى بن عمر ونظرائه من مشايخ القيروان، وروى عنه عبدالله بن محمد بن عثمان وأحمد بن إبراهيم بن فتح وغير واحد ممن كتبنا عنه.

توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وثلاثمائة[3].

ـ **محمد بن أحمد بن محمد الفارسي:** يكنى: أبا عبدالله. من أهل القيروان يعرف بابن الخرّاز. قدم الأندلس فكان متجوّلاً بين قرطبة وشذونة، وإشبيلية ثم استقر بقرطبة وسمع الناس منه كثيراً. قال ابن الفرضي: روى عنه إسماعيل بن إسحاق، وعبيدالله بن الوليد، وسليمان بن عبدالرحمن وغير واحد ممن كتبنا عنه. توفي ـ رحمه الله ـ سنة تسع وخمسين وثلاثمائة[4].

والحقيقة أن الذين رحلوا إلى الأندلس من شمال إفريقيا أكثر من أن يحصوا، فقد كانت الأندلس وبلاد المغرب، خلال فترات طويلة من الزمن خاضعة لسلطة واحدة، خاصة في أيام المرابطين والموحدين، فكان تنقل علماء المغرب من وإلى الأندلس أمراً شائعاً.

(١) الديباج المذهب ص: ١٦٨.
(٢) بغية الملتمس ص: ٤٢٥ رقم: ١٢٦٩، وطبقات الحفاظ ص: ٤٧٠ رقم: ١٠٤٨.
(٣) تاريخ ابن الفرضي: ١١١/٢ رقم: ١٣٩٦.
(٤) تاريخ ابن الفرضي ص: ١١٢/٢ رقم: ١٣٩٩.

ـ ومن مصر رحل إلى الأندلس:

ـ **محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن حامد:** من أهل مصر يكنى: أبا بكر ويعرف بابن الأزرق، خرج من مصر سنة ثلاث وأربعين وصار إلى القيروان. ووصل إلى الأندلس سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. قال ابن الفرضي: كتبنا عنه جزءاً من حديثه. توفي ـ رحمه الله ـ بقرطبة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة[1].

ـ ومن حلب:

ـ **محمد بن العباس بن يحيى بن العباس بن عبدالله:** من أهل حلب يكنى: أبا الحسن. روى عن خلق من الشاميين والمصريين. قدم الأندلس على الأمير المستنصر بالله. قال أبو الوليد بن الفرضي: كتب عنه محمد بن حسن الزبيدي وحدّثنا عنه. كتبت عنه جزءاً من حديثه وأخباره، وسمع منه غير واحد من أصحابنا وممن كتبنا عنه. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ست وسبعين وثلاثمائة[2].

ـ ومن بيت المقدس:

ـ **عبدالملك بن محمد بن عبدالملك:** يعرف بالسليماني من أهل بيت المقدس يكنى: أبا مروان، قدم الأندلس نحو الستين وثلاثمائة. قال ابن الفرضي: كتبنا عنه جزءاً من حديثه، وقد سمع منه غير واحد من أصحابنا[3].

ـ ومن الكوفة:

ـ **زيد بن الحباب العكلي:** كوفي، دخل الأندلس، يكنى: أبا الحسين.

(١) المصدر السابق ص: ١١٥/٢ رقم: ١٤٠٥.
(٢) المصدر السابق ص: ١١٤/٢ رقم: ١٤٠٤.
(٣) تاريخ ابن الفرضي ص: ٢٧٥/١ رقم: ٨٢٤.

مضى من الكوفة إلى الأندلس إلى معاوية بن صالح، لقيه هناك وروى عنه. ذكر الضبيّ في بغيته أن زيد بن الحباب دخل الأندلس في طلب الحديث على ما قاله أحمد بن حنبل. كان ـ رحمه الله ـ كثير الحديث ثقة توفي بالكوفة سنة ثلاث ومائتين[1].

ـ ومن بغداد:

ـ **علي بن شيبان الدقّاق:** من أهل بغداد من أصحاب ابن مجاهد. كان عالماً بالقرآن بصيراً بالقراءات، دخل الأندلس نحو سنة خمس وسبعين وثلاثمائة[2].

ـ ومن خراسان:

ـ **محمد بن الحسن بن عبدالرحمٰن الرازي الخراساني:** يكنى: أبا بكر، سمع بمصر من عبدالرحمٰن بن عمر بن محمد البزّاز وطبقته، وسمع بأصبهان من أبي نعيم الحافظ، ودخل الأندلس وحدّث بها، سمع منه أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي وغيره. مات ـ رحمه الله ـ غرقاً بعد الخمسين وأربعمائة[3].

٣ ـ الرحلة في طلب الحديث داخل الأندلس:

إن المستوى المرموق الذي وصلته مراكز العلم بالأندلس جعلت منها محوراً للعلوم، ومركزاً للتلاقح الثقافي والفكري.

وقد زخرت مدن قرطبة وإشبيلية وغرناطة وغيرها بمجالس العلم وتكريم العلماء، حتى فاقت بشهرتها مراكز العلم بالمشرق. وساعد على ازدهار هذه النهضة جملة أمور منها:

(١) المصدر السابق ص: ١/١٥٦ رقم: ٤٦٤، والبغية ص: ٢٨١ رقم: ٧٥٦.

(٢) المصدر السابق ص: ١/٣١٧ رقم: ٩٣٥.

(٣) بغية الملتمس ص: ٥٧ رقم: ٨٢.

ـ الترجمة: حيث شهدت الأندلس حركة دؤوبة لترجمة كثير من كتب العلوم المختلفة، وتفاعل علماء الأندلس معها.

ـ انتقال كثير من العلماء المشارقة إلى الأندلس كما ذكرنا سالفاً.

ـ اهتمام حكام الأندلس بالعلم والعلماء، الأمر الذي كان له أثر بليغ في ازدهار الحركة العلمية بها.

هذه الأمور وغيرها جعلت كثيراً من علماء الأندلس يكتفون بالتنقل بين المراكز العلمية المحلية دون الرحلة إلى المشرق. وفي ما يلي نذكر نماذج من محدّثي الأندلس الذين اكتفوا بالرحلة الداخلية:

١ ـ حافظ المغرب يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي أبو عمر الذي انتهى إليه مع إمامته علو الإسناد، وكان فقيهاً حافظاً مكثراً عالماً بالقراءات والحديث والرجال والخلاف. قال الضبي: «قديم السماع كثير الشيوخ على أنه لم يخرج عن الأندلس» لكنه سمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها، ومن الغرباء القادمين إليها.

من مؤلفاته: كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، والاستذكار، وغيرها. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثلاث وستين وأربعمائة[1].

٢ ـ الإمام العلاّمة الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنّة، متفنّناً في علوم جمّة، عاملاً بعلمه زاهداً في الدنيا بعد الرياسة. من مؤلفاته كتاب «المحلى» وكتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وغيرها كثير. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ست وخمسين وأربعمائة[2].

(١) البغية ص: ٤٧٤ رقم: ١٤٤٢، وطبقات الحفاظ ص: ٤٣١ رقم: ٩٧٨.

(٢) طبقات الحفاظ ص: ٤٣٥ رقم: ٩٨١، والبغية ص: ٤٠٣ رقم: ١٢٠٤.

٣ ـ الحافظ الإمام الثبت محدّث الأندلس أبو علي الحسين بن محمد الجيّاني الغسّاني الأندلسي.

أخذ عن أبي الوليد الباجي وابن عتّاب وابن عبدالبر وخلق، ولم يخرج من الأندلس، وكان من جهابذة الحفاظ البصراء، ورحل الناس إليه، وأخذوا عنه العلم، من مؤلفاته:

«تقييد المهمل وتمييز المشكل». توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وتسعين وأربعمائة[١].



(١) طبقات الحفاظ ص: ٤٥٩ رقم: ١٠١٥، والبغية ص: ٢٤٩ رقم: ٦٤٣.

المبحث الثاني:
الرحلة إلى الحجّ
وأثرها في انتقال الحديث إلى الأندلس

الحجّ ركن عظيم من أركان الإسلام، ودعامة قويّة من دعائمه وشعيرة تستقطب من عباد الرحمٰن من ليسوا يبخلون في سبيل الله بجهد أو مال.

ثم هو مظهر من مظاهر المساواة بين المسلمين، ورمز خالد لاتحادهم وتعاونهم وتعاطفهم، وشعاع وضّاء ينير ضمائرهم وبصائرهم.

يقول تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[١].

يأتي المؤمنون إلى الحج من مشارق الأرض ومغاربها متّجهين بقلوبهم إلى الله في رحلة كريمة زاخرة بالتكاليف التّعبدية، يقف المسلم إكباراً وإعجاباً عند اطلاعه على بعض أسرارها.

ويكفي هذه الرحلة شرفاً، أثرها البالغ في انتشار الحديث وعلومه، حيث يلتقي العلماء في هذه المناسبة الميمونة من مختلف الأمصار والأصقاع، فيسمع الراوي من العلماء الوافدين ما لم يسمعه من علماء بلده، وكثيراً ما يجد عندهم ما لا يجده عند شيوخه.

(١) سورة الحج، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

ولما كانت الأندلس من البعد بمكان من البقاع المقدّسة، كان أهلها يبكّرون لهذه الرحلة ويتزوّدون لها.

وأثناء مرورهم بالأمصار المختلفة يلتقي المحدّثون الأندلسيون بالعلماء والمحدّثين، فتقع بينهم المذاكرات والمناظرات العلمية، وعليه لا يمكننا أن نفرّق بين الرحلات العلمية ورحلات الحج من حيث الإسهام في إثراء وازدهار مدرسة الحديث بالأندلس.

وإن المتصفّح لتاريخ ابن الفرضي وصلة ابن بشكوال وترتيب القاضي عياض وديباج ابن فرحون وغيرها من المؤلفات التي ترجمت لعلماء الأندلس ليقف على ما يؤيد ما ذكرناه، وفيما يلي نماذج على ذلك:

ـ **أحمد بن محمد بن عبدالله بن لبّ بن يحيى الطلمنكي يكنى: أبا عمر:**

رحل إلى المشرق فحج ولقي بمكة أبا طاهر محمد بن محمد بن جبريل العُجيفي. ولقي بالمدينة أبا الحسن يحيى بن الحسين المطلّبي. ولقي بمصر أبا بكر محمد بن علي الأذوفي، ولقي بالقيروان أبا محمد بن أبي زيد الفقيه. وانصرف إلى الأندلس بعلم كثير، وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه ومعرفة رجاله وحملته، حافظاً للسنن، جامعاً لها، إماماً فيها.

سكن قرطبة وأقرأ الناس بها، وانتفع الناس بعلمه، توفي ـ رحمه الله ـ سنة تسع وعشرين وأربعمائة[1].

ـ **أحمد بن محمد بن هشام بن جهور بن إدريس:** من أهل مرشانة سكن قرطبة، يكنى: أبا عمر.

رحل إلى المشرق وحج سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. وجاور بمكة

(١) الصلة لابن بشكوال الجزء الأول ـ ص: ٤٩ رقم: ٩٢. والبغية ص: ١٥١ رقم: ٣٤٧.

أعواماً وأخذ بها عن أبي القاسم عبيدالله بن محمد السقطي، حدّث عنه القاضي يونس بن عبدالله في بعض تصانيفه. وأبو عمر بن عبدالبر. توفي ـ رحمه الله ـ بقرطبة في سنة ثلاثين وأربعمائة[1].

ـ **عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي المقرئ:** المعروف بابن الصيرفي. من أهل قرطبة، سكن دانية، يكنى: أبا عمرو. روى بقرطبة عن أبي المطرّف عبدالرحمٰن بن عثمان القشيري الزاهد وغيره، وسمع من أبي عبدالله بن أبي زمنين كثيراً من رواياته وتواليفه ورحل إلى المشرق، ولقي بمكة أبا الحسن أحمد بن فراس العبقسي فسمع منه ومن غيره، وسمع بمصر من أبي محمد بن النحّاس وسمع بالقيروان من أبي الحسن القابسي ومن جماعة سواه.

قال (صاحب الترجمة): وتوجهت إلى المشرق لأداء فريضة الحج يوم الأحد الثاني من المحرّم سنة ثمان وتسعين وحججت سنة ثمان. وقرأت القرآن وكتبت الحديث وغير ذلك في هذين العامين، وانصرفت إلى الأندلس سنة تسع وتسعين، ووصلت إلى قرطبة في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة أربع وأربعين وأربعمائة[2].

ـ **علي بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبادل الأنصاري:** من أهل إشبيلية، يكنى: أبا الحسن.

روى بقرطبة عن أبي المطرّف القنازعي، قرأ عليه القرآن ورحل إلى المشرق سنة عشر وأربعمائة، وحج سنة أربع عشرة وروى بمصر عن أبي محمد بن النحّاس المصري وغيره، وكانت له معرفة بالحديث ورجاله. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ست وخمسين وأربعمائة[3].

(١) الصلة ص: ٥١/١ رقم: ٩٧.

(٢) الصلة ـ الجزء الثاني ص: ٣٨٥ رقم: ٨٧٦، وبغية الملتمس: ص: ٣٩٩ رقم: ١١٨٥.

(٣) الصلة ـ الجزء الثاني ص: ٣٩٤ رقم: ٨٩٠. وبغية الملتمس ـ ص: ٤٠٢ رقم: ١١٩٩.

ـ أحمد بن إبراهيم بن أسود الغسّاني: من أهل المرية يكنى: أبا القاسم، رحل إلى المشرق سنة خمس وأربعمائة وحج ولقي جماعة من العلماء. وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة تسع وخمسين وأربعمائة[1].



(١) الصلة ـ الجزء الأول ص: ٦٤ رقم: ١٢٩.

المبحث الثالث:
المذاهب الفقهية
وأثرها في انتقال الحديث إلى الأندلس

مذهبان رئيسيان كان لهما أثر متميّز في إيصال حديث رسول الله ﷺ إلى الأندلس هما: مذهب الإمام الأوزاعي ومذهب الإمام مالك بن أنس ـ رحمهما الله ـ.

وإنما ذكرتهما دون سواهما من المذاهب الأخرى لأن الأخيرة لم يكن لها وجود يذكر، بها، خلال القرنين الثاني والثالث، وأما المذهب الظاهري فلم يقم على ساقيه في الأندلس إلا خلال القرن الرابع على يد القاضي منذر بن سعيد المتوفى[1] سنة ٣٥٥هـ ثم تصدّر من بعده الإمام ابن الحزم الأندلسي لنشره والدعوة إليه.

ذكر المقري في نفح الطيب[2] أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي قبل دخول مذهب مالك.

(١) منذر بن سعيد القاضي أبو الحكم يعرف بالبلوطي. ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله وكان عالماً فقيهاً وأديباً بليغاً، كان يميل إلى القول بالظاهر روى عنه أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن بن أسد الجهني وأحمد بن قاسم بن عبدالرحمٰن التاهرتي ـ توفي رحمه الله ـ سنة ٣٥٥هـ (انظر بغية الملتمس ص: ٤٥٢ رقم: ١٣٥٧).

(٢) نفح الطيب ٣/٢٣٠.

وقد توافرت لمذهب الإمام الأوزاعي أسباب ساهمت في ظهوره بالأندلس منها:

١ ـ الجيوش الإسلامية التي وفدت على الأندلس في أواخر القرن الأول، ضمّت أعداداً من الشاميين، الذين كانوا يتفقّهون بمذهب الأوزاعي إمام أهل الشام، إضافة إلى الأعداد الكبيرة من الشاميين الذين هاجروا إلى الأندلس بعد فتحها.

٢ ـ الدولة الأموية التي قامت في الأندلس هي امتداد للتي كانت قائمة في الشام حيث مذهب الأوزاعي.

وأول من أدخل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس، صاحبه صعصعة بن سلام الأندلسي الدمشقي، مفتي الأندلس، وخطيب قرطبة. الذي يعتبر أول من أدخل الحديث الأندلس[١]. وكانت الفتيا دائرة عليه بالأندلس أيام الأمير عبدالرحمٰن بن معاوية وصدرا من أيام هشام بن عبدالرحمٰن[٢].

وقد دخل صعصعة بن سلام الأندلس بعلم كثير، فروى عنه من أهلها: عبدالملك بن حبيب، وعثمان بن أيوب وغيرهما. ولما كانت المرويات أول ما يحفظه طلبة العلم من شيوخهم، فإني أرجح أن يكون صعصعة بن سلام قد أدخل مسند الأوزاعي إلى الأندلس. وقد ذكر حاجي خليفة[٣]، هذا المسند ولم يبيّن هل هو من تأليف الإمام الأوزاعي، أو أنه من مروياته التي جمعها تلاميذه. ولما كان الإمام الأوزاعي أول من دوّن الحديث بالشام[٤]، فمن غير المستبعد أن يكون هذا المسند من تأليف الأوزاعي، على غرار ما فعل مالك وغيره.

(١) بغية الملتمس ص: ٣٢٣ رقم الترجمة: ٨٥٣.
(٢) تاريخ ابن القرضي ص: ٢٠٣/١ رقم الترجمة: ٦١٠.
(٣) كشف الظنون: ١٦٨٢/٢.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ص: ٢٩٤/٢ (طبعة مكتبة المعارف ـ الرياض: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣).

وعليه فإن دخول مذهب الإمام الأوزاعي ساهم بقسط معتبر في زرع البذور الأولى لمدرسة الحديث بالأندلس.

ـ وأما مذهب مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ فهو الذي ساد بلاد الأندلس بعد انحصار مذهب الإمام الأوزاعي وزواله منها، وقد كان لوصول مذهب الإمام مالك إلى الأندلس دور متميّز في إنعاش حركة الحديث بها، حيث عكف علماؤها على رواية الموطأ ودراسته وشرحه ونشره بين الناس.

وأول من أدخل موطأ مالك، مكمّلاً إلى الأندلس هو زياد بن عبدالرحمٰن المعروف بزياد شبطون. ثم يحيى بن يحيى الليثي اللذان يرجع إليهما الفضل في نقل حديث الإمام مالك إلى الأندلس.

وقد ذكرت في التمهيد حول هذا الأمر ما يغني عن إعادته هاهنا.

بعد هذا العرض الموجز، يتضح لنا أهمية الدور الذي لعبته المذاهب الفقهية في نقل الحديث الشريف إلى الأندلس، ومدى ما أسهمت به في ازدهار حركة الحديث بها.



الباب الثاني

تأسيس مدرسة الحديث بالأندلس

الفصل الأول: مؤسسو مدرسة الحديث بالأندلس.

الفصل الثاني: الكتب الحديثية التي دخلت الأندلس.

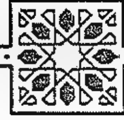
الفصل الثالث: عناية الأندلسيين بالكتب ونسخها ونشأة المكتبات.

الفصل الأول

مؤسسو مدرسة الحديث بالأندلس

المبحث الأول: محمد بن وضّاح القرطبي.

المبحث الثاني: بقي بن مخلد.



مؤسسو مدرسة الحديث بالأندلس

مدخل:

إن النهضة التي شهدتها مدرسة الحديث في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري، على يد الشيخين محمد بن وضّاح وبقي بن مخلد القرطبيين، رافقتها جملة عوامل ساهمت في انبعاثها وصلابة عودها: نذكر منها على الخصوص ما يلي:

١ ـ الاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس بالقضاء على الثورات الداخلية التي كانت آخرها ثورة أهل الربض[١]، في عهد الأمير الحكم بن هشام الربضي المتوفى سنة ٢٠٦هـ[٢].

فشهدت البلاد نتائج التحول الحضاري الذي انطلق مع بداية الإمارة الأموية، ونعمت بقسط كبير من الأمن والازدهار، وقيام حركة عمرانية راقية، رافقها نشاط فكري حثيث.

٢ ـ عناية أمراء بني أمية الذين حكموا الأندلس في تلك الحقبة، بالعلوم وإكرام أهلها.

(١) كانت سنة (٢٠٢هـ) انظر تاريخ العرب والإسلام لسهيل زكار ـ ص: ٤٦٦ دار الفكر ١٩٨٢.

(٢) بغية الملتمس ص: ١٦.

فهذا الأمير عبدالرحمٰن بن الحكم[١]، كان على حظ وافر من العلم. فقد عني بجمع الكتب القديمة، وترجمة بعض الكتب من الهندية إلى العربية، وعرّف أهل الأندلس بها ونظر هو فيها. وكان من أهل التلاوة للقرآن والاستظهار للحديث[٢]، عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة[٣]، يداخل كل ذي علم في فنّه.

وكان مكرماً لأصناف العلماء محسناً إليهم، يخلو بكبير الفقهاء يحيى بن يحيى الليثي كثيراً ويشاوره[٤].

ـ كما كان الأمير محمد بن عبدالرحمٰن بن الحكم[٥]، محباً للعلم، مشغوفاً بالبيان مؤثر لأهل الأدب[٦]، والحديث، عارفاً حسن السيرة.

ولما دخل الأندلس أبو عبدالرحمٰن بقي بن مخلد بكتاب مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة[٧]، وقرئ عليه، أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستشنعوه وبسطوا العامة عليه ومنعوه من قراءته إلى أن اتصل ذلك بالأمير محمد فاستحضره وإياهم واستحضر الكتاب كله، وجعل يتصفّحه جزءاً جزءاً إلى أن أتى عن آخره ـ وقد ظنوا أنه يوافقهم في الإنكار عليه ـ

(١) هو عبدالرحمٰن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمٰن الداخل، يكنى: أبا المطرف ولي سنة ٢٠٦هـ وله ثلاثون سنة واتصلت ولايته إلى أن مات سنة ٢٣٨هـ (بغية الملتمس ص: ١٦).

(٢) المغرب في حلي المغرب لابن سعيد. تحقيق: د. شوقي ضيف ٤٥/١. (دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٥٣).

(٣) نفح الطيب ٣٤٧/١.

(٤) المغرب في حلي المغرب ص: ٤٦/١.

(٥) هو الأمير محمد بن عبدالرحمٰن يكنى: أبا عبدالله، ولي سنة ٢٣٨هـ واتصلت ولايته إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين (بغية الملتمس ص: ١٦).

(٦) أخبار مجموعة ص: ١٤٥ ـ (مدريد ١٨٦٧).

(٧) أبو بكر بن أبي شيبة: عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي الحافظ روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وغيرهم، مات سنة ٢٣٥هـ (طبقات الحفاظ للسيوطي ص: ١٩٢ رقم: ٤١٩ ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣)، التقريب ص: ٣٢٠ رقم: ٣٥٧٥.

ثم قال لخازن الكتب: هذا كتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا، ثم قال لبقي بن مخلد: انشر علمك وارو ما عندك من الحديث، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك، ونهاهم أن يتعرضوا له[1].

كما وقف الأمير محمد إلى جانب محمد بن عبدالسلام بن ثعلبة الخشني الذي أوذي هو الآخر مع بقي بن مخلد[2].

٣ ـ إضافة إلى ما سبق، فقد عرفت الأندلس في بداية القرن الثالث طائفة من المحدّثين الذين كان لحلقاتهم العلمية ودروسهم أثر بالغ في ترعرع حركة الحديث وازدهارها خاصة في المدن الآتية:

ـ قرطبة: التي ظهر فيها كثير من المحدّثين نذكر منهم على سبيل المثال:

١ ـ عبدالملك بن حبيب بن سليمان بن هارون، كثير الحديث والمشايخ، كان الواحد لا يصل إليه في حلقة الدرس إلا بجهد من كثرة الحضور[3]، له مؤلفات منها: كتاب شرح الحديث وهو عشرة أجزاء: الأول منها شرح الموطأ، والثاني شرح جامع الموطأ، والثالث ابتدأ فيه شرح حديث النبي ﷺ، ثم شرح أحاديث الصحابة والتابعين. وختم كتب الشرح وهو العاشر منها بكتاب سماه: «طبقات العلماء»[4].

وله كتاب الفرائض[5]، وكتاب مكارم الأخلاق[6]، وغيرها. توفي عبدالملك بن حبيب ـ رحمه الله ـ سنة ٢٣٨هـ.

(١) بغية الملتمس ص: ١٦ ـ ١٧.
(٢) أخبار الفقهاء والمحدّثين لمحمد بن حارث الخشني ص: ١٣٤ (طبع بالمجلس الأعلى للأبحاث العلمية. مدريد ١٩٩٢. تحقيق ودراسة ماريا لويسا آيلا ـ ولويس مولينا).
(٣) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ٢٤٦.
(٤) فهرسة ابن خير الإشبيلي ص: ٢٠٢.
(٥) نفس المصدر السابق ص: ٢٦٥.
(٦) نفس المصدر السابق ص: ٢٩٠.

٢ ـ محمد بن عبدالسلام الخشني: من أهل قرطبة، كانت له رحلة إلى العراق وإلى غيرها من البلاد، أقام فيها مدة طويلة، لقي شيوخ الحديث وسمع الدواوين وعني باللغة، وأدخل الأندلس علماً جماً. سمع منه خلق كثير من أهل قرطبة وغيرهم، وكانت الرواية واللغة أغلب عليه[1].

له كتاب غريب الحديث، نيّف على عشرين جزءاً. شرح حديث النبي ﷺ في أحد عشر جزءاً، وحديث الصحابة في ستة أجزاء، والتابعين في خمسة أجزاء[2].

توفي محمد بن عبدالسلام الخشني ـ رحمه الله ـ سنة ٢٨٦هـ.

ـ سرقسطة: التي عرفت هي الأخرى طائفة من المحدّثين نذكر منهم:

١ ـ كلثوم بن أبيض المرادي أبو عون: محدّث، كانت له رحلة وعناية: توفي سنة ٢٥٣هـ[3].

٢ ـ يحيى بن خصيب، يكنى: أبا بكر، لم تكن له رحلة، وكان محدّث من المشاهير في العلم والفضل والصلاح والدين، وكانت له عناية وسماع وجمع وحفظ، توفي سنة ٢٨٦هـ[4].

ـ طليطلة: التي عرفت هي بدورها نخبة من المحدّثين نذكر منهم:

١ ـ يحيى بن حجاج محدّث أندلسي سمع من يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار، وكانت له رحلة، وعاد وحدّث واستشهد سنة ٢٦٣هـ[5].

٢ ـ يحيى بن القصير: محدّث، صاحب يحيى بن حجاج في أسمعته ونظيره في فضله وعلمه واجتهاده. استشهد سنة ٢٦٤هـ[6].

(١) بغية الملتمس ص: ٩٢ رقم: ٢٠٢، وأخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٣٢.
(٢) فهرسة ابن خير ص: ١٩٥.
(٣) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٠٧ ـ وبغية الملتمس ص: ٤٣٧ رقم: ١٣١٤.
(٤) بغية الملتمس ص: ٤٨٦ رقم: ١٤٦٨ ـ وأخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ٣٧٧.
(٥) تاريخ ابن الفرضي ص: ٢/١٧٩ رقم: ١٥٦٠. البغية ص: ٤٨٥ رقم: ١٤٦٥.
(٦) تاريخ ابن الفرضي ص: ٢/١٧٩ رقم: ١٥٦٢. أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ٣٧٦.

- إلبيرة: ظهر فيها محدّثون منهم على الخصوص:

١ - محمد بن عبدالله بن قنون: من أشهر محدّثي حاضرة إلبيرة سمع بالأندلس من غير ما رجل من علمائها. ثم رحل فروى عن أبي المصعب وعن سحنون بن سعيد، وتوفي - رحمه الله - سنة ٢٦٥هـ[(١)].

٢ - هرمة بن سمّاك من محدّثي أهل إلبيرة، كان من أهل العلم والورع والزهد وكان الأغلب عليه الرأي، مات - رحمه الله - سنة ٢٧٧هـ[(٢)].

هذه العوامل وغيرها، ساعدت إلى حدّ كبير في ازدهار حركة الحديث بالأندلس ونشر سنّة رسول الله ﷺ في تلك الربوع.

ورغم أن الحديث النبوي الشريف دخل الأندلس مع طلائع الفاتحين الأوائل، إلا أن علماء هذا البلد صرفوا جل اهتمامهم لدراسة موطأ الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - الذي هو بحقّ من أهم كتب الحديث والفقه.

ومع إطلالة القرن الثالث الهجري، ودخول الكتب الحديثية المتنوعة، وظهور طائفة من العلماء المحدّثين أمثال بقي بن مخلد ومحمد بن وضّاح القرطبيين، عرفت حركة الحديث بالأندلس نقلة نوعية في شكلها ومضمونها. فقد تميّزت حلقات المحدّثين بنقد الأسانيد والكلام عن الرجال جرحاً وتعديلاً، وجمع الروايات ومقارنتها، وتمييز الصحيح من السقيم من حديث رسول الله ﷺ. فكانت تلك الجهود بمثابة اللبنات الأولى لمدرسة الحديث بالأندلس.

وحتى تتضح الصورة أكثر، نتعرّف فيما يلي على روّاد هذه المدرسة ومؤسسيها الأوائل، وما أسهموا به في خدمة الحديث النبوي الشريف وعلومه في تلك الديار.



(١) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٢٢. بغية الملتمس ص: ٧٧ رقم: ١٥٦.

(٢) بغية الملتمس ص: ٤٧٢ رقم: ١٤٣٣. تاريخ ابن الفرضي ١٧٣/٢ رقم: ١٥٤٨، وأخبار الفقهاء ص: ٣٤٢.

المبحث الأول: محمد بن وضّاح القرطبي

اسمه: هو أبو عبدالله محمد بن وضّاح بن بزيغ مولى عبدالرحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان[(١)]. ولم أعثر على من رفع نسبه أعلى من بزيغ، أو عرّف بأبيه «وضّاح». أما جده، فقد قال عنه محمد بن حارث الخشني: قال بعض أهل العلم: «قرأت كتاب عتقه - وكان من جملة كتبه - فما رأيت كتاباً أشد اختصاراً ولا أكثر إتقاناً منه، نسخته: بسم الله الرحمٰن الرحيم كتاب من عبدالرحمٰن بن معاوية لبزيغ مولاه أعتقته لله عزّ وجلّ فليس لأحد عليه سبيل، غير أن ولاءه لي ولعقبي»[(٢)].

مولده:

تكاد تجمع كتب التراجم[(٣)]، على أن مولد محمد بن وضّاح، كان سنة ١٩٩هـ أو سنة ٢٠٠هـ، إلا ما نقله الحافظ ابن حجر في لسان الميزان[(٤)]، عن ابن الفرضي، أن مولده كان سنة ١٩١هـ، والصحيح ما ذكرناه أولاً لاتفاق المؤرخين على ذلك. وهو ما أثبته ابن الفرضي في تاريخه.

(١) جذوة المقتبس للحميدي ص: ٩٣ رقم: ١٥٢. بغية الملتمس ص: ١٢٣ رقم: ١٩١.

(٢) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٢٢ رقم: ١٣٧.

(٣) تاريخ ابن الفرضي ٧٥/٢ رقم: ١٣٠٦، أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٣٢. الديباج المذهب ص: ٢٣٩ - ٢٤١.

(٤) لسان الميزان لابن حجر ص: ٤١٧/٥.

نشأته:

نشأ محمد بن وضّاح في أسرة فقيرة لم تُعرف في مجال العلم والثقافة. اهتمّ ـ رحمه الله ـ في صباه بحفظ القرآن الكريم كعادة أهل الأندلس، ثم أخذ العلم عن المبرّزين من علماء قرطبة وغيرها نذكر منهم على الخصوص:

١ ـ محمد بن عيسى بن عبدالواحد بن نجيح المعافري المعروف بالأعشى المتوفى سنة ٢٢٢هـ[1].

٢ ـ محمد بن خالد بن مرتنيل المعروف بالأشج، المتوفى سنة ٢٢٤هـ[2].

٣ ـ عبدالملك بن الحسن (زونان) بن زريق بن عبيدالله، المتوفى سنة ٢٣٢هـ[3].

٤ ـ يحيى بن يحيى الليثي (أبو محمد)، المتوفى سنة ٢٣٤هـ[4].

٥ ـ سعيد بن حسان يكنى: أبا عثمان، توفي سنة ٢٣٦هـ[5].

٦ ـ عبدالملك بن حبيب بن ربيع السلمي، المتوفى سنة ٢٣٨هـ[6].

٧ ـ عبدالأعلى بن وهب، المتوفى سنة ٢٦١هـ[7].

(١) بغية الملتمس: ص: ٩٨ رقم: ٢١٢، وأخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١١٣.
(٢) تاريخ ابن الفرضي ص: ٢/٧ رقم: ١١٠١، وبغية الملتمس ص: ٦٢ رقم: ١٠١، والديباج المذهب ص: ٣٢١.
(٣) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ٢٤٤، وبغية الملتمس ص: ٣٦٤ رقم: ١٠٦٢.
(٤) بغية الملتمس ص: ٤٩٥ رقم: ١٤٩٧ ـ تاريخ ابن الفرضي ص: ١٧٦/٢ رقم: ١٥٥٤.
(٥) انظر أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٢٢، وبغية الملتمس ص: ٢٩٤ رقم: ٧٩٦.
(٦) انظر تاريخ ابن الفرضي ص: ١٧/٢ رقم: ١١٣٦.
(٧) انظر بغية الملتمس ص: ٣٧٩ رقم: ١١٠٦.

٨ ـ أبان بن عيسى بن دينار (أبو القاسم)، المتوفى سنة ٢٦٢هـ[1].

٩ ـ داود بن جعفر بن أبي صغير[2].

١٠ ـ عباس المعلم[3].

١١ ـ عبدالله بن محمد بن زرقون[4]، وغيرهم.

رحلاته:

إضافة إلى رحلاته الداخلية وتنقّله بين مدن الأندلس، رحل ابن وضّاح إلى المشرق رحلتين.

١ ـ رحلته الأولى:

رحل ابن وضّاح إلى المشرق قبل سنة ٢٢٠هـ[5]، وقال ابن الفرضي وابن فرحون أن رحلته الأولى كانت سنة ١١٨هـ، ولم يتجاوز عمره تسع عشرة سنة[6]. ولم يكن قصده في هذه الرحلة طلب الحديث وروايته، بل كان شأنه حينئذٍ العبادة والزهد، وكان جلّ أخذه للرقائق، التقى خلالها بعدد من الشيوخ لم يتجاوز اثني عشر، ذكر منهم ابن حارث الخشني أربعة هم:

١ ـ آدم بن أبي إياس العسقلاني.

٢ ـ أبو عبيد القاسم بن سلام.

٣ ـ أحمد بن محمد بن حنبل.

(١) المصدر السابق ص: ٢٢٣ رقم: ٥٦٧.
(٢) المصدر السابق ص: ٢٧٨ رقم: ٧٣٥.
(٣) تاريخ ابن الفرضي ص: ٣٤٠/١ رقم: ٨٧٩.
(٤) بغية الملتمس ص: ٣١٦ رقم: ٨٧١ وتاريخ ابن الفرضي ص: ٢٥٢/١ رقم: ٦٣٩.
(٥) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٢٢ رقم: ١٣٧.
(٦) الديباج المذهب لابن فرحون ص: ٢٤٠.

٤ ـ أصبغ بن الفرج.

وزاد القاضي عياض وابن فرحون سبعة هم:

٥ ـ سعيد بن منصور.

٦ ـ يحيى بن معين.

٧ ـ علي بن المديني.

٨ ـ عبدالله بن ذكوان.

٩ ـ زهير بن حرب (أبو خيثمة).

١٠ ـ محمد بن مصفى الحمصي.

١١ ـ عبدالله بن صالح المصري (كاتب الليث).

٢ ـ رحلته الثانية:

ذكر ابن حارث الخشني أن رحلة ابن وضّاح الثانية كانت بعد الثلاثين ومائتين، لقي فيها الرجال وكتب عنهم[١]، وقد بلغ عدد شيوخه في هذه الرحلة مائة وخمسة وستون شيخاً، كما أفاد بذلك ابن فرحون[٢].

وقال ابن الفرضي أن عدّة شيوخه بلغت خمسة وسبعون ومائة[٣]. وقد أثبت الدكتور نوري معمر في رسالته حول ابن وضّاح، الرأي الأول[٤].

وقد شارك محمد بن وضّاح أئمة عصره في كثير من شيوخهم نذكر منهم النماذج الآتية على سبيل المثال:

---

(١) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٢٢.
(٢) الديباج المذهب ص: ٢٤٠.
(٣) تاريخ ابن الفرضي ص: ٢/١٧ رقم: ١١٣٦.
(٤) محمد بن وضّاح القرطبي للدكتور نوري معمر ص: ٦٧ (مكتبة المعارف الرباط ١٤٠٣/ ١٩٨٣).

١ ـ شيوخ ابن وضّاح مع بقي بن مخلد:

ـ محمد بن عيسى بن عبدالواحد (الأعشى) القرطبي (توفي سنة ٢٢١هـ)[١].

ـ عبدالملك بن حبيب السلمي أبو مروان الألبيري (توفي سنة ٢٣٨هـ)[٢].

ـ عبدالسلام بن سعيد (سحنون) أبو سعيد القيرواني (توفي سنة ٢٤٠هـ)[٣].

٢ ـ شيوخ ابن وضّاح مع الإمام محمد بن إسماعيل البخاري:

شارك محمد بن وضّاح القرطبي أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في عدد كبير من الشيوخ نذكر منهم على سبيل المثال:

ـ يحيى بن معين أبو زكريا البغدادي، المتوفى سنة ٢٣٣هـ[٤].

ـ علي بن عبدالله بن نجيح (المديني)، المتوفى سنة ٢٣٤هـ[٥].

ـ عبدالله بن محمد (أبو بكر بن أبي شيبة) الكوفي، المتوفى سنة ٢٣٥هـ[٦].

---

(١) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٢٦.
(٢) المرجع السابق ص: ١٢٦.
(٣) المرجع السابق ص: ١٢٦.
(٤) روى عنه البخاري في مناقب الحسن بن علي (رجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/٧٩٩ رقم: ١٣٤٠) (دار المعرفة بيروت ط١ ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
وذكره محمد بن حارث الخشني في شيوخ ابن وضّاح (أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٢٢).
(٥) روى عنه البخاري في كتاب العلم وغير ما موضع (رجال صحيح البخاري ٢/٥٣١ رقم: ٨٢٦) وذكره الخشني في شيوخ ابن وضّاح (المصدر السابق ص: ١٢٢).
(٦) روى عنه البخاري في الصوم والاعتكاف والمغازي وفي مواضع أخرى (رجال صحيح البخاري ص: ١/٤٢٧ رقم: ٦٢١، وروى عنه ابن وضّاح في كتاب البدع والنهي عنها ص: ٥٩).

٣ ـ شيوخ ابن وضّاح مع الإمام مسلم:

شارك ابن وضّاح أيضاً الإمام (أبو الحسين) مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري في عدد من شيوخه نذكر منهم النماذج الآتية:

- سعيد بن منصور أبو عثمان البلخي، المتوفى سنة ٢٢٧هـ[١].
- زهير بن حرب أبو خيثمة النسائي، المتوفى سنة ٢٣٤هـ[٢].
- أحمد بن محمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١هـ[٣].

٤ ـ شيوخ ابن وضّاح مع أبي داود السجستاني:

شارك ابن وضّاح الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (أبو داود)، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، في بعض شيوخه نذكر منهم:

- عبدالله بن صالح (كاتب الليث) أبو صالح المصري، المتوفى سنة ٢٢٣هـ[٤].

---

(١) روى عنه مسلم في الإيمان والوضوء والصلاة وغيرها (رجال صحيح مسلم ص: ٢٤٩/١ رقم: ٥٣٦). وذكره الخشني في شيوخ ابن وضّاح (أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٢٣).

(٢) روى عنه مسلم في كتاب الوضوء والإيمان والصلاة وغيرها (رجال صحيح مسلم لابن منجويه ص: ٢٢٣/١ رقم: ٤٨٣ ـ دار المعرفة بيروت ط١ ـ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، وذكره الخشني ضمن شيوخ ابن وضّاح (أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ١٢٦).

(٣) روى عنه مسلم في الصلاة والجهاد والأدب والحدود وغيرها (رجال صحيح مسلم ص: ٣٠/١ رقم: ١) وذكره الخشني في شيوخ ابن وضّاح (أخبار الفقهاء ص: ١٢٢).

(٤) روى عنه ابن وضّاح في البدع والنهي عنها ص: ٦٤.
روى عنه أبو داود (انظر ميزان الاعتدال ص: ٤٤٠/٢ رقم: ٤٣٨٣) وتهذيب الكمال للحافظ المزي ص: ٩٨/١٥ رقم: ٣٣٣٦ (مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

- نصر بن مهاجر المصيصي، المتوفى سنة ٢٣٠هـ[١].
- عبدالرحمٰن بن إبراهيم (دحيم) أبو سعيد الدمشقي، المتوفى سنة ٢٤٥هـ[٢].

٥ ـ شيوخ ابن وضّاح والإمام النسائي:

يشترك محمد بن وضّاح مع الحافظ الإمام أحمد بن شعيب النسائي في كثير من الشيوخ نذكر منهم:

- حارث بن مسكين المصري، المتوفى سنة ٢٥٠هـ[٣].
- أحمد بن عمرو بن السرح أبو الطاهر المصري، المتوفى سنة ٢٥٠هـ[٤].
- أحمد بن سعيد بن أبي مريم أبو جعفر المصري، المتوفى سنة ٢٥٣هـ[٥].

---

(١) أخرج له ابن عبدالبر أحاديث من طريق محمد بن وضّاح (التمهيد ٣٢٩/١٨) وروى عنه أبو داود في سننه (انظر تهذيب الكمال ٣٦٧/٢٩ رقم: ٦٤١١ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٣٣/١٠).

(٢) أخرج له ابن عبدالبر أحاديث من طريق محمد بن وضّاح (التمهيد ٢٧٥/١٨ ـ ٣١٠) وروى عنه أبو داود في سننه انظر: (تهذيب الكمال ٤٩٥/١٦ رقم: ٣٧٤٧).

(٣) روى عنه ابن وضّاح في البدع والنهي عنها ص: ٤٣.
وروى عنه النسائي في سننه في كتاب الطهارة والمياه والحيض وغيرها، انظر فهارس سنن النسائي لعبدالفتاح أبو غدة ص: ٢٣١/٩ دار البشائر الإسلامية بيروت ط ١ ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٤) روى عنه ابن وضّاح في البدع والنهي عنها ص: ٩٤ وروى عنه النسائي في سننه في كتاب الصلاة والأذان والجنائز وغيرها نفس المصدر السابق ص: ٢٢٧/٩.

(٥) روى عنه ابن وضّاح في البدع والنهي عنها ص: ١ وغيرها وروى عنه النسائي في سننه في كتاب الصيام والنكاح (المصدر السابق ٢٢٦/٩).

٦ ـ شيوخ ابن وضّاح والإمام الترمذي:

اشترك محمد بن وضّاح القرطبي مع الإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، في كثير من شيوخه نذكر منهم:

ـ يحيى بن معين أبو زكريا البغدادي، المتوفى سنة ٢٣٣هـ[١].

ـ محمد بن عبدالله بن نمير أبو عبدالرحمٰن الكوفي، المتوفى سنة ٢٣٤هـ[٢].

ـ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، المتوفى سنة ٢٤٣هـ[٣].

٧ ـ شيوخ ابن وضّاح والإمام ابن ماجه:

اشترك الإمام محمد بن وضّاح القرطبي مع الإمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، المتوفى سنة ٢٧٣هـ في عدة شيوخ نذكر منهم:

ـ حرملة بن يحيى التجيبي أبو حفص المصري، المتوفى سنة ٢٤٣هـ[٤].

ـ محمد بن رمح أبو عبدالله المصري، المتوفى سنة ٢٤٢هـ أو ٢٤٣ وقيل: ٢٤٨هـ[٥].

---

(١) أخرج له ابن عبدالبر من طريق محمد بن وضّاح (التمهيد ٢٧٧/١٨) وروى عنه الترمذي في سننه (انظر مقدمة تحفة الأحوذي للمباركفوري ١٢٩/٢ دار الفكر ١٩٧٩م/١٣٩٩هـ).

(٢) روى عنه محمد بن وضّاح في البدع والنهي عنها ص: ٨٢ وأخرج له ابن عبدالبر من طريق ابن وضّاح في (التمهيد ١٦٧/١٩ ـ ١٨١ وغيرها) وروى منه الترمذي (انظر المصدر السابق ص: ١١٠/٢).

(٣) روى عنه ابن وضّاح في البدع والنهي عنها ص: ٢٩ وغيرها وروى عنه الترمذي في جامعه انظر المصدر السابق ص: ١١٤/٢.

(٤) روى عنه محمد بن وضّاح (التمهيد ١١١/١٨) وروى عنه ابن ماجه انظر (تهذيب الكمال ٥٤٨/٥).

(٥) روى عنه ابن وضّاح (التمهيد ١٥٩/١٩) وروى عنه ابن ماجه (تهذيب الكمال ص: ٢٠٣/٢٥ رقم: ٥٢١٥).

ـ هارون بن سعيد أبو جعفر الإيلي، المتوفى سنة ٢٥٣هـ[١].

هذه باختصار نماذج من شيوخ الإمام محمد بن وضّاح القرطبي الذين شاركه في الأخذ عنهم جهابذة المحدّثين من أقرانه.

مؤلفات الإمام محمد بن وضّاح القرطبي:

إن المكانة المرموقة التي احتلها ابن وضّاح بين علماء عصره توحي بغزارة ما يمكن أن يخلّفه هذا العالم من المؤلفات، غير أني وقفت بعد البحث على شحّ ملحوظ في هذا الجانب ويعود ذلك في نظري إلى عدة عوامل منها:

١ ـ أن ابن وضّاح قد أعطى جل وقته للتدريس والرواية.

٢ ـ وقد يكون لضعف ابن وضّاح في اللغة العربية[٢]، أثر في عزوفه عن كتابة المؤلفات الكبيرة.

ومع ذلك فقد ترك ـ رحمه الله ـ بعض المؤلفات الصغيرة الحجم الكبيرة الفائدة نعرّف بها فيما يلي:

اسم الكتاب	موضوع الكتاب	ملاحظات
العبّاد والعوابد.	في الزهد والرقائق.	ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسته ص: ٢٧٤ ومعجم المؤلفين ٩٤/١٢ والأعلام للزركلي ٣٨/٧ وترتيب المدارك لعياض ٤٤٠/٤.

---

(١) روى عنه ابن وضّاح في البدع والنهي عنها ص: ٤٦ وروى عنه ابن ماجه في سننه (انظر تهذيب الكمال ص: ٩٠/٣٠ رقم: ٦٥١٥).

(٢) انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ـ لابن فرحون المالكي ص: ١٧٩ ـ ١٨١ (دار التراث العربي ـ مصر ـ ١٩٧٢).

اسم الكتاب	موضوع الكتاب	ملاحظات
القطعان.	في الحديث.	ورد ذكره في فهرسة ابن خير ص: ١٥٠ معجم المؤلفين ٩٤/١٢ الأعلام ٣٥٨/٧.
مكنون السرّ ومستخرج العلم.	في فروع الفقه المالكي.	ورد ذكره في فهرسة ابن خير ص: ٢٥٥ ومعجم المؤلفين ص: ٩٤/١٢ والأعلام ٣٥٨/٧.
البدع والنهي عنها.	جمع فيه الأحاديث الخاصة بالنهي عن البدع والتحذير منها .	طبع بدار الرائد العربي - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
النظر إلى الله تعالى.	جمع فيه ما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى.	قال خير الدين الزركلي في معرض تعليقه عليه: [علّق السيد حسن حسني عبدالوهاب الصمادي التونسي على المخطوطة المحفوظة في خزانته من كتاب «النظر إلى الله تعالى» بكلمة عن ابن وضّاح جاء فيها أن عدد شيوخه الذين سمع منهم ١٧٥ وأنه روى القراءات عن عبدالله بن القاسم عن ورش؛ ثم قال: وبابن وضّاح وبقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث] انظر الأعلام للزركلي ٣٥٨/٧.
كتاب الصلاة في النعلين .	من كتب الأجزاء كما يظهر من عنوانه.	ذكرهُ القاضي عياض في ترتيب المدارك ٤٤٠/٤.
كتاب رسالة السنّة.		ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك ٤٤٠/٤.

هذه باختصار مؤلّفات ابن وضّاح التي ذكرتها كتب التراجم، المطبوع منها والمخطوط وما هو في حكم المفقود.

ولئن لم يول ابن وضّاح كبير أهمية لموضوع التأليف، فإن هذا العالم الجليل قد أدخل إلى الأندلس جملة وافرة من المرويات نعرّف بها فيما يلي:

مرويات ابن وضّاح مقتبسة من فهرسة ابن خير الإشبيلي:

١ ـ المصنّفات المتضمنة للسنن مع فقه الصحابة والتابعين:

أ ـ مصنف وكيع بن الجراح[١]، رواه ابن وضّاح عن موسى بن معاوية عن وكيع وعن محمد بن سليمان الأنباري عن وكيع.

ب ـ جامع سفيان الثوري الكبير في الفقه والاختلاف[٢]:

رواه ابن وضّاح عن محمد بن عمر الغزي عن مصعب بن ماهان الخراساني عن سفيان الثوري.

٢ ـ المسانيد المخرّجة على أسماء الصحابة:

أ ـ مسند أبي بكر بن أبي شيبة رواه ابن وضّاح عن مؤلفه[٣].

٣ ـ كتب علل الحديث والتواريخ:

أ ـ جزء فيه تسمية رجال عبدالله بن وهب[٤].

٤ ـ كتب السير والأنساب:

أ ـ كتاب سير الوليد بن مسلم عن الأوزاعي[٥]، حدّث به عن

(١) فهرسة ابن خير ص: ١٢٦ ـ ١٢٧.
(٢) نفس المصدر ص: ١٣٧.
(٣) نفس المصدر ص: ١٣٧ ـ ١٣٨.
(٤) نفس المصدر ص: ٢٢٣.
(٥) نفس المصدر ص: ٢٣٧.

محمد بن عمر الغزي عن الوليد بن محمد بن مسلم قال سألت أبا عمرو الأوزاعي - رحمه الله -.

ب - كتاب فضل الجهاد تأليف عبدالله بن المبارك[1] - رحمه الله - حدّث به ابن وضّاح عن عبدالملك بن حبيب البزّار المصيصي قال: نا عبدالله بن المبارك.

٥ - كتب الفقه على مذهب الإمام مالك - رحمه الله -:

أ - المدونة[2]: رواها ابن وضّاح عن مؤلفها سحنون.

٦ - كتب عبارة الرؤيا:

أ - كتاب العبارة لنعيم[3] بن حمّاد - رحمه الله - حدّث به ابن وضّاح عن حرملة بن يحيى عن نعيم بن حمّاد.

٧ - ومن كتب الزهد والرقائق وما يتصل بها:

أ - كتاب آداب سفيان الثوري[4]، حدّث به ابن وضّاح عن عبدالله بن محمد بن زرقون عن محمد بن تميم الأزدي عن محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان الثوري.

ب - رسالة أسد بن موسى إلى أسد بن الفرات[5]، حدّث بها ابن وضّاح عن غير واحد عن أسد بن موسى.

هذه باختصار نماذج من مرويات ابن وضّاح التي أدخلها الأندلس، ولا يخفى مدى ما أسهمت به هذه المرويات في ازدهار حركة الحديث بالأندلس خلال القرن الثالث الهجري. وإضافة إلى ما ذكرنا فقد كان ابن

(١) نفس المصدر ص: ٢٣٨ - ٢٣٩.
(٢) فهرسة ابن خير ص: ٢٤٠.
(٣) المصدر السابق ص: ٢٦٧.
(٤) المصدر السابق ص: ٢٧٥.
(٥) المصدر السابق ص: ٢٩٩.

وضّاح متمرّساً في علل الحديث ناقداً للرجال، يستشهد بآرائه من جاء بعده من علماء الجرح والتعديل كأبي الحجاج يوسف المزي في كتابه تهذيب الكمال، وابن حجر في تهذيب التهذيب والذهبي في تذكرة الحفاظ وغيرهم من أرباب هذا الفنّ. ولتوضيح ذلك نورد الأمثلة الآتية:

الرقم	اسم الراوي	قول ابن وضّاح فيه	المصدر
١	محمد بن مسعود بن يوسف أبو جعفر محدّث طرسوس.	قال عنه ابن وضّاح: ما رأيت أحداً أعلم بالحديث منه، وهو فاضل رفيع الشأن ليس بدون أحمد بن حنبل.	تذكرة الحفاظ للذهبي ص: ٥٢٣/٣. (ط الهند ١٣٨٨/١٩٧٧) وتهذيب الكمال للمزي ص: ٣٩٥/٢٦ (مؤسسة الرسالة ط ١/١٩٩٢).
٢	حمزة بن سعيد أبو سعيد المروزي نزيل طرسوس.	روى عنه ابن وضّاح وذكر أنه كان حافظاً ضابطاً.	تهذيب التهذيب لابن حجر ص: ٣٠/٣ (ط ١ الهند - ١٣٢٥هـ).
٣	زهير بن حرب بن شدّاد الحرشي أبو خيثمة النسائي نزيل بغداد.	قال عنه ابن وضّاح: ثقة من الثقات لقيته ببغداد.	تهذيب التهذيب (ص: ٣٤٢/٣ - ٣٤٤).
٤	أحمد بن محمد بن موسى المروزي أبو العباس السمسار المعروف بمردويه.	قال عنه ابن وضّاح: ثقة ثبت.	تهذيب التهذيب (ص: ٧٧/١).
٥	صدقة بن سعيد الحنفي الكوفي.	ضعفه ابن وضّاح.	تهذيب التهذيب (ص: ٤١٥/٤).
٦	مخلد بن خفاف بن إيماء ابن رخصة الغفاري.	قال ابن وضّاح: مخلد مدني ثقة.	تهذيب التهذيب (ص: ٧٤/١٠ - ٧٥).

ثناء العلماء عليه:

يكفي ابن وضّاح شرفاً ورفعة أن الأندلس صارت به وببقي بن مخلد دار حديث. وقد أثنى على ابن وضّاح كل من عرفه من معاصريه ومن بعدهم، من ذلك:

ـ قال ابن الفرضي كان محمد بن وضّاح عالماً بالحديث بصيراً بطرقه متكلّماً في علله، كثير الحكاية عن العبّاد، ورعاً، زاهداً، فقيراً، متعفّفاً، صابراً على الإسماع محتسباً في نشر علمه سمع منه الناس كثيراً، ونفع الله به أهل الأندلس[1].

ـ قال محمد بن حارث الخشني[2]، قال لي أحمد بن عبّادة: ما كنت أشبّه ابن وضّاح مع الناس في اختلاف هممهم إلا بالطبيب الرفيق الذي يقابل كل داء بما يصلحه من الدواء، كان يأتيه أهل الرأي فيفيدهم من باب الرأي ويأتيه أهل الحديث فيفيدهم في باب الحديث.

ـ وكان محمد بن أحمد بن عبدالملك المعروف بابن الزرّاد يفضل ابن وضّاح على جميع من رأى بالأندلس وبالمشرق من الرجال[3].

ـ وكان أحمد بن خالد بن يزيد (يعرف بابن الجبّاب، المتوفى سنة ٣٢٢هـ)[4] ـ وهو من تلاميذ ابن وضّاح ـ لا يقدّم على ابن وضّاح أحداً ممن أدرك بالأندلس وكان يعظّمه جدّاً، ويصف فضله وعقله وورعه[5].

ـ وقال عنه الإمام الذهبي: «الإمام الحافظ محدّث الأندلس مع

---

(١) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ص: ١٦/٢ (الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦).

(٢) أخبار الفقهاء والمحدّثين لابن حارث الخشني ص: ١٢٦.

(٣) أخبار الفقهاء والمحدّثين لابن حارث الخشني ص: ١٢٦.

(٤) تاريخ ابن الفرضي ٣١/١.

(٥) نفس المصدر السابق ص: ١٦/١.

بقي بن مخلد»[1]، وقال الحميدي عنه أنه: «من الروّاة المكثرين والأئمة المشهورين»[2].

ويكفي ابن وضّاح شرفاً وثناء أنه كوّن جيلاً من العلماء المحدّثين الذين حافظوا على ما تلقّوه منه فرووه ونشروه وامتلأت كتب المحدّثين من بعده بمروياته.

وفاته:

ذكر ابن الفرضي[3]، عن عثمان بن عبدالرحمن، وكان من أعلم الناس بابن وضّاح، أنه توفي: ليلة السبت لأربع بقين من المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين ودفن في مقبرة أم سلمة.

وذكر الحميدي[4]، أنه مات في سنة ست وثمانين ومائتين واضطرب قول الذهبي في سنة وفاة ابن وضّاح فمرّة يقول: إنه توفي سنة سبع وثمانين ومائتين[5]. ومرّة قال: مات في حدود الثمانين ومائتين[6].

والراجح أن ابن وضّاح مات سنة سبع وثمانين ومائتين وهي رواية ابن الفرضي لورودها من طريق أحد المقرّبين لابن وضّاح وهو عثمان بن عبدالرحمن، والله أعلم.



---

(١) سير أعلام النبلاء ص: ٤٤٥/١٣ (مؤسسة الرسالة ط١ ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م بيروت).

(٢) جذوة المقتبس للحميدي ص: ٩٣ رقم: ١٥٢ (الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦).

(٣) تاريخ ابن الفرضي ص: ١٧/٢.

(٤) جذوة المقتبس ص: ٩٤.

(٥) سير أعلام النبلاء ص: ٤٤٦/١٣.

(٦) ميزان الاعتدال ص: ٥٩/٤ رقم: ٨٢٩٠.



المبحث الثاني: بقي بن مخلد ــ رحمه الله ــ

لقد كان لجهود محمد بن وضّاح وبقي بن مخلد القرطبيين، دور بارز في نشر الحديث النبوي الشريف بالأندلس، وتأسيس مدرسة الحديث بها.

وبعد أن تعرّفنا في المبحث السابق على ابن وضّاح وجهوده الحديثية نلقي الضوء في هذا المبحث على عصريّه وبلديّه بقي بن مخلد وما أسهم به من جهود في هذا المضمار:

اسمه:

هو أبو عبدالرحمٰن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي[1].

مولده:

ذكر ابن الفرضي أن بقيا ولد في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين[2]، وذهب محمد بن حارث الخشني إلى أن مولده كان سنة اثنتين ومائتين[3].

---

(١) ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي: ٩١/١ رقم: ٢٨٣. وجذوة المقتبس للحميدي ص: ١٦٧ رقم: ٣٣١، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢٨٠/٣ (دار المسيرة بيروت ط٢ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) ونفح الطيب ص: ٥١٨/٢ وسير أعلام النبلاء ص: ٢٨٥/١٣ رقم: ١٣٧، وكشف الظنون: ٤٤٤ و ١٦٧٩. والأعلام للزركلي ص: ٩٣/٢، ومعجم المؤلفين لكحّالة ص: ٥٣/٣ ـ ٥٤.

(٢) تاريخ ابن الفرضي ص: ٩١/١ رقم: ٢٨٣.

(٣) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ٤٩ رقم: ٥٨.

وقال الذهبي: ولد في حدود سنة مائتين أو قبلها بقليل[1].

رحلاته في طلب العلم وأبرز شيوخه:

أخذ بقي بن مخلد العلم في الأندلس عن يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤هـ) تلميذ الإمام مالك بن أنس، وعن محمد بن عيسى بن عبدالواحد بن نجيح المعافري المعروف بالأعشى (ت: ٢٢٢هـ). ثم رحل إلى المشرق فلقي جماعة من أئمة المحدّثين، وكبار المسندين[2].

وكانت له رحلتان، أقام في إحداهما نحو العشرين عاماً، وفي الثانية نحو الأربعة عشر عاماً[3]، كان يطوف في الأمصار على أهل الحديث، فإذا أتى وقت الحج، أتى مكة فحجّ، هذا كان فعله كل عام في رحلتيه جميعاً.

فسمع بإفريقيا ومصر والشام والعراق والجزيرة وغيرها. ذكر ابن الفرضي عن عبدالله بن يونس راوية بقي بن مخلد: أن عدة الرجال الذين لقيهم بقي وسمع منهم: مائتا رجل وأربعة وثمانون رجلا[4]، ذكر منهم محمد بن حارث الخشني خمسة عشر ومائتا رجل[5].

وفي ما يلي نذكر طائفة من شيوخه الذين شاركه في السماع منهم أئمة الحديث:

فقد سمع بالقيروان من سحنون بن سعيد شيخ الفقهاء بها[6]. وبعدن

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ص: ٢٥٨/١٣ مؤسسة الرسالة ط١ ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢) تاريخ ابن الفرضي ص: ٩١/١.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي ص: ٨١/٤ (مكتبة عيسى البابي الحلبي مصر). نقلاً عن الحميدي، (وهذه الرواية غير موجودة في الجذوة). وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ص: ٣٨٩/١.

وذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢٠١/٣ أن رحلته الأولى كانت ١٤ سنة ومكث في الثانية ٢٠ سنة.

(٤) تاريخ ابن الفرضي ص: ٩١/١.

(٥) أخبار الفقهاء والمحدّثين ص: ٤٩ ـ ٥١.

(٦) تاريخ ابن الفرضي ٩١/١.

من محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني شيخ الإمام مسلم والترمذي وابن ماجه[1]، وببغداد من الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ[2].

ـ وبالكوفة من محمد بن عبيد بن محمد المحاربي شيخ الأئمة (أبو داود والترمذي والنسائي)[3].

ـ وبالبصرة من محمد بن بكار الصيرفي شيخ الإمام مسلم وأبي داود[4].

ـ وبواسط من محمد بن إسماعيل بن البختري شيخ الترمذي وابن ماجه[5].

ـ وبدمشق من هشام بن عمّار شيخ أبي داود والنسائي وابن ماجه وأخرج له الإمام البخاري (تعليقاً)[6].

ـ وبعسقلان عن عبيد بن آدم شيخ البخاري والترمذي وابن ماجه[7].

وقد روى الشيخ بقي بن مخلد ـ رحمه الله ـ عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجل، ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير[8].

هذا وقد أخذ العلم عن بقي بن مخلد عدد كبير من المشارقة، والأندلسيين الذين واصلوا مسيرة نشر وخدمة حديث رسول الله ﷺ بالأندلس نذكر منهم على سبيل المثال:

ـ ابنه: أحمد بن بقي بن مخلد قاضي قرطبة (ت ٣٤٤)[9].

(١) تهذيب الكمال للمزي ص: ٦٣٩/٢٦ رقم: ٥٦٩١.
(٢) جذوة المقتبس ١٦٧ والصلة لابن بشكوال ص: ١١٦ رقم: ٢٨٠.
(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ص: ٧١/٢٦ رقم: ٥٤٤٦.
(٤) نفس المصدر السابق ص: ٥٢٩/٢٤ رقم: ٥٠٩١.
(٥) نفس المصدر السابق ص: ٤٨١/٢٤ رقم: ٥٠٦١.
(٦) نفس المصدر ص: ٢٤٢/٣٠ رقم: ٦٥٨٦.
(٧) نفس المصدر ص: ١٨٣/١٩ رقم: ٣٧٠١.
(٨) ابن بشكوال كتاب الصلة ص: ١١٦.
(٩) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ص: ٣٣/١ رقم: ١٠٣.

ـ عبدالله بن يونس المرادي وكان من المكثرين في الرواية عن بقي بن مخلد توفي بالأندلس سنة ٣٣٠هـ[1]. وآخرون.

آثاره العلمية:

كتب الشيخ بقي بن مخلد الأندلسي المصنّفات الكبار، والمنثور الكثير، وبالغ في الجمع والرواية، ورجع إلى الأندلس فملأها علماً جماً، وألّف كتباً حساناً تدلّ على احتفاله واستكثاره[2]، وفي ما يلي نعرّف بما ذكرته كتب التاريخ من مؤلفاته:

١ ـ التفسير الكبير:

فمن مصنّفات أبي عبدالرحمٰن بقي بن مخلد، كتابه في تفسير القرآن، الذي قال فيه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: «هو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثناء فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره»[3]، وهو في عداد الكتب المفقودة.

٢ ـ المسند الكبير:

قال ابن حزم: «رتّبه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم، فروى فيه عن ألف وثلاث مائة صاحب، ونيّف، ثم رتّب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبوب الأحكام، فهو مصنّف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته، وضبطه، وإتقانه، واحتفاله فيه في الحديث، وجودة شيوخه، فإنه روى عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير»[4].

(١) جذوة المقتبس للحميدي ص: ٢٤٨ رقم: ٥٧٢ (مكتب نشر الثقافة الإسلامية القاهرة).
(٢) المصدر السابق ص: ١٦٧.
(٣) جذوة المقتبس ص: ١٦٧. وكتاب الصلة لابن بشكوال ص: ١١٦.
(٤) جذوة المقتبس ص: ١٦٧.

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧هـ)، أن بقي بن مخلد روى في مسنده عن ألف وستمائة صحابي بل يزيدون على هذا العدد[١].

والراجح أنه روى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابي كما ذكر ابن حزم وإنما وقع التحريف في عبارة ابن الجوزي، الذي أورد قائمة ما لكل صاحب من الحديث في مسند بقي بن مخلد، في كتابه ـ تلقيح فهوم أهل الأثر ولم يبلغ فيها هذا العدد[٢].

وذكر ابن كثير أن ابن حزم الظاهري قد فضّل مسند بقي بن مخلد على مسند الإمام أحمد بن حنبل قال: «وعندي في ذلك نظر، والظاهر أن مسند أحمد أجْوَد منه وأجمع»[٣].

قال الدكتور أكرم ضياء العمري في رسالته حول مسند بقي بن مخلد «ولا أدري كيف حكم عليه الحافظ ابن كثير مع أنه لم يصرّح باطلاعه عليه»[٤].

وقال أبو الوليد ابن الفرضي: «ولبقي بن مخلد مسند النبي ﷺ ليس لأحد مثله».

ويعدّ مسند بقي بن مخلد في عداد ما ضاع من تراثنا المجيد، وقد ذكرته أغلب كتب التراجم والتواريخ ضمن الكتب المفقودة[٥]، وسأورد في آخر هذا المبحث نماذج لاقتباسات العلماء من مسند بقي بن مخلد.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ص: ١٠٠/٥، (الطبعة الأولى ـ حيدر آباد الدكن ـ ١٣٥٧هـ).

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ص: ١٨٤ (طبع في دهلي ـ الهند بدون تاريخ).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ص: ٥٦/١١ (المطبعة العربية لاهور باكستان ط ١ ـ ١٩٨٤).

(٤) بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده للدكتور أكرم ضياء العمري ص: ٤٩ (ط١ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

(٥) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي ص: ٢٠١/٣ (ط ٥ ـ دار المعارف) فؤاد سزكين ـ تاريخ التراث العربي ص: ٢٩٠/١ (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١).

٣ ـ كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم: قال أبو محمد علي بن أحمد بن حزم أن بقيا أربى فيه على «مصنّف» أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنّف عبدالرزاق بن همّام ومصنّف سعيد بن منصور، وغيرها، وانتظم علماً عظيماً لم يقع في شيء من هذه[١].

٤ ـ كتاب «ذكر ما للصحابة من الحديث من العدد» ذكره الأستاذ فؤاد سزكين قال: ذكره ابن عبدالبر في الاستيعاب، أما أبو محمد عبدالله بن يونس بن محمد المرادي (المتوفى سنة ٣٣٠هـ، انظر الجذوة للحميدي ص: ٢٤٨) المذكور هناك فليس مؤلف الكتاب بل راويته[٢].

وذكر هذه القائمة ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر[٣]، كما نشرت قائمة بقي بن مخلد ضمن كتاب (جوامع السير) لابن حزم.

وتوجد منه نسخة مخطوطة قديمة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ضمن (مجموع ٣١ ـ ق ٢٣٩ ـ ٢٤٩) تقع في ١٢ ورقة ذات وجهين[٤]، وهي التي اعتمد عليها د ـ أكرم ضياء العمري في نشر قائمة بقي بن مخلد.

٥ ـ كتاب المنتقى من حديث بقي بن مخلد (وهنّاد والفارسي، والجوهري ومن آمالي السمرقندي): لم يأت ذكره في كتب التراجم القديمة، وقد ذكره الدكتور فؤاد سزكين وأشار إلى وجود وريقات منه في الظاهرية (مجموع ١٢٩ ـ الأوراق ٢٢٥ ـ ٢٣٦ ب) من القرن السابع الهجري[٥].

---

(١) جذوة المقتبس ص: ١٦٧ ـ ١٦٨ ـ وكتاب الصلة لابن بشكوال ص: ١١٧.

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ص: ٢٩٠/١.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ص: ١٨٤.

(٤) انظر: د. أكرم ضياء العمري (بقي بن مخلد ومقدمة مسنده) ص: ٦٣ وانظر كذلك (فهرسة المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ـ الجزء الثالث ـ ص: ٣٠٦) طبع ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ص: ٢٩٠/١.

٦ ـ ما روي في الحوض والكوثر، ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسة ما رواه عن شيوخه[١].

هذا وقد انفرد بقي بن مخلد ـ رحمه الله ـ بإدخال بعض المصنّفات إلى الأندلس لم يسبق إليها.

يقول ابن الفرضي: «وكان مما انفرد به بقي بن مخلد، ولم يدخله سواه (الأندلس):

١ ـ مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ كتاب التاريخ لخليفة بن خياط العصفري ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ كتاب الطبقات لخليفة بن خياط أيضاً.

٤ ـ كتاب سيرة عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ للدورقي»[٢].

٥ ـ كتاب الفقه لمحمد بن إدريس الشافعي، يعني كتاب ـ الأم ـ.

هذا وقد تحمّل بقي بن مخلد الأندلسي كثيراً من المصنّفات خلال رحلتيه الطويلتين نذكر منها على سبيل المثال.

ـ كتاب زهد ابن سيرين وأيوب ووهيب بن الورد وإبراهيم بن أدهم وسليمان الخوّاص؛ تأليف أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدّث به أبو محمد بن عتاب ـ رحمه الله ـ قال: نا أبو القاسم خلف بن يحيى قال: نا عبدالرحمٰن بن عيسى؛ قال: نا أحمد بن بقي بن مخلد قال: نا أبي (بقي بن مخلد)، قال: نا الدورقي[٣].

ثناء العلماء عليه:

أجمع من ترجم لبقي بن مخلد على نعته بالحافظ المتقن عديم النظير:

---

(١) فهرسة ابن خير ص: ٣٠٠.

(٢) تاريخ ابن الفرضي: ٩١/١ وفهرسة ابن خير ص: ٢٧٣.

(٣) فهرسة ابن خير ص: ٢٧٤.

ـ قال عنه أحمد بن أبي خيثمة البغدادي (ت ٢٧٩هـ): «ما كنا نسميه إلاّ المكنسة، وهل احتاج بلد فيه بقي بن مخلد أن يأتي إلى هنا منه أحد»[١].

ـ وذكره أبو عبدالملك أحمد بن محمد بن عبدالبر القرطبي (ت ٣٣٨هـ) في كتابه «أخبار علماء قرطبة» قال: كان فاضلاً تقياً، صوّاماً، قوّاماً، متبتّلاً، منقطع النظير في عصره، متفرد النظير في مصره»[٢].

ـ ووصفه أبو محمد بن حزم بأنه كان متخيّراً لا يقلّد أحداً، وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجارياً في مضمار أبي عبدالله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبي عبدالرحمٰن النسائي[٣].

ـ وقال عنه ابن عميرة الضبّي: «من حفّاظ المحدّثين وأئمة الدين والزهّاد الصالحين»[٤].

ـ أما شمس الدين الذهبي فقال عنه: «الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبدالرحمٰن الأندلسي القرطبي الحافظ، صاحب «التفسير» و «المسند» اللذين لا نظير لهما»[٥]، ووصفه بقوله: «كان إماماً مجتهداً صالحاً، ربّانياً، صادقاً، مخلصاً، رأساً في العلم والعمل، عديم المثل، منقطع النظير، يفتي بالأثر ولا يقلد أحداً»[٦].

ـ وذكره ابن العماد الحنبلي في شذراته فقال عنه: «الإمام الحافظ أحد الأئمة الأعلام... كان فقيهاً علاّمة مجتهداً قوّاماً ثبتاً عديم المثل»[٧].

---

(١) تاريخ ابن الفرضي ص: ٩١/١ ـ ٩٢ رقم: ٢٨٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ص: ٢٨٩/١٣.

(٣) بغية الملتمس ص: ٢٢٩ رقم: ٥٨٤.

(٤) بغية الملتمس ص: ٢٤٥ رقم: ٨٥٤.

(٥) سير أعلام النبلاء ص: ٢٨٥/١٣.

(٦) نفس المصدر السابق ص: ٢٨٦/١٣.

(٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ص: ١٦٩/٢ (مكتبة القدسي مصر ـ ١٣٥٠هـ).

هذه نبذة من أقوال العلماء عبر العصور، في محدّث الأندلس وحافظها، أبي عبدالرحمٰن بقي بن مخلد رحمه الله، ويكفيه ثناء أنه أول من كثّر الحديث بالأندلس ونشره، وأرسى قواعد مدرسة الحديث بالأندلس، وشذ عن شيوخ بلده الذين كان علمهم يرتكز على المسائل ومذهب مالك ـ رحمه الله ـ.

وكان بقي يقول: «لقد غرست للمسلمين بالأندلس غرساً لا يقلع إلا بخروج الدجال»[1].

توفي الحافظ بقي بن مخلد ـ رحمه الله ـ بالأندلس سنة ٢٧٦ هـ[2].



(١) تذكرة الحفاظ ص: ٢/٢٠٤.

(٢) بغية الملتمس ص: ٢٢٩.

الفصل الثاني

الكتب الحديثية التي دخلت الأندلس

المبحث الأول: الموطآت.

المبحث الثاني: الصحيحان.

المبحث الثالث: السنن.

المبحث الرابع: المصنفات.

المبحث الخامس: المسانيد.

الكتب الحديثية التي دخلت الأندلس

لقد ذكرنا في الباب الأول العوامل التي ساعدت على انتقال الحديث النبوي الشريف إلى الأندلس، كالرحلة في طلب العلم، والرحلة إلى الحج إضافة إلى المذاهب الفقهية التي كان لها دور متميّز في ذلك خاصة مذهب الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ.

وقد حرص علماء الأندلس على جلب ما أمكنهم من المصنّفات المشرقية وغيرها إلى بلادهم ونسخها والاستفادة منها، خاصة الحديث وعلومه، وفي هذا الفصل سنتناول بالبحث أوائل الكتب الحديثية التي وصلت الأندلس وطرق روايتها.



المبحث الأول: الموطآت

مدخل: عناية الأندلسيين بالموطأ:

لم يحظ أي كتاب عند الأندلسيين بعد كتاب الله تعالى، بما حظي به الموطأ من عناية، فقد رحل عدد كبير من علمائهم إلى المشرق، ولقوا بدار الهجرة الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ فأخذوا عنه الموطأ وتعرّفوا على مذهبه وأعجبوا به، وراحوا ينشرونه في بلادهم، وكان الموطأ قد دخل الأندلس في أيام عبدالرحمٰن بن معاوية (الداخل)[1]. ومن الأندلسيين المشهورين برواية الموطأ عن الإمام مالك نذكر الآتي:

١ ـ أبو محمد غازي بن قيس: الذي رحل في صدر أيام عبدالرحمٰن بن معاوية الداخل فسمع من مالك بن أنس، الموطأ، ذكر ابن الفرضي أنه كان يحفظ الموطأ، ظاهراً. توفي الغازي بن قيس ـ رحمه الله ـ سنة ١٩٩هـ[2].

٢ ـ زياد بن عبدالرحمٰن اللخمي، المعروف بزياد شبطون: سمع من مالك الموطأ، وله سماع هو معروف بسماع زياد.

---

(١) هو أبو المطرّف عبدالرحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان. يعرف بالداخل ـ ولد سنة ١١٣هـ وكان أول أمراء بني أمية في الأندلس توفي رحمه الله ـ سنة ١٧٢هـ (انظر تاريخ ابن الفرضي ٤/١ ـ ٥، وبغية الملتمس ص: ١٥).

(٢) تاريخ ابن الفرضي ٣٤٥/١ رقم: ١٠١٥.

قال صاحب نفح الطيب: هو أول من أدخل موطأ مالك بن أنس إلى الأندلس مكملاً متقناً[1]، توفي زياد بن عبدالرحمن سنة ٢٠٤هـ على الأرجح[2].

٣ ـ يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس الليثي: سمع من زياد بن عبدالرحمن الموطأ، ثم رحل إلى المشرق وعمره ٢٨ سنة فسمع من مالك الموطأ غير أبواب من كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فأثبت روايته فيها عن زياد[3]، وكانت وفاة يحيى بن يحيى في رجب لثمان بقين منه، سنة ٢٣٤هـ.

٤ ـ ومن الموطآت التي دخلت الأندلس:

موطأ يحيى بن عبدالله بن بكير[4]، روي بالأندلس عن طريق يحيى بن عمر الأندلسي[5]، عن يحيى بن بكير عن مالك بن أنس، وروي أيضاً من طريق إبراهيم بن محمد بن باز عن ابن بكير عن مالك بن أنس[6].

٥ ـ موطأ عبدالله بن مسلمة القعنبي[7]، رواه بالأندلس عبدالله بن

(١) نفح الطيب ٢/٤٦.
(٢) تاريخ ابن الفرضي ١/١٥٥.
(٣) نفس المصدر السابق ٢/١٧٩، وبغية الملتمس ص: ٤٩٥، رقم: ١٤٩٧.
(٤) يحيى بن عبدالله بن بكير المخزومي، مولاهم المصري، وقد ينسب إلى جده، صاحب الليث ومالك ـ قال الذهبي: ثقة صاحب حديث ومعرفة يحتج به في الصحيحين توفي سنة ٢٣١هـ (ميزان الاعتدال ٤/٣٩١ رقم: ٩٥٦٤ ـ والتقريب ص: ٥٩٢ رقم: ٧٥٨٠).
(٥) يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الأندلسي يكنى: أبا بكر توفي سنة ٢٨٩هـ (بغية الملتمس ص: ٤٩٠).
(٦) فهرسة ابن خير ص: ٨٣.
(٧) عبدالله بن مسلمة بن قعنب التميمي الحارثي القعنبي أبو عبدالرحمن أصله من المدينة وسكن البصرة، روى عن مالك وابن أبي ذئب وشعبة والليث وغيرهم، روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وأبو داود السجستاني، وأخرج له البخاري ومسلم، قال أبو حاتم: هو بصير ثقة حجة توفي سنة ٢٢٠ (الديباج ص: ١٣١).

محمد بن عبدالرحمن بن أسد الجهني[1]، قال: نا بكر بن العلاء القشيري[2]، القاضي المالكي قال: حدثنا أحمد بن موسى الشامي عن القعنبي عن مالك. ومن طريق قاسم بن أصبغ[3]، عن محمد بن إسماعيل الترمذي عن القعنبي عن مالك[4].

هذه أشهر الموطآت التي دخلت الأندلس وتداولها العلماء، وإن كانت رواية يحيى بن يحيى الليثي، هي التي اشتهرت فيما بعد وسادت في تلك الديار، لشهرة راويها وثقته ومكانته من الأمراء، وزهده في القضاء.

وإضافة إلى ما ذكرنا فإن كثيراً من الروايات الأخرى للموطأ دخلت الأندلس وتداولها علماؤها، وإن لم تشتهر كسابقاتها. وقد ذكر الحافظ ابن عبدالبر في كتابه «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» طائفة من تلك الروايات نذكر منها الآتي:

موطأ[5]، أبي مصعب أحمد بن أبي بكر بن الحارث[6].

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن أسد الجهني البزار ـ أبو محمد، سمع بالأندلس ورحل فسمع بالحجاز ومصر والشام جماعة منهم أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن صاحب الفربري، حدّث عنه أبو عمر بن عبدالبر وخلق (بغية الملتمس ص: ٣١٨ رقم: ٨٨١).
(٢) بكر بن العلاء بن محمد بن زياد بن الوليد كنيته أبو الفضل، من أهل البصرة وانتقل إلى مصر وهو من كبار فقهاء المالكية ـ توفي رحمه الله بمصر سنة ٣٤٤هـ (الديباج المذهب ص: ١٠٠).
(٣) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البياني ـ أبو محمد، إمام من أئمة الحديث، حافظ، مكثر، مصنّف، سمع من محمد بن وضّاح ومحمد بن عبدالسلام الخشني وآخرين ورحل فسمع من إسماعيل بن إسحاق القاضي وخلق ـ توفي سنة ٣٤٠هـ: (بغية الملتمس ص: ٤٣٣ رقم: ١٢٩٥).
(٤) انظر فهرسة ابن خير ص: ٨٥.
(٥) ذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ٥/١٨٣.
(٦) أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبدالرحمن بن عوف، أبو مصعب الزهري المدني، الفقيه ـ صدوق، مات سنة ٢٤٢هـ وقد نيّف على التسعين (التقريب ص: ٧٨ رقم: ١٧).

موطأ إسماعيل بن إبراهيم العجلي[١].

موطأ[٢]، سعيد بن كثير بن عفير[٣].

موطأ[٤]، عبدالله بن نافع المخزومي[٥].

موطأ[٦]، بشر بن عمر الزهراني[٧].

موطأ[٨]، زيد بن الحباب[٩].

موطأ[١٠]، عبدالرحمٰن بن القاسم[١١].

---

(١) ذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١٥٥/١.

(٢) ذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١٨٣/٥ وغيرها.

(٣) سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري مولاهم، المصري، وقد ينسب إلى جده، صدوق عالم بالأنساب وغيرها، مات سنة ٢٢٦هـ (تقريب التهذيب ص: ٢٤٠، رقم: ٢٣٨٢، وتهذيب الكمال ٣٦/١١، رقم: ٢٣٤٤).

(٤) ذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١٦٩/٥ و ٣٤٥/١.

(٥) عبدالله بن نافع مولى بني مخزوم المعروف بالصائغ وكنيته أبو محمد، ثقة روى عن مالك وتفقه عليه وعلى نظرائه. كان صاحب رأي مالك ومفتي المدينة بعده. توفي بالمدينة في رمضان سنة ١٨٦هـ (انظر الديباج المذهب لابن فرحون ص: ١٣١)، وقال في تقريب التهذيب توفي سنة ٢٠٦هـ (تقريب التهذيب ص: ٣٢٦، رقم: ٣٦٥٩).

(٦) ذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ٢٢٦/١.

(٧) بشر بن عمر بن الحكم الزهراني، أبو محمد البصري، ثقة مات سنة ٢٠٧هـ أو ٢٠٩هـ (تقريب التهذيب ص: ١٢٣، رقم: ٦٩٨).

(٨) ذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ٣٠٠/١ ـ ٣١٨.

(٩) زيد بن الحباب، أبو الحسين العكلي، أصله من خراسان، وكان بالكوفة، ورحل في الحديث فأكثر منه، وهو صدوق يخطئ في حديث الثوري مات سنة ٢٣٠هـ (التقريب ص: ٢٢٢، رقم: ٢١٢٤).

(١٠) ذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١٦٩/٥.

(١١) عبدالرحمٰن بن القاسم بن خالد بن جنادة يكنى: أبا عبدالله، روى عن مالك والليث وابن الماجشون، روى عنه سحنون وعيسى بن دينار ويحيى بن يحيى الليثي وآخرون. قال الدارقطني هو من كبار المصريين وفقهائهم رجل صالح مقلّ صابر متقن حسن الضبط. (انظر الديباج المذهب ص: ١٤٦).

موطأ[١]، عبدالله بن المبارك.

موطأ[٢]، عبدالله بن وهب.

موطأ عتيق بن يعقوب الزبيري[٣].

موطأ[٤]، محمد بن إدريس الشافعي[٥].

موطأ[٦]، محمد بن الحسن الشيباني[٧].

موطأ[٨]، معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعي القزّاز[٩].

موطأ[١٠]، مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت[١١].

---

(١) ذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ٢٩٥/١.

(٢) المصدر السابق ١٦٩/٥.

(٣) المصدر السابق ٧١/١ و ٢٩٥/١ وغيرها.

(٤) المصدر السابق ٧٧/١ ـ ٩٧ ـ ٩٨.

(٥) الإمام: أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب القرشي المطلبي المكي، نزيل مصر ـ ولد بغزة سنة ١٥٠هـ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين روى عن مالك وابن عيينة وعمّه محمد بن علي وخلق، وعنه ابنه أبو عثمان، وأحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم وخلق كثير، مات في سنة ٢٠٤هـ (طبقات الحفاظ ص: ١٥٧ رقم: ٣٣٦).

(٦) ذكره ابن عبدالبر في «التمهيد» ١٦٤/٥.

(٧) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، أبو عبدالله، أحد الفقهاء، يروي عن مالك بن أنس وغيره، وكان من بحور العلم والفقه قوياً في مالك (ميزان الاعتدال ٥١٣/٣، رقم: ٧٣٧٤).

(٨) ذكره الحافظ ابن عبدالبر في «التمهيد» ١٧٧/٤.

(٩) معن بن عيسى القزّاز ـ أبو يحيى ـ روى عن مالك وجماعة ـ روى عنه ابن المديني وابن معين والحميدي وسحنون، وكان ربيب مالك ـ له سماع من مالك معروف، كان أشد الناس ملازمة لمالك ـ وهو ثقة خرّج عنه البخاري ومسلم ـ مات سنة ١٩٨هـ (الديباج المذهب ص: ٣٤٧).

(١٠) ذكره الحافظ ابن عبدالبر في «التمهيد» ١٨٣/٥.

(١١) مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوّام الأسدي، أبو عبدالله الزبيري المدني، نزيل بغداد، صدوق عالم بالنسب ـ مات سنة ٢٣٦هـ (تقريب التهذيب ص: ٥٣٣ رقم: ٦٦٩٣).

موطأ[1]، مطرّف بن عبدالله بن مطرّف[2].

موطأ[3]، يحيى بن سعيد القطان[4].

هذه باختصار أهمّ الموطآت التي دخلت الأندلس وتداولها العلماء خلال القرون الأربع الأولى من عصر الأندلس الإسلامية.

وقد اعتمدت في تحديد هذه الروايات على ما ذكره الحافظ ابن عبدالبر للأسباب الآتية:

١ ـ أن الحافظ ابن عبدالبر يعدّ من أشهر من خدم موطأ مالك بن أنس، في القرن الخامس الهجري، حيث يعدّ كتاباه «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» و«الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار»، من أحسن ما كتب حول الموطأ.

٢ ـ أن الحافظ ابن عبدالبر، لم يرحل خارج الأندلس طوال حياته، فلا بدَّ أن يكون اطلع على هذه الروايات في الأندلس، وأنها كانت متداولة بين العلماء قبله.

ولا أستبعد أن تكون بعض الروايات الأخرى للموطأ قد دخلت الأندلس، خاصة، رواية علي بن زياد[5]، التونسي، المتوفى سنة ١٨٣هـ،

---

(١) ذكره الحافظ ابن عبدالبر في «التمهيد» ١٦٩/٥.

(٢) مطرف بن عبدالله بن مطرّف بن سليمان بن يسار اليساري الهلالي أبو مصعب ـ هو ابن أخت مالك بن أنس، روى عن مالك وغيره، روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم والبخاري وهو ثقة، مات بالمدينة سنة ٢٢٠هـ (الديباج المذهب ص: ٣٤٥) و(التقريب ص: ٥٣٤ رقم: ٦٧٠٧).

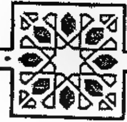
(٣) ذكره الحافظ ابن عبدالبر في «التمهيد» ٣١٨/١.

(٤) يحيى بن سعيد بن فرّوخ بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم معجمة، التميمي أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ إمام قدوة، مات سنة ١٩٨هـ (تقريب التهذيب ص: ٥٩١ رقم: ٧٥٥٧).

(٥) علي بن زياد أبو الحسن التونسي العبسي، ثقة مأمون خيار متعبّد بارع في الفقه سمع من مالك والثوري والليث بن سعد وغيرهم، سمع منه أسد بن الفرات وسحنون وخلق ـ روى عن مالك الموطأ. توفي رحمه الله سنة ١٨٣هـ (انظر الديباج المذهب ص: ١٩٢).

ذلك أن تونس، وخاصة مدينة القيروان، تعدّ المحطّة الرئيسية الأولى لكل من يريد التوجّه إلى المشرق من العلماء وطلبة العلم الأندلسيين، لشهرة فقهائها وعلمائها، أمثال عبدالسلام بن سعيد المعروف بسحنون، الذي تفقّه عليه أغلب علماء الأندلس.





المبحث الثاني: الصحيحان

١ ـ صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري[1] ـ رحمه الله ـ وهو «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، أول مصنّف في الصحيح المجرّد.

وقد روي عن مؤلفه من طرق شتى أشهرها:

١ ـ رواية أبي عبدالله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري[2]، المتوفى سنة ٣٢٠هـ.

٢ ـ رواية إبراهيم بن معقل بن الحجّاج النسفي، المتوفى سنة ٢٩٤هـ[3].

---

(١) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم، المعوّل على صحيحه في أقطار البلدان. روى عن الإمام أحمد بن حنبل وابن المديني وآدم بن أبي إياس وخلق وعنه مسلم والترمذي وأبو حاتم وخلق آخرون، آخرهم وفاة ورواية للصحيح أبو طلحة منصور بن محمد البزدوي. له من المؤلفات «الجامع الصحيح» و«التاريخ الكبير» و«الأدب المفرد» و«القراءة خلف الإمام» وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٢٥٦هـ، وكانت ولادته سنة ١٩٤هـ (طبقات الحفاظ ص: ٢٥٢ رقم: ٥٦٠).

(٢) أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري ـ راوية صحيح البخاري رحل إليه الناس وسمعوا منه صحيح البخاري ـ مات سنة ٣٢٠هـ وله ٨٩ سنة وكانت ولادته سنة ٢٣١هـ وهو أحسن من روى الحديث عن البخاري وكان ثقة ورعاً (شذرات الذهب ٢/٢٨٦).

(٣) إبراهيم بن معقل بن الحجّاج النسفي، أبو إسحاق، قاضي نسف، مصنّف المسند الكبير والتفسير وغير ذلك، كان فقيهاً حافظاً بصيراً باختلاف العلماء، ثقة مات سنة ٢٩٤هـ أو ٢٩٥هـ (انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص: ٣٠٢ رقم: ٦٨٣).

٣ ـ رواية حمّاد بن شاكر النسوي، المتوفى في حدود التسعين ومائتين[1].

٤ ـ رواية أبي طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة البزدوي، المتوفى سنة ٣٢٩هـ[2].

غير أن أكثر الروايات انتشاراً بالنسبة للأندلس والمغرب الإسلامي عموماً، رواية الفربري، التي انتقلت بواسطة روايات مختلفة أهمها:

١ ـ رواية أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المستملي، المتوفى سنة ٣٧٦هـ[3].

٢ ـ رواية أبي محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، المتوفى سنة ٣٨١هـ[4].

٣ ـ رواية أبي الهيثم محمد بن مكي بن محمد بن زراع الكشميهني، المتوفى سنة ٣٨٩هـ[5].

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ١/٧.

(٢) أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة ـ بقاف ونون بوزن يسيرة ـ البزدوي بفتح الموحدة وسكون الزاي، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وهو آخر من حدّث عن البخاري بصحيحه. (انظر فتح الباري ١/٥).

(٣) أبو إسحاق المستملي إبراهيم بن أحمد البلخي، سمع الكثير، وخرّج لنفسه معجماً، وحدّث بصحيح البخاري مرات عن الفربري وكان ثقة صاحب حديث (انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٣/٨٦. دار المسيرة بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م).

(٤) عبدالله بن أحمد بن حمويه بن يوسف بن أعين أبو محمد السرخسي المحدّث الفقيه. روى عن الفربري صحيح البخاري، توفي في ذي الحجة سنة ٣٨١هـ وله ٨٨ سنة (المصدر السابق ٣/١٠٠).

(٥) أبو الهيثم الكشميهني (بالضم والسكون والكسر وتحتية وفتح الهاء، نسبة إلى كشميهن قرية بمرو) محمد بن مكي المروزي راوية البخاري عن الفربري توفي يوم عرفة سنة ٣٨٩هـ وكان ثقة (شذرات الذهب ٣/١٣٢).

وعن هؤلاء الثلاثة روى أبو ذر الهروي عبد بن أحمد، المتوفى سنة ٤٣٤هـ[١].

٤ ـ رواية أبي علي سعيد بن عثمان بن السكن[٢]، (المتوفى سنة ٣٥٣هـ)، التي رواها عنه أبو محمد عبدالله بن محمد بن أسد الجهني الطليطلي نزيل قرطبة، المتوفى سنة ٣٩٥هـ. وقد كانت رحلة ابن أسد الجهني إلى المشرق سنة ٣٤٢هـ، وشاركه في رحلته هذه وسماعه، كل من أبي جعفر بن عون الله ومحمد بن أحمد بن مفرّج[٣].

٥ ـ رواية أبي زيد محمد بن أحمد المروزي[٤]، المتوفى سنة ٣٧١هـ، والتي رواها عنه أبو محمد عبدالله بن إبراهيم الأصيلي[٥]، وأبو محمد حباشة بن حسن اليحصبي، المتوفى سنة ٣٧٤هـ[٦]، وأبو الحسن

---

(١) أبو ذر الهروي عبد بن أحمد بن عبدالله بن عُفير الأنصاري المالكي يعرف بابن السماك سمع الدارقطني وابن حمويه وخلقاً. كان عالماً حافظاً كثير الشيوخ مات سنة ٤٣٤هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤٢٥ رقم: ٩٦٢).

(٢) أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي، نزيل مصر ولد سنة ٢٩٤هـ، سمع أبا القاسم البغوي وابن جوصا، توفي رحمه الله سنة ٣٥٣هـ (طبقات الحفاظ ص: ٣٧٩ رقم: ٨٥٨) و (تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٣٧/٣).

(٣) أبو عبدالله وأبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج الأموي مولاهم الأندلسي القرطبي يعرف بابن الفنتوري، سمع قاسم بن أصبغ وأبا سعيد بن الأعرابي، كان حافظاً بصيراً بأسماء الرجال وأقوالهم، مات رحمه الله في رجب سنة ٣٨٠هـ (انظر طبقات الحفاظ ص: ٤٠٠، رقم: ٩٠٦) و(مشارق الأنوار للقاضي عياض ١٠/١ المكتبة العتيقة بتونس).

(٤) أبو زيد محمد بن أحمد بن عبدالله المروزي الزاهد، حدّث بالعراق ودمشق ومكة، روى الصحيح عن الفربري ومات بمرو في رجب سنة ٣٧١هـ، قال الحاكم: كان أحفظ الناس لمذهب الشافعي. (شذرات الذهب ٧٦/٣).

(٥) أبو محمد عبدالله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي، سمع أبا بكر الشافعي وأبا بكر الآجري قال عياض: كان حافظاً لمذهب مالك ومن العالمين بالحديث وعلله ورجاله، ولي قضاء سرقسطة، مات سنة ٣٩٢هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤٠٦، رقم: ٩١٩).

(٦) انظر تاريخ ابن الفرضي ١٥٢/١ رقم: ٣٩٥.

علي بن محمد بن خلف القابسي[١]، الفقيه، المتوفى سنة ٤٠٣هـ.

٦ ـ رواية أبي أحمد محمد بن محمد بن يوسف الجرجاني[٢]، المتوفى في سنة ٣٧٣هـ، رواها عنه أيضاً عبدالله بن إبراهيم الأصيلي.

وقد عرفت هذه الروايات طريقها إلى الأندلس بالأسانيد الآتية:

ـ أما رواية الأصيلي عبدالله بن إبراهيم، فهي أولى روايات صحيح البخاري وصولاً إلى الأندلس، أدخلها الإمام الأصيلي نفسه بعد عودته من رحلته الطويلة إلى المشرق. ثم انتشرت روايته هذه عن طريق تلاميذه، منهم محمد بن عبدالله بن سعيد بن عابد القرطبي، المتوفى سنة ٤٣٩هـ[٣].

ـ وأما رواية أبي ذر الهروي فقد رواها من الأندلسيين:

١ ـ أبو القاسم أصبغ بن راشد بن أصبغ اللخمي الإشبيلي، المتوفى سنة ٤٤٠هـ[٤].

٢ ـ محمد بن أحمد بن عيسى بن منظور الإشبيلي القاضي، المتوفى سنة ٤٦٩هـ وعمره حوالي ٧٠ سنة[٥].

٣ ـ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، المتوفى سنة ٤٧٤هـ[٦].

٤ ـ محمد بن شريح الرعيني المقري الإشبيلي، المتوفى سنة ٤٧٦هـ[٧].

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي ولد سنة ٣٢٤هـ وكان حافظاً للحديث والعلل، بصيراً بالرجال، رأساً في الفقه، ضريراً زاهداً ورعاً، له تصانيف بديعة توفي في ربيع الآخر سنة ٤٠٣هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤١٩، رقم: ٩٤٧).

(٢) انظر فهرسة ابن خير ص: ٩٦.

(٣) انظر بغية الملتمس ص: ٨٢، رقم: ١٧٧. انظر كذلك فهرسة ابن خير ص: ٩٦.

(٤) انظر بغية الملتمس ص: ٢٢٦، رقم: ٥٧٣.

(٥) المصدر السابق ص: ٥٢، رقم: ٢٨، وفهرسة ابن خير ص: ٩٤.

(٦) المصدر السابق ص: ٢٨٩ رقم: ٧٧٧.

(٧) المصدر السابق ص: ٨١، رقم: ١٤٥ وفهرسة ابن خير ص: ٩٤.

٥ ـ أحمد بن عمر بن أنس العذري الأندلسي (ابن الدلامي)، المتوفى سنة ٤٧٨هـ[١]، بالأسانيد المتقدمة.

وأما رواية عبدالله بن محمد بن أسد الجهني فقد رواها بالأندلس:

١ ـ القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن الحذّاء التميمي، (المتوفى سنة ٤٦٧هـ)[٢]، عن أبي محمد عبدالله بن محمد بن أسد الجهني عن أبي علي سعيد بن عثمان بن السكن عن محمد بن يوسف الفربري عن البخاري.

٢ ـ أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني ثم الجياني بالإسناد المتقدم[٣].

ـ وأما رواية القابسي فرويت بالأندلس من طريق:

١ ـ أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، المتوفى سنة ٤٦٩هـ[٤]، عن أبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي عن أبي زيد محمد بن أحمد المروزي عن الفربري عن الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ[٥].

هذا، وإضافة إلى رواية الفربري، فقد عرفت الأندلس أيضاً رواية إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي عن الإمام البخاري، وذلك عن طريق: أبي علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني قال: نا أبو الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي بمكة سنة ٣٨٢هـ، سمعت بعضه وأجاز لي سائره، قال: نا أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل الخيّام البخاري، قال: نا إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي، قال: نا البخاري ـ رحمه الله ـ[٦].

---

(١) بغية الملتمس ص: ١٨٢، رقم: ٤٤٦.
(٢) انظر فهرسة ابن خير ص: ٩٥، وبغية الملتمس ص: ١٥٢، رقم: ٣٤٩.
(٣) انظر فهرسة ابن خير ص: ٩٥.
(٤) أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، فقيه محدّث مشهور ثقة ثبت، حدّث عنه جماعة أعلام منهم الحافظ أبو علي الغساني وأبو محمد بن عتاب توفي رحمه الله سنة ٤٦٩هـ (انظر بغية الملتمس ص: ٢٥٤، رقم: ٦٥٨).
(٥) انظر فهرسة ابن خير ص: ٩٧.
(٦) المصدر السابق ص: ٩٧ ـ ٩٨.

هذه باختصار أهمّ روايات صحيح البخاري التي دخلت بلاد الأندلس وتداولها العلماء في ربوعها.

ومن أشهر الأصول التي كانت متداولة لروايات صحيح الإمام البخاري في الأندلس والمغرب الإسلامي:

١ ـ أصل أبي علي الصدفي: الحسين بن محمد بن حيون بن فيّارة الصدفي السرقسطي المعروف بابن سكرة المتوفى شهيداً سنة ٥١٤هـ[١].

هذا الأصل كتبه أبو علي الصدفي من نسخة للجامع الصحيح بخط محمد بن علي بن محمود مقروء على أبي ذر الهروي، وكان الفراغ من نسخ هذا الأصل يوم الجمعة ٢١ محرم الحرام سنة ٥٠٨هـ[٢].

٢ ـ أصل ابن سعادة: أبو عمران موسى بن سعادة، من أهل بلنسية بالأندلس، استوطن مرسية[٣]، وقد كتبها أبو عمران بن سعادة من أصل شيخه وصهره أبي علي الصدفي، وانتهى من كتابتها أواخر ذي القعدة سنة ٤٩٢هـ[٤]، وتوجد فروع هذه النسخة في الخزانة المغربية كما أشار إلى ذلك الأستاذ يوسف الكتاني[٥].

٢ ـ صحيح الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري[٦]:

---

(١) ترجمته في بغية الملتمس ص: ٢٥٣ رقم: ٦٥٥.
(٢) انظر فهرسة الفهارس للكتاني ١١٢/٢. وانظر كذلك (مدرسة البخاري في المغرب للدكتور يوسف الكتاني ٦٠/١ ـ دار لسان العرب بيروت ـ بدون تاريخ).
(٣) معجم أصحاب الصدفي ص: ١٨٨ ـ ١٩٠، رقم: ١٦٧، وبغية الملتمس ص: ٤٤١، رقم: ١٣٣٠.
(٤) معجم أصحاب أبي علي الصدفي ص: ١٩٠.
(٥) انظر مدرسة البخاري في المغرب للكتاني ٩٤/١ ـ ٩٧.
(٦) الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين النيسابوري، روى عن أحمد ويحيى وإسحاق وخلق وعنه الترمذي وأبو عوانة، وابن صاعد وخلق. مات رحمه الله في رجب سنة ٢٦١هـ (طبقات الحفاظ ص: ٢٦٤، رقم: ٥٩١).

٥ - أحمد بن عمر بن أنس العذري الأندلسي (ابن الدلامي)، المتوفى سنة ٤٧٨هـ[١]، بالأسانيد المتقدمة.

وأما رواية عبدالله بن محمد بن أسد الجهني فقد رواها بالأندلس:

١ - القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن الحذّاء التميمي، (المتوفى سنة ٤٦٧هـ)[٢]، عن أبي محمد عبدالله بن محمد بن أسد الجهني عن أبي علي سعيد بن عثمان بن السكن عن محمد بن يوسف الفربري عن البخاري.

٢ - أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني ثم الجياني بالإسناد المتقدم[٣].

- وأما رواية القابسي فرويت بالأندلس من طريق:

١ - أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، المتوفى سنة ٤٦٩هـ[٤]، عن أبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي عن أبي زيد محمد بن أحمد المروزي عن الفربري عن الإمام البخاري - رحمه الله -[٥].

هذا، وإضافة إلى رواية الفربري، فقد عرفت الأندلس أيضاً رواية إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي عن الإمام البخاري، وذلك عن طريق: أبي علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني قال: نا أبو الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي بمكة سنة ٣٨٢هـ، سمعت بعضه وأجاز لي سائره، قال: نا أبو صالح خلف بن محمد بن إسماعيل الخيّام البخاري، قال: نا إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي، قال: نا البخاري - رحمه الله -[٦].

---

(١) بغية الملتمس ص: ١٨٢، رقم: ٤٤٦.
(٢) انظر فهرسة ابن خير ص: ٩٥، وبغية الملتمس ص: ١٥٢، رقم: ٣٤٩.
(٣) انظر فهرسة ابن خير ص: ٩٥.
(٤) أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، فقيه محدّث مشهور ثقة ثبت، حدّث عنه جماعة أعلام منهم الحافظ أبو علي الغساني وأبو محمد بن عتاب توفي رحمه الله سنة ٤٦٩هـ (انظر بغية الملتمس ص: ٢٥٤، رقم: ٦٥٨).
(٥) انظر فهرسة ابن خير ص: ٩٧.
(٦) المصدر السابق ص: ٩٧ - ٩٨.

هذه باختصار أهمّ روايات صحيح البخاري التي دخلت بلاد الأندلس وتداولها العلماء في ربوعها.

ومن أشهر الأصول التي كانت متداولة لروايات صحيح الإمام البخاري في الأندلس والمغرب الإسلامي:

١ - أصل أبي علي الصدفي: الحسين بن محمد بن حيون بن فيّارة الصدفي السرقسطي المعروف بابن سكرة المتوفى شهيداً سنة ٥١٤هـ[١].

هذا الأصل كتبه أبو علي الصدفي من نسخة للجامع الصحيح بخط محمد بن علي بن محمود مقروء على أبي ذر الهروي، وكان الفراغ من نسخ هذا الأصل يوم الجمعة ٢١ محرم الحرام سنة ٥٠٨هـ[٢].

٢ - أصل ابن سعادة: أبو عمران موسى بن سعادة، من أهل بلنسية بالأندلس، استوطن مرسية[٣]، وقد كتبها أبو عمران بن سعادة من أصل شيخه وصهره أبي علي الصدفي، وانتهى من كتابتها أواخر ذي القعدة سنة ٤٩٢هـ[٤]، وتوجد فروع هذه النسخة في الخزانة المغربية كما أشار إلى ذلك الأستاذ يوسف الكتاني[٥].

٢ - صحيح الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري[٦]:

---

(١) ترجمته في بغية الملتمس ص: ٢٥٣ رقم: ٦٥٥.
(٢) انظر فهرسة الفهارس للكتاني ١١٢/٢. وانظر كذلك (مدرسة البخاري في المغرب للدكتور يوسف الكتاني ٦٠/١ - دار لسان العرب بيروت - بدون تاريخ).
(٣) معجم أصحاب الصدفي ص: ١٨٨ - ١٩٠، رقم: ١٦٧، وبغية الملتمس ص: ٤٤١، رقم: ١٣٣٠.
(٤) معجم أصحاب أبي علي الصدفي ص: ١٩٠.
(٥) انظر مدرسة البخاري في المغرب للكتاني ٩٤/١ - ٩٧.
(٦) الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين النيسابوري، روى عن أحمد ويحيى وإسحاق وخلق وعنه الترمذي وأبو عوانة، وابن صاعد وخلق. مات رحمه الله في رجب سنة ٢٦١هـ (طبقات الحفاظ ص: ٢٦٤، رقم: ٥٩١).

وهو: «المسند الصحيح المختصر من السنن، بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ».

ومن أشهر تلاميذ الإمام مسلم الذين رووا عنه الصحيح:

١ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان[1].

٢ ـ أبو محمد أحمد بن علي بن الحسين بن المغيرة بن عبدالرحمٰن القلانسي[2].

وقد اشتهر صحيح الإمام مسلم فيما بعد بروايات أهمها:

١ ـ رواية الجلودي (محمد بن عيسى بن عمرويه)[3].

٢ ـ رواية ابن ماهان (عبدالوهاب بن عيسى بن ماهان)[4].

٣ ـ رواية الكسائي (محمد بن إبراهيم بن يحيى الكسائي).

ـ أما رواية الجلودي فقد حدّث بها من الأندلسيين:

ـ أبو بكر بن العربي (محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي) عن الحسين بن علي الطبري[5]، عن عبدالغفّار بن محمد بن عبدالغفّار الزكي

(١) إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه أبو إسحاق النيسابوري الرجل الصالح راوي صحيح مسلم، روى عن محمد بن رافع، ورحل وسمع ببغداد والكوفة والحجاز، توفي سنة ٣٠٨هـ (شذرات الذهب ٢/٢٥٢).

(٢) انظر فهرسة ابن خير الإشبيلي ص: ١٥١.

(٣) أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه النيسابوري راوية صحيح مسلم عن ابن سفيان الفقيه، سمع من جماعة ولم يرحل، قال الحاكم: هو من كبار عبّاد الصوفية، وكان يعرف مذهب سفيان وينتحله توفي في ذي الحجة سنة ٣٦٨هـ وله ٨٠ سنة (شذرات الذهب ٣/٦٧).

(٤) أبو العلاء عبدالوهاب بن عيسى بن ماهان البغدادي ثم المصري، روى صحيح مسلم عن أبي بكر أحمد بن محمد الأشقر سوى ثلاثة أجزاء من الكتاب يرويها عن الجلودي توفي رحمه الله سنة ٣٨٨هـ (شذرات الذهب ٣/١٢٨).

(٥) أبو عبدالله الطبري الحسين بن علي بن حسين الفقيه الشافعي محدّث مكة ونزيلها روى عن عبدالغفار بن محمد، وكان عارفاً بمذهب الأشعري ـ توفي سنة ٤٩٨هـ (شذرات الذهب ٣/٤٠٨).

عن الجلودي عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان عن الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ[1].

ـ عبدالرحمٰن بن عبدالملك بن غشليان[2] ـ و ـ موسى بن سعيد بن إبراهيم الأموي، وأبو الحسن عبّاد بن سرحان المعافري[3]، كلهم عن الحسين بن علي الطبري بالإسناد المتقدم.

ـ أبو محمد عبدالله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري[4]، قال: نا به أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبدالرحمٰن بن بندار بن جبريل الرازي، قال: نا أبو أحمد الجلودي[5].

ـ أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث العذري ثم الدلائي[6]، قال: نا به ابن بندار بالسند المتقدم[7].

ـ أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، عن عمر بن محمد بن محمد بن داود السجزي عن الجلودي بالسند المتقدم[8].

(١) فهرسة ابن خير ص: ٩٨.

(٢) عبدالرحمٰن بن عبدالملك بن غشليان السرقسطي أبو الحكم توفي بقرطبة سنة ٥٤١هـ (بغية الملتمس ص: ٣٥[illegible]، رقم: ١٠٣١).

(٣) أبو الحسن عبّاد بن سرحان المعافري، شاطبي فقيه محدّث له تواليف، سكن العدوة وأقرأ بالمرية، يروي مسند الحميدي أبي عبدالله محمد بن أبي نصر عنه، رواه عنه أبو الحسن بن النعمة في سنة ٥٠٤هـ بالمرية. (بغية الملتمس ص: ٣٨٣، رقم: ١١١٩).

(٤) أبو محمد عبدالله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري، أندلسي فقيه محدّث زاهد، رحل من الأندلس قبل الثمانين وثلاثمائة، فتفقه بالقيروان وسمع أبا محمد بن أبي زيد، ورحل إلى مكة وسمع بها كثيراً وأقام بها مدة وبمصر ثم انتقل إلى بيت المقدس وبها مات. (بغية الملتمس ص: ٣٣٩، رقم: ٩٥٨).

(٥) فهرسة ابن خير ص: ٩٩.

(٦) أحمد بن عمر بن أنس العذري أبو العباس المري يعرف بابن الدلائي رحل مع والده بعيد الأربعمائة إلى مكة فسمع الكثير من شيوخها ومن القادمين إليها، توفي رحمه الله سنة ٤٧٨هـ (بغية الملتمس ص: ١٨٣، رقم: ٤٤٦).

(٧) فهرسة ابن خير ص: ٩٩.

(٨) المصدر السابق ص: ١٠٠.

ـ وأما رواية الكسائي فقد دخلت الأندلس من طريق:

ـ حاتم بن محمد الطرابلسي عن عبدالملك بن الحسن بن عبدالله الصقلي عن محمد بن إبراهيم بن يحيى الكسائي، عن إبراهيم بن محمد بن سفيان عن الإمام مسلم[1] ـ رحمه الله ـ

ـ مكي بن أبي طالب[2]، عن أحمد بن محمد بن زكرياء الفسوي عن الكسائي عن ابن سفيان عن الإمام مسلم[3].

ـ وأما رواية ابن ماهان (عبدالوهاب بن عيسى) فقد رواها بالأندلس:

ـ محمد بن يحيى بن الحذّاء القاضي[4]، عن عبدالوهاب بن ماهان، عن أحمد بن محمد بن يحيى الفقيه الأشقر عن أحمد بن محمد بن علي القلانسي عن الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ[5].

ـ أبو القاسم أحمد بن فتح بن عبدالله التاجر[6]، (المتوفى قريباً من ٤٠٠هـ)، عن ابن ماهان بالإسناد المتقدم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أبو محمد مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي كان فقيهاً مقرئاً أديباً، وله رواية وغلب عليه علم القرآن. أخذ بالقيروان عن أبي محمد بن أبي زيد، ولقي بالمشرق جلة من الشيوخ، ودخل قرطبة سنة ٣٩٣هـ فنشر علمه وعلا ذكره ورحل الناس إليه. صنف الكثير في علوم القرآن وغير ذلك ـ توفي رحمه الله في صدر محرم سنة: ٤٣٧هـ (الديباج المذهب لابن فرحون ص: ٣٤٦).

(٣) فهرسة ابن خير ص: ١٠٠.

(٤) محمد بن يحيى القاضي عرف بابن الحذّاء، فقيه محدّث حافظ له رحلة، يروي عن ابن أبي زيد ومحمد بن أحمد بن مفرّج، روى عنه الحافظ ابن عبدالبر وجماعة أعلام توفي سنة ٤١٦هـ (بغية الملتمس ص: ١٣٦، رقم: ٣١٩).

(٥) فهرسة ابن خير ص: ١٠١.

(٦) أحمد بن فتح بن عبدالله التاجر، رحل فسمع بمصر من ابن ماهان وطبقته، روى عنه أبو عمر بن عبدالبر توفي قريباً من ٤٠٠هـ (بغية الملتمس ص: ١٨٦، رقم: ٤٥٥) وانظر فهرسة ابن خير ص: ١٠١.

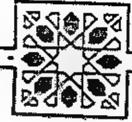
وهناك رواية أخرى لصحيح مسلم رواها سليمان بن خلف الباجي قال: أخبرنا به أبو ذرّ، أنا أبو بكر محمد بن عبدالله الجوزقي[1]، أنا مكي بن عبدان[2]، أنا مسلم.



---

(١) أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن زكريا الشيباني الجوزقي ـ له مستخرج على صحيح مسلم توفي سنة ٣٨٨هـ (تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٣).

(٢) محدّث نيسابور أبو حاتم مكي بن عبدان التيمي، المتوفى سنة ٣٢٥هـ (تذكرة الحفاظ ٣/٨٢٢).



المبحث الثالث: السنن

كتب السنن في اصطلاح المحدِّثين هي «الكتب المرتّبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها، وليس فيها شيء من الموقوف (والمقطوع) لأن ذلك لا يسمى في اصطلاحهم سنّة، ويسمى حديثاً»[1].

ومع نهاية الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، بدأت كتب السّنن تعرف طريقها إلى الأندلس، خاصة:

- سنن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، المتوفى سنة ٢٧٥هـ[2].

- سنن الإمام النسائي أحمد بن شعيب، المتوفى سنة ٣٠٣هـ[3].

(١) الرسالة المستطرفة للكتاني ص: ٢٥.

(٢) أبو داود سليمان بن الأشعث بن شدّاد بن عمرو الأزدي السجستاني الإمام العلم، صاحب كتاب «السّنن» و«الناسخ والمنسوخ» و«القدر» و«المراسيل» وغير ذلك. ولد سنة ٢٠٢هـ روى عن القعنبي، وأحمد، وإسحاق وابن المديني وخلق. وعنه الترمذي وأبو عوانة وخلق مات رحمه الله في شوال سنة ٢٧٥هـ (طبقات الحفاظ ص: ٢٦٥، رقم: ٥٩٢، والرسالة المستطرفة ص: ٩).

(٣) أبو عبدالرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي، القاضي الإمام الحافظ، روى عن ابن جوصا وابن الأعرابي والطحاوي، قال الحاكم: كان النسائي، أفقه مشايخ مصر في عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال، مات رحمه الله سنة ٣٠٣هـ ومولده سنة ٢١٥هـ (طبقات الحفاظ ص:٣٠٦ رقم: ٦٩٤) و(الرسالة المستطرفة ص: ٩ ـ ١٠).

- سنن الإمام الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، المتوفى سنة ٢٧٩هـ[1].

وفي هذا المبحث تتعرف على أهم الأسانيد التي وصلت بها الكتب المذكورة، إلى الأندلس، وأشهر الرواة لها بتلك الديار.

وقد اعتبرت في ترتيبها: الأفضلية وشدّة شروط مصنّفيها، مثلما فعلت بالنسبة للصحيحين. إذ للأئمة الخمسة رحمهم الله مذهباً في كيفية استنباط مخارج الحديث واعتبار حال الرواة العدول في مشايخهم، فقد ذكر الإمام الحازمي[2] ـ رحمه الله ـ أن الرواة بالنسبة لمشايخهم من حيث الضبط والملازمة على خمسة طبقات:

الطبقة الأولى: جمعت مع العدالة الحفظ والإتقان وطول الملازمة.

الطبقة الثانية: شاركت الأولى في العدالة لكنها أقل ملازمة وإتقاناً من الأولى.

الطبقة الثالثة: مثل أهل الطبقة الأولى بالنسبة للملازمة غير أنهم لم يسلموا مع غوائل الجرح.

الطبقة الرابعة: شاركوا أهل الطبقة الثالثة في الجرح والتعديل مع قلة الملازمة.

الطبقة الخامسة: نفر من الضعفاء والمجهولين.

فالبخاري يأخذ من الأولى أصالة وينزل إلى الثانية.

ومسلم يأخذ من الأولى والثانية وينزل إلى الثالثة.

(١) أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي ـ صاحب «الجامع» و«العلل». طاف البلاد وسمع خلقاً كثيراً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين وغيرهم. مات بترمذ في رجب سنة ٢٧٩هـ (طبقات الحفاظ ص: ٢٨٢، رقم: ٦٣٤). و(ميزان الاعتدال للذهبي ٦٧٨/٣، رقم: ٨٠٣٥).

(٢) شروط الأئمة الخمسة لمحمد بن موسى الحازمي ص: ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨. (دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ /١٩٨٤م).

وأبو داود والنسائي يأخذان من الأولى والثانية والثالثة وينزلان إلى الرابعة.

ومنهم من يفضّل أبا داود على النسائي لقلة الأحاديث الضعيفة، ومنهم من يقدّم النسائي لشدّة شروطه.

الترمذي: يأخذ من الأربعة وينزل إلى الخامسة[1].

١ ـ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث بن شدّاد السجستاني ـ رحمه الله ـ وقد عرفت بالروايات الآتية:

١ ـ رواية ابن داسة (محمد بن أبي بكر)[2].

٢ ـ رواية ابن الأعرابي (أحمد بن محمد)[3].

٣ ـ رواية الرملي (إسحاق بن موسى)[4].

٤ ـ رواية اللؤلؤي (محمد بن أحمد بن عمرو)[5].

ـ أما رواية ابن داسة فقد رواها بالأندلس: أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى المعروف بابن الزيات[6]، قال: نا أبو بكر

(١) انظر شروط الأئمة الخمسة للحازمي محمد بن موسى ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٤.

(٢) أبو بكر بن داسة البصري التمّار، محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرزّاق، راوي السنن عن أبي داود، المتوفى سنة ٣٤٦هـ (شذرات الذهب ٢/٣٧٣).

(٣) الحافظ أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي، صاحب التصانيف، سمع الحسن الزعفراني وأبا داود وخلقاً عمل لهم «معجماً». كان ثقة ثبتاً، عارفاً عابداً، ولد سنة ٢٤٦هـ ومات سنة ٣٤٠هـ (طبقات الحفاظ ص: ٣٥٣، رقم: ٧٩٩).

(٤) أبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملي راوية السنن عن أبي داود (عون المعبود ١/١٨).

(٥) أبو علي اللؤلؤي محمد بن أحمد بن عمرو البصري، راوية السنن عن أبي داود. لزم أبا داود مدة طويلة يقرأ السنن للناس مات سنة ٣٣٣هـ (شذرات الذهب ٢/٣٣٤).

(٦) أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن، رحل إلى العراق وغيرها، سمع إسماعيل بن محمد الصفّار وابن داسة ومحمد بن عثمان الصيدلاني ـ حدّث بالأندلس، روى عنه أبو عمر بن عبدالبر. (بغية الملتمس ص: ٣١٩، رقم: ٨٨٢).

محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرزاق التمّار المعروف بابن داسة البصري بالبصرة سنة ٣٤٠هـ، قال: نا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ـ رحمه الله ـ[1].

ـ وأما رواية ابن الأعرابي فرواها بالأندلس أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم[2]، قال: نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي قراءة عليه في المسجد الحرام في شهر رمضان سنة ٣١٣هـ، قال: نا أبو داود[3].

ورواها أيضاً أبو جعفر أحمد بن عون الله[4]، قال: نا أبو سعيد بن الأعرابي[5].

ـ وأما رواية الرملي فحدّث بها في الأندلس أبو عمر أحمد بن دحيم[6] بن خليل، قال: نا أبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملي ورّاق أبي داود ببغداد سنة ٣١٧هـ، قال: نا أبو داود[7].

ـ وأما رواية اللؤلؤي فقد حدّث بها من أهل الأندلس أبو الوليد

(١) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٠٣.

(٢) أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي، (المنتجيلي) سمع بالأندلس ورحل إلى المشرق فسمع الكثير، وألّف في تاريخ الرجال كتاباً كبيراً جمع فيه ما أمكنه من أقوال الناس في أهل العدالة والتجريح، سمعه منه خلق ـ توفي رحمه الله سنة ٣٥٠هـ (بغية الملتمس ص: ١٦٩).

(٣) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٠٣.

(٤) أحمد بن عون الله أبو جعفر فقيه محدّث مشهور، يروي عن قاسم بن أصبغ البياني وابن الأعرابي وبكر بن العلاء القاضي وابن الورد، يروي عنه أبو عمر الطلمنكي وغيره. (بغية الملتمس ص: ١٨٥، رقم: ٤٥٢).

(٥) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٠٤.

(٦) أحمد بن دحيم بن خليل أبو عمر محدّث أندلسي، سمع أبا عبدالله الزبيري وغيره روى عنه أبو عثمان سعيد بن نصر، وغيره، توفي رحمه الله سنة ٣٣٧هـ (بغية الملتمس ص: ١٦٦، رقم: ٣٩٩).

(٧) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٠٤.

الباجي عن أبي ذر الهروي عن الحسن بن بكر بن محمد الوزّان البصري عن اللؤلؤي عن أبي داود[1].

ورواها كذلك: أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي القاضي[2]، وعبّاد بن سرحان المعافري[3]، ومحمد بن عبدالرزّاق الكلبي[4]، عن محمد بن الوليد الطرطوشي، عن علي ابن أحمد بن علي التستري عن القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي عن اللؤلؤي عن أبي داود[5].

بعد هذا العرض الموجز لأسانيد أهم روايات سنن الإمام أبي داود ـ رحمه الله ـ التي دخلت الأندلس ورواها العلماء بها، يتضح أن روايات: ابن داسة وابن الأعرابي والرملي هي الأعلى إسناداً بالنسبة لباقي الروايات، إلا أن أكملها، رواية ابن داسة. قال أبو علي الغساني: «رواية أبي بكر بن داسة أكمل الروايات كلها، ورواية أبي عيسى الرملي تقاربها»[6].

وإضافة إلى كتاب السنن لأبي داود، فقد دخلت إلى الأندلس كتبه الآتية:

١ ـ كتاب المراسيل، وقد تضاف إلى السنن[7].

---

(١) فهرسة ابن خير ص: ١٠٤.
(٢) أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي الإشبيلي الحافظ القاضي، ولد سنة ٤٦٨هـ رحل إلى المشرق وسمع الكثير وتخرج بأبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي، كان متبحراً في العلم، ثاقب الذهن كريم الشمائل ـ صنّف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن وغير ذلك. مات بفاس سنة ٥٤٣هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤٦٨، رقم: ١٠٤٦).
(٣) مرت ترجمته.
(٤) محمد بن عبدالرزاق بن يوسف أبو بكر الكلبي الحاج، أندلسي فقيه توفي بإشبيلية سنة ٥٦٣هـ (انظر ترجمته في بغية الملتمس ص: ٩٨، رقم: ٢١١).
(٥) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٠٥.
(٦) المصدر السابق ص: ١٠٦.
(٧) المصدر السابق ص: ١٠٨.

٢ ـ كتاب الزهد[1].

٣ ـ كتاب التفرّد[2].

٤ ـ كتاب أعلام النبوة[3].

٢ ـ سنن النسائي: الإمام أبو عبدالرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن حرب النسائي ـ رحمه الله ـ وهي السنن الكبرى التي اشتهرت بالروايات الآتية:

١ ـ رواية ابن الأحمر (محمد بن معاوية)[4]، القرطبي.

٢ ـ رواية محمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد بن سيار القرطبي[5].

٣ ـ رواية حمزة بن محمد الكناني[6].

---

(١) المصدر السابق ص: ١٠٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق ص: ١١٠.
(٤) محمد بن معاوية بن عبدالرحمٰن بن عبدالرحمٰن بن معاوية، أبو بكر الأموي المرواني القرطبي المعروف بابن الأحمر ـ رحل قبل الثلاثمائة ودخل العراق وغيرها ـ سمع محمد بن يحيى بن سليمان المروزي وأبا خليفة الفضل بن الحباب وأبا عبدالرحمٰن أحمد بن شعيب النسوي، وهو أول من أدخل الأندلس مصنّفه في السنن وحدّث به واشتهر عنه ـ وكان ثقة جليلاً ـ توفي رحمه الله سنة ٣٥٨هـ (انظر بغية الملتمس ص: ١١٦ رقم: ٢٧، وشذرات الذهب ٢٧/٣).
(٥) محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار، مولى هشام بن عبدالملك يكنى: أبا عبدالله يقال له: البياني ـ روى عن بقي بن مخلد ومحمد بن وضّاح ومحمد بن عبدالسلام الخشني وخلق، روى عنه ابنه أحمد وخلف بن سعد وغيرهم، توفي ـ رحمه الله ـ بالأندلس سنة ٣٢٨هـ (بغية الملتمس ص: ١١٣ رقم: ٢٦٠).
(٦) حمزة بن محمد بن علي بن العباس، أبو القاسم الكناني المصري، سمع النسائي وأبا يعلى الموصلي ومنه الدارقطني وعلي بن حمصة. قال الحاكم: متفق على تقدّمه في معرفة الحديث، وقال الصوري: كان حافظاً ثبتاً. مات سنة ٣٥٧هـ (طبقات الحفاظ ص: ٣٧٨ رقم: ٨٥٤).

٤ ـ رواية أبي بكر المهندس[1].

ـ **أما رواية ابن الأحمر القرطبي:** فراويها هو أول من أدخلها الأندلس بعدما سمعها من الإمام النسائي بمصر سنة ٣٠٠هـ[2].

ومن أشهر تلاميذه الذين رووا عنه سنن النسائي:

١ ـ القاضي أبو الوليد يونس بن عبدالله بن مغيث[3]، قال: نا أبو بكر محمد بن معاوية بن عبدالرحمٰن القرشي المعروف بابن الأحمر، قال: نا أبو عبدالرحمٰن النسائي[4] ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ ورواها أيضاً: أبو محمد عبدالله بن الربيع بن عبدالله التميمي[5]، قال: نا أبو بكر محمد بن معاوية القرشي قراءة عليه سنة ٣٥٠هـ، قال: نا أبو عبدالرحمٰن النسائي[6].

ـ **وأما رواية محمد بن القاسم:** فدخلت الأندلس بعد رواية ابن الأحمر، أدخلها محمد بن القاسم نفسه.

ومن أشهر تلاميذه الذين رووا عنه سنن النسائي:

١ ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن علي اللخمي الباجي، المتوفى

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل المهندس ـ محدّث ديار مصر، كان ثقة تقياً، روى عن البغوي ومحمد بن محمد الباهلي وطبقتهما. توفي سنة ٣٨٥هـ (شذرات الذهب ١١٣/٣).

(٢) انظر بغية الملتمس ص: ١١٧.

(٣) يونس بن عبدالله بن محمد بن مغيث، أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة، يعرف بابن الصفّار، من أعيان أهل العلم ـ سمع ابن الأحمر ومحمد بن يبقى، وروى عنه أبو عمر بن عبدالبر وأبو محمد بن حزم ـ وكان زاهداً فاضلاً. (بغية الملتمس ص: ٤٩٨ رقم: ١٤٩٨).

(٤) فهرسة ابن خير ص: ١١٠.

(٥) عبدالله بن الربيع بن عبدالله التميمي، أبو محمد، سكن قرطبة، سمع أبا بكر محمد بن معاوية القرشي وعبدالله بن محمد بن عثمان ـ روى عنه أبو محمد بن حزم ـ توفي سنة ٤١٠هـ (بغية الملتمس ص: ٣٣١ رقم: ٩٢٣).

(٦) انظر فهرسة ابن خير ص: ١١١.

سنة ٣٧٨هـ[1]، قال: نا بها أبو عبدالله محمد بن قاسم بن محمد عن أبي عبدالرحمٰن النسائي[2].

٢ ـ أبو بكر عباس بن أصبغ بن عبدالعزيز بن غصن الهمداني المعروف بالحجاري[3].

قال: نا محمد بن قاسم، قال: نا النسائي[4].

ـ **وأما رواية حمزة بن محمد الكناني ـ رحمه الله ـ:**

فحدّث بها من الأندلسيين:

١ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرّج القاضي[5]، قال: نا أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني، قال: نا أبو عبدالرحمٰن النسائي[6] ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ أبو محمد الأصيلي عن حمزة الكناني عن النسائي ـ رحمه الله ـ[7].

ـ **وأما رواية أبي بكر المهندس:**

من روّاتها بالأندلس: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عابد

(١) عبدالله بن محمد بن علي بن شريعة، أبو محمد المعروف بالباجي، سكن إشبيلية، فقيه محدّث مكثر جليل سمع من محمد بن عمر بن لبابة، وعبدالله بن يونس المرادي روى عنه ابنه أحمد، وعبدالله بن إبراهيم الأصيلي، توفي سنة ٣٧٨ (بغية الملتمس ص: ٣١٧ رقم: ٨٧٩).

(٢) انظر فهرسة ابن خير ص: ١١١.

(٣) أبو بكر، عباس بن أصبغ الهمداني ـ روى عن محمد بن عبدالملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ، روى عنه أبو عمر بن عبدالبر، وأبو عبدالله محمد بن عبدالله بن يزيد اللخمي وقال أنه سمع منه في سنة ٣٧٨هـ (بغية الملتمس ص: ٤١٧ رقم: ١٢٤٤) و(تاريخ ابن الفرضي ٣٤٢/١ رقم: ٨٨٥).

(٤) فهرسة ابن خير ص: ١١١.

(٥) مرت ترجمته في ص: ١٥٤.

(٦) انظر فهرسة ابن خير ص: ١١٢.

(٧) المصدر السابق، ص: ١١٣.

المعافري[١]، قال: حدثنا به أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل المهندس بمصر، عن أبي عبدالرحمٰن النسائي ـ رحمه الله ـ[٢].

كما دخل الأندلس كتاب «المجتبى من السنن»[٣]، للنسائي أيضاً:

فقد رواه من الأندلسيين: أيوب بن الحسين[٤]، قاضي الثغر عن أبي موسى عبدالكريم عن أبيه الإمام النسائي[٥] ـ رحمه الله ـ.

٣ ـ سنن الإمام الترمذي: (محمد بن عيسى بن سورة، المتوفى سنة ٢٧٩هـ).

وهو «الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل».

وهو آخر كتب السنن وصولاً إلى الأندلس، وقد اشتهر بالروايات الآتية:

١ ـ رواية ابن محبوب[٦]، (أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي).

---

(١) محمد بن عبدالله بن سعيد بن عابد القرطبي فقيه محدّث توفي سنة ٤٣٩هـ (بغية الملتمس ص: ٨٢ رقم:١٧٧).

(٢) انظر فهرسة ابن خير ص: ١١٥.

(٣) كتاب المجتبى اختصره الإمام النسائي من سننه الكبرى؛ وذلك أن بعض الأمراء سأله عن كتابه في السنن: أكله صحيح؟ فقال: لا، قال: فاكتب لنا الصحيح منه مجرّداً، فصنع المجتبى، فهو المجتبى من السنن، ترك كل حديث أورده في السنن مما تكلّم في إسناده بالتعليل. (انظر فهرسة ابن خير ص: ١١٦ ـ ١١٧).

(٤) أيوب بن الحسين بن محمد بن أحمد، أبو سليمان، يعرف بابن الطويل. (تاريخ ابن الفرضي ١/١٠٤ رقم: ٢٧٥).

(٥) انظر فهرسة ابن خير ص: ١١٧.

(٦) أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المروزي محدّث مرو وشيخها ـ روى جامع الترمذي عن مؤلفه ـ توفى سنة ٣٤٦هـ (شذرات الذهب ٢/٣٧٣).

٢ ـ رواية الصيدلاني[١]، (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يوسف).

٣ ـ رواية أبي حامد التاجر[٢]، (أحمد بن عبدالله بن داود التاجر المروزي).

ـ أما رواية ابن محبوب: فقد رواها من الأندلسيين:

ـ أبو الحسن عبّاد بن سرحان بن مسلم المعافري.

ـ وأبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي الإشبيلي.

كلاهما عن المبارك بن عبدالجبار الصيرفي المعروف بابن الطيوري[٣]، عن أبي يعلى أحمد بن عبدالواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة[٤]، عن الحسن بن شعبة المروزي، عن ابن محبوب عن الترمذي ـ رحمه الله ـ[٥].

ـ ورواها كذلك ابن سكرة (حسين بن محمد)[٦]، عن أحمد بن الحسن بن خيرون[٧]، وابن الطيوري بالسند المتقدم[٨].

---

(١) انظر فهرسة ابن خير الإشبيلي ص: ١٢١.

(٢) انظر تهذيب الكمال ص: ٢٦/٢٥١.

(٣) أبو الحسين المبارك بن عبدالجبار بن أحمد بن القاسم الأزدي الصيرفي المعروف بابن الطيوري، المكثر الثقة المتوفى ببغداد سنة ٥٠٠هـ (انظر الرسالة المستطرفة ص: ٦٩).

(٤) انظر فهرسة ابن خير الإشبيلي ص: ١١٧ ـ ١١٨.

(٥) انظر المصدر السابق ص: ١١٨.

(٦) حسين بن محمد بن حيونُ بن فيّارة الصدفي أبو علي المعروف بابن سكّرة القاضي، محدّث زاهد كثير الرواية ـ مات سنة ٥١٤هـ (بغية الملتمس ص: ٢٥٣ رقم: ٦٥٥).

(٧) أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي ابن الباقلاني ـ سمع البرقاني وابن شاذان وخلائق، كان ثقة متقناً واسع الرواية له معرفة بالحديث توفي سنة ٤٨٨هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤٤٤ رقم: ٩٩٩).

(٨) انظر فهرسة ابن خير ص: ١١٩.

ـ وأما رواية الصيدلاني فرواها بالأندلس:

ـ أبو زكرياء يحيى بن محمد بن يوسف الأشعري الجياني[1]، عن يوسف الصيدلاني عن أبي ذر محمد بن إبراهيم بن محمد الترمذي، عن أبي عيسى الترمذي[2] ـ رحمه الله ـ.

ـ وأما رواية أبي حامد التاجر فحدّث بها في الأندلس:

أبو محمد مكي بن أبي طالب قال: سمعت عبدالواحد بن علي بن أحمد العباسي وأخاه عبدالسميع وأبا بكر أحمد بن إبراهيم المروزي، قالوا كلهم: حدثنا أبو زيد محمد بن أحمد المروزي عن أبي حامد التاجر عن أبي عيسى الترمذي[3] ـ رحمه الله ـ.

والملاحظ أن رواية أبي يعقوب الصيدلاني هي الأعلى إسناداً من بين باقي الروايات.

هذا ولم أذكر في هذا المبحث كل الأسانيد التي رويت بها كتب السنن في الأندلس، خشية الإطالة واقتصرت على أعلاها.



(١) ترجمته في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٢/١٩٣ رقم: ١٦٠٤.

(٢) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٢١.

(٣) المصدر السابق ص: ١٢٠ ـ ١٢١.

المبحث الرابع:
المصنّفات المتضمنة
للسنن مع فقه الصحابة والتابعين

١ ـ مصنّف عبدالرزاق بن همام[1] ـ رحمه الله:

رواه بالأندلس أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد[2]، عن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدبري[3]، عن مؤلفه عبدالرزاق ـ رحمه الله ـ.

وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرّج عن أبي سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابي عن إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبدالرزاق[4].

٢ ـ مصنّف حمّاد بن سلمة:

رواه بالأندلس أحمد بن خالد بن يزيد الفقيه عن علي بن عبدالعزيز

(١) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري ـ أبو بكر الصنعاني ـ ثقة حافظ مصنّف شهير مات سنة ٢١١هـ وله ٨٥ سنة (تقريب التهذيب ص: ٣٥٤ رقم: ٤٠٦٤).

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) إسحاق بن إبراهيم الدبري، احتج به أبو عوانة في صحيحه وأكثر عنه الطبراني، قال الدارقطني، صدوق ما رأيت فيه خلاف، إنما قيل لم يكن من رجال هذا الشأن، عاش الدبري إلى سنة ٢٨٧هـ (ميزان الاعتدال ١/١٨١ رقم: ٧٣١).

(٤) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٢٧.

عن حجّاج بن منهال عن حمّاد بن سلمة[1].

٣ ـ مصنّف سفيان بن عيينة:

حدّث به محمد بن عبدالسلام الخشني الأندلسي عن محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني عن سفيان بن عيينة[2].

٤ ـ مصنّف سعيد بن منصور البلخي[3]:

حدّث به في الأندلس أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرّج عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فراس بن محمد بن علي بن يزيد الصائغ عن سعيد بن منصور[4].



(١) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة، ثقة عابد مات سنة ١٦٧هـ (التقريب ص: ١٧٨ رقم: ١٤٩٩).
(٢) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٣٤.
(٣) سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الحافظ روى عن مالك والليث وعنه أحمد ومسلم وأبو داود وخلق ـ مات سنة سبع وعشرين ومائتين بمكة (طبقات الحفاظ ص: ١٨٢ رقم: ٤٠٢) و(تذكرة الحفاظ ٢/٤١٢).
(٤) فهرسة ابن خير ص: ١٣٥.

المبحث الخامس:
المسانيد المخرّجة على أسماء الصحابة

١ ـ مسند البزّار[1]، (أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق):

في حديث النبي ﷺ بعلله والكلام عليه.

ـ حدّث به من الأندلسيين القاضي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرّج عن محمد بن أيوب بن حبيب الرقّي الصموت عن أبي بكر البزّار مؤلفه[2] ـ رحمه الله ـ.

ـ وحدّث به أبو القاسم أحمد بن فتح المعافري[3]، عن أبي العباس أحمد بن الحسن بن عتبة الرازي عن أبي بكر البزّار ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل[4] ـ رحمه الله ـ (المتوفى سنة ٢٤١هـ).

(١) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البصري الشهير ـ صاحب المسند الكبير، رحل في آخر عمره إلى أصبهان والشام ينشر علمه، مات بالرملة سنة ٢٩٢هـ (طبقات الحفاظ ص: ٢٨٩ رقم: ٦٥١).
(٢) انظر فهرسة ابن خير ص:١٣٩.
(٣) أحمد بن فتح بن عبدالله التاجر رحل فسمع بمصر من حمزة الكناني وأحمد بن الحسن بن عتبة وابن ماهان ـ حدّث بالأندلس فروى عنه من أهلها أبو عمر بن عبدالبر، توفي قريباً من ٤٠٠هـ (بغية الملتمس ص: ١٨٧ رقم:٤٥٥).
(٤) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ـ أبو عبدالله المروزي ثم البغدادي ولد ببغداد في ربيع الأول سنة ١٦٤هـ ـ نشأ ببغداد وطاف البلاد ودخل=

حدّث به في الأندلس:

- أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان ابن مالك عن عبدالله بن أحمد بن حنبل[1]، عن الإمام أحمد.

- وأبو القاسم عبدالرحمٰن بن عبدالله بن خالد الوهراني[2]، عن أحمد بن جعفر بالسند المتقدم[3].

٣ ـ مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي[4]، (المتوفى سنة ٢٠٣هـ). (وهو أول مسند صنّف في الإسلام).

حدّث به من الأندلسيين أبو عمر عثمان بن أبي بكر السفاقسي[5]، عن

= الكوفة والبصرة والحجاز واليمن والشام في طلب العلم. روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وآخرون كان من الحفاظ الأئمة ـ توفي رحمه الله سنة ٢٤١ (طبقات الحفاظ ص: ١٨٩ رقم: ٤١٧).

(١) عبدالله بن أحمد بن حنبل أبو عبدالرحمٰن البغدادي ـ روى عن أبيه وابن معين وخلق، وعنه النسائي وابن صاعد وأبو عوانة والطبراني وغيرهم ـ كان ثقة ثبتاً فهماً، ولد سنة ٢١٣هـ، ومات سنة ٢٩٠هـ (طبقات الحفاظ ص: ٢٩٢ رقم: ٦٦٠).

(٢) عبدالرحمٰن بن عبدالله بن خالد الهمداني الوهراني يعرف بابن الخرّاز، رحل إلى العراق وغيرها سمع أبا إسحاق البلخي صاحب الفربري، وأحمد بن جعفر القطيعي ـ روى عنه الإمامان أبو عمر بن عبدالبر وأبو محمد بن حزم. (بغية الملتمس ص: ٣٥٣ رقم: ١٠٢٢).

(٣) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٤٠.

(٤) أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود البصري الحافظ أحد الأعلام ـ روى عن الثوري وهشام الدستوائي وشعبة وابن المبارك وخلق، وعنه أحمد وابن المديني وآخرون. كان ثقة كثير الحديث مات بالبصرة سنة ٢٠٣هـ (طبقات الحفاظ ص: ١٥٣ رقم: ٣٢٧).

(٥) عثمان بن أبي بكر بن حمود بن أحمد الصدفي أبو عمرو السفاقسي ـ محدّث رحل إلى العراق وغيرها بعد سنة ٤٢٠هـ ـ سمع الكثير، من أهل الرواية والعلم ـ حدّث عن أبي نعيم الأصبهاني وجماعة آخرين ـ وكان فاضلاً عاقلاً، قال الحميدي قرأت عليه كثيراً وكتبت عنه. (بغية الملتمس ص: ٣٩٧ رقم: ١١٨٠).

أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني[1]، عن عبدالله بن جعفر بن يونس بن جبيب عن أبي داود الطيالسي[2] ـ رحمه الله ـ

٤ ـ مسند الحارث بن محمد بن أبي أسامة (المتوفى سنة ٢٨٢هـ)[3]:

حدّث به من الأندلسيين قاسم بن أصبغ البياني عن مؤلفه الحارث بن أبي أسامة[4].

٥ ـ مسند أسد بن موسى (أسد السنّة، المتوفى سنة ٢١٢هـ)[5]:

حدّث به من الأندلسيين:

- سعيد بن عثمان التجيبي الأعناقي[6].

- ويحيى بن عمر الأندلسي[7] ـ.

(١) أحمد بن عبدالله بن أحمد الحافظ أبو نعيم الأصبهاني أحد الأعلام ـ صدوق ـ تكلّم فيه بغير حجة. (انظر ميزان الاعتدال ١/١١١ رقم: ٤٣٨).

(٢) فهرسة ابن خير ص: ١٤١.

(٣) الحارث بن محمد بن أبي أسامة داهر ـ الإمام أبو محمد التميمي البغدادي ـ ولد سنة ١٨٦هـ قال الدارقطني ـ صدوق، ووثّقه إبراهيم الحربي، مات يوم عرفة سنة ٢٨٢هـ. (انظر طبقات الحفاظ ص: ٢٧٦ رقم: ٦٢٥) و(الرسالة المستطرفة ص: ٥٠).

(٤) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٤١.

(٥) أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي المصري. ويقال له: أسد السنّة ـ روى عن روح بن عبادة وحمّاد بن زيد وشعبة، وعنه أحمد بن صالح المصري وخلق ـ قال البخاري: مشهور الحديث ـ ولد بمصر سنة ١٣٢هـ ومات بها سنة ٢١٢هـ (انظر طبقات الحفاظ ص: ١٧٠ رقم: ٣٧٣) و (الرسالة المستطرفة ص: ٤٧).

(٦) سعيد بن عثمان بن سعيد بن سليمان التجيبي ـ أندلسي يكنى: أبا عثمان يقال له: الأعناقي سمع إسحاق بن إسماعيل بن عبد الأعلى صاحب سفيان بن عيينة، ويونس بن عبد الأعلى وخلق. روى عنه أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي ووهب بن مسرّة وغيرهما. مات بالأندلس سنة ٣٠٥هـ (انظر بغية الملتمس ص: ٢٩٥ رقم: ٨٠٣).

(٧) يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر ـ أندلسي من موالي بني أمية، يكنى: أبا زكريا، يروي عن أبي المصعب أحمد بن أبي بكر الزهري صاحب مالك بن أنس، وعن الحارث بن مسكين وغيرهما. مات ـ رحمه الله ـ بمدينة سوسة سنة ٢٨٥هـ وقيل سنة ٢٨٩هـ، وكان مولده سنة ٢١٣هـ (انظر بغية الملتمس ص: ٤٩٠ رقم: ١٤٨٤).

كلاهما عن نصر بن مرزوق عن أسد بن موسى - رحمه الله[١].

٦ - **مسند ابن سنجر** (محمد بن عبدالله، المتوفى سنة ٢٥٨)[٢].

حدّث به من الأندلسيين:

- أحمد بن عمرو بن منصور الألبيري[٣]، عن ابن سنجر، وهو عشرون جزءاً[٤].

٧ - **مسند أبي محمد عبدالله بن محمد بن ناجية**[٥]: وهو في ١٣٢ جزءاً:

حدّث به في الأندلس:

- أبو القاسم خلف بن قاسم[٦]، عن أبي قتيبة بن سلم بن الفضل البغدادي عن ابن ناجية[٧].

---

(١) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٤١ - ١٤٢.

(٢) محمد بن عبدالله بن سنجر الجرجاني - أبو عبدالله، سمع أسد بن موسى والحميدي وخلائق مات في ربيع الأول سنة ٢٥٨هـ (طبقات الحفاظ ص: ٢٥٨ رقم: ٥٧٣) و (الرسالة المستطرفة ص: ٥٢).

(٣) أحمد بن عمرو بن منصور الألبيري - صاحب صلاة ألبيرة وخطيبها، فقيه محدّث عالم، يفهم الحديث ويعرف الرجال ويحفظ - وهو من موالي بني أمية - له رحلة لقي فيها ابن سنجر ويونس بن عبد الأعلى وغيره، مات بالأندلس سنة ٣١٢هـ (بغية الملتمس ص: ١٨٤ رقم: ٤٤٩).

(٤) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٤٢.

(٥) ابن ناجية: الحافظ أبو محمد عبدالله بن ناجية بن نجبة البربري ثم البغدادي ثقة ثبت، مات في رمضان سنة ٣٠١هـ (طبقات الحفاظ ص: ٣٠٦ رقم: ٦٩٣)، والرسالة المستطرفة ص: ٥٣.

(٦) خلف بن قاسم بن سهل بن أسود، أبو القاسم المعروف بابن الدباغ، كان محدّثاً مكثراً حافظاً، سمع بالأندلس، ثم رحل قبل الخمسين والثلاثمائة إلى مصر ومكة والشام - كتب بالمشرق على نحو ثلاثمائة رجل وكان من أعلم الناس برجال الحديث توفي رحمه الله سنة ٣٩٣هـ (بغية الملتمس ص: ٢٧٣ رقم: ٧١٧).

(٧) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٤٢ - ١٤٣.

٨ - **المنتخب لعلي بن عبدالعزيز**[١]، (مخرّج على أسماء الصحابة):

حدّث به من الأندلسيين:

- أحمد بن خالد بن يزيد[٢]، عن مؤلفه[٣].



---

(١) علي بن عبدالعزيز بن المرزبان بن شابور الحافظ أبو الحسن البغوي، شيخ الحرم ومصنّف «المسند»، قال الدارقطني: ثقة مأمون، وقال ابن أبي حاتم: صدوق. مات رحمه الله سنة ٢٨٦هـ عن بضع وتسعين سنة (طبقات الحفاظ ص: ٢٧٨ رقم: ٦٢٨)، وميزان الاعتدال ١٤٣/٣.

(٢) أحمد بن خالد بن يزيد: أبو عمر يعرف بابن الجباب، جياني الأصل، سكن قرطبة، كان حافظاً متقناً، وراوية للحديث مكثراً - رحل فسمع من جماعة منهم إسحاق بن إبراهيم الدبري صاحب عبدالرزاق بن همام وغيره، ومن أهل الأندلس محمد بن وضّاح وبقي بن مخلد ومحمد بن عبدالسلام الخشني وخلق - توفي بقرطبة سنة ٣٢٢هـ وكان مولده سنة ٢٤٦هـ (بغية الملتمس ص: ١٦٣ رقم: ٣٩٦).

(٣) انظر فهرسة ابن خير ص: ١٤٣.

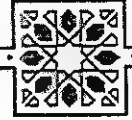
الفصل الثالث

عناية الأندلسيين بالكتب ونسخها ونشأة المكتبات

المبحث الأول: الحرص على جلب الكتب وجمعها.

المبحث الثاني: الوراقة والنسخ.

المبحث الثالث: تكوين المكتبات.



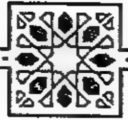
عناية الأندلسيين بالكتب ونسخها ونشأة المكتبات

عرفت الأندلس منذ القرن الثاني الهجري عناية خاصة بالكتب العلمية. فقد سخّر أمراء بني أمية إمكانيات كبيرة لجلب الكتب من مختلف البلدان ونسخها وترجمة بعضها، حتى تكوّنت لديهم مكتبات فاقوا بها من كان قبلهم.

وقد شاركهم في هذا الاهتمام طبقة العلماء وشريحة واسعة من أهالي الأندلس.

وفي هذا الفصل سنلقي الضوء على دور الأمراء في إثراء المكتبة الأندلسية، وازدهار الوراقة والنسخ بها.





المبحث الأول: الحرص على جلب الكتب وجمعها

اتجه الناس في الأندلس إلى العناية بالكتب منذ زمن مبكّر جمعاً ونسخاً وتجليداً وتزييناً، بيعاً وشراء، ثم تأليفاً وتصنيفاً. ويمكن حصر العوامل الرئيسية التي ساعدت على ذلك في الآتي:

أ ـ الرحلة بمختلف أغراضها.

ب ـ الوراقة والنسخ.

جـ ـ التأليف.

وقد تكلمنا في الباب الأول من هذا البحث عن الرحلة في طلب العلم وأثرها في انتعاش حركة الحديث بالأندلس، إلا أن الرحلة في حقيقة الأمر كانت لأغراض متنوّعة، شارك فيها الحاج والتاجر والعالم المتطوع، والمكلّف من قبل الأمراء، وكانوا غالباً ما يأخذون معهم مؤلفات الأندلسيين إلى المشرق ويحضرون معهم كتب المشارقة، وكانت في كل فنّ.

وقد أشار المقرئ التلمساني في النفح: أن الراحلين إلى المشرق على اختلاف أغراضهم «لا يمكن حصرهم بوجه ولا مجال، ولا يعلم ذلك على وجه الإحاطة إلا علّام الغيوب»[(١)].

---

(١) نفح الطيب ٦/٦.

وقد أشرنا فيما سبق إلى نماذج من الأندلسيين الراحلين إلى المشرق طلباً للعلم، وهم المتطوّعون غالباً.

إضافة إلى ذلك فقد اهتمّ أمراء الأندلس بإرسال المبعوثين لاقتناء الكتب من المشرق.

فهذا عباس بن الناصر الذي كلّفه الأمير الحكم بن هشام أن يتوجّه إلى المشرق لالتماس الكتب القديمة «فأتى الأمير بكتاب السند هند» الذي ترجم إلى العربية[1].

والأكثر من ذلك ما رواه ابن بشكوال عن أبي حفص الزهراوي قوله: «ساق سلمة بن سعيد[2]، شيخنا من المشرق ثمانية عشر حملاً مشدودة من كتب، وسافر من أستجّه إلى المشرق واتخذ مصر موئلاً واضطرب في المشرق سنين كثيرة جداً يجمع في الآفاق كتب العلم، فكلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نهض به إلى مصر، ثم انزعج بالجميع إلى الأندلس، وكانت في كل فنّ من العلم، ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله إلى المشرق»[3].

ولم يكن سلمة بن سعيد الأول ولا الآخر في هذا الشأن فقد عرفت الأندلس حركة حثيثة لجمع الكتب واقتنائها، كما شارك في هذا الجهد بعض التجار المشارقة الذين كانوا يحضرون معهم الكتب التي عليها طلب منقطع النظير في الأندلس.

وقد رافق هذا النشاط المتميّز في جمع الكتب، نشاط مماثل في نسخ تلك الكتب وغيرها، وتجليدها ونشرها بين الناس.

(١) ابن سعيد ـ المغرب ص: ١/٤٥.

(٢) سلمة بن سعيد الأستجّي ـ محدّث له رحلة وطلب، سمع أبا بكر الآجري بمكة والحسن بن رشيق بمصر ـ روى عنه أبو عمر بن عبدالبر (بغية الملتمس ص: ٣٠٣ رقم: ٨٣٥).

(٣) كتاب الصلة لابن بشكوال ص: ١/٢١٩ ـ ٢٢٠ رقم: ٥١٢ (القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).



المبحث الثاني: الوراقة والنّسخ

إن حركة التأليف واجتلاب الكتب وكثرة مجالس العلم في الأندلس جعلت سوق الوراقة نافقة، وذلك لسد الطلب المتزايد على نسخ الكتب.

وقبل التطرّق لأصناف النسّاخ والورّاقين، نتعرّف أولاً على معنى الوراقة.

يقول ابن خلدون: «الوراقة هي معاناة الكتب والانتساخ والتجليد»[1]. «والورّاقون هم الذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها»[2].

أ ـ أصناف النسّاخ:

١ ـ **الصّنف الأول:** هم الذين ينسَخون لأنفسهم: منهم العلماء الذين يريدون الحفاظ على مروياتهم، وإثراء مكتباتهم، فهذا الشيخ أبو عبدالله محمد بن سعيد بن نبات[3]، (مات بعد الأربعمائة) الذي نسخ أكثر مروياته بخط يده، قال ابن بشكوال: «وكتب بخطه علماً كثيراً ما علمت أحداً ممن أدركنا بلغ مبلغه في فنون العلم وضروبه»[4].

(١) مقدمة ابن خلدون ص: ٧١٤.

(٢) نفس المصدر السابق ص: ٧١٥.

(٣) محمد بن سعيد بن عمر بن نبات أبو عبدالله، شيخ من شيوخ الحديث روى عن عبدالله بن نصر الزاهد وأبي عبدالله محمد بن يحيى بن مفرّج وغيره، مات بعد الأربعمائة (بغية الملتمس ص: ٦٩ رقم: ١٣٤).

(٤) الصلة لابن بشكوال ص: ٢/٥٢٠.

٢ ـ الصنف الثاني: هم الذين ينسخون بين يدي العلماء: وهم الذين يلازمون العلماء في حلقات الدّرس ينسخون لهم الأمالي، قال ابن بشكوال: أخبرني جماعة عن أبي علي الغساني قال: سمعت القاضي أبا القاسم سراج بن عبدالله[1]، يقول: «شهدت مجلس القاضي أبي المطرّف ابن فطيس[2]، وهو يملي على الناس الحديث، ومستملي بين يديه، وكان له ستة ورّاقين ينسخون له دائماً، وكان قد رتّب لهم على ذلك راتباً معلوماً، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه وبالغ في ثمنه، فإن قدر على ابتياعه وإلا انتسخه منه ورده عليه»[3].

٣ ـ الصنف الثالث: هم الذين استعملهم الأمراء في النسخ ومقابلة الكتب، فقد ذكر ابن الفرضي[4]، أن محمد بن يحيى بن عبدالسلام الأزدي النحوي المعروف بالرباحي[5]، (ت:٣٥٨هـ) من أهل قرطبة صار إلى خدمة المستنصر بالله في مقابلة الكتب، وتوسّع له في الجراية.

وكذلك الأمر بالنسبة لعباس بن عمرو بن هارون الكناني[6]، الوراق (ت: ٣٧٩هـ) من أهل صقلية، اتصل بولي العهد الحكم بن عبدالرحمٰن ـ

(١) سراج بن عبدالله بن سراج مولى عبدالرحمٰن الداخل. صاحب أحكام القضاء بقرطبة، فقيه عارف مشهور توفي في شوال سنة ٤٥٦هـ (بغية الملتمس ص: ٢٩٠ رقم: ٧٨٠).

(٢) عبدالرحمٰن بن محمد بن عيسى بن فطيس ـ أبو المطرف القاضي ـ قرطبي فقيه محدّث يروي عنه حاتم بن محمد الطرابلسي (بغية الملتمس ص: ٣٤٣ رقم: ٩٧٦).

(٣) الصلة لابن بشكوال ص: ٢٩٨/١ ـ ٢٩٩ رقم: ٦٨٢.

(٤) تاريخ ابن الفرضي ص: ٧١/٢ رقم: ١٢٩٢.

(٥) محمد بن يحيى بن عبدالسلام الرباحي ـ نحوي مشهور ـ ذكره أبو محمد بن حزم، وقال: كان لا يقصر عن أكابر أصحاب المبرّد ـ توفي سنة ٣٥٨هـ (بغية الملتمس ص: ١٣٤ رقم: ٣١٢).

(٦) عباس بن عمرو الصقلي أبو الفضل كان بالأندلس روى عن ثابت بن قاسم بن ثابت السرقسطي، وروى عنه يونس بن عبدالله بن مغيث (بغية الملتمس ص: ٤١٧ رقم: ١٢٤٦).

رحمه الله ـ، سنة ست وثلاثين، فتوسّع له في الجراية وصار من جملة الورّاقين[1].

ولازدهار صناعة الورق والنسخ في الأندلس، اشتهر كثير من الأندلسيين في هذا المجال وحذقوه نذكر منهم على سبيل المثال:

١ ـ مالك بن غانم بن الحسن الرعيني الزاهد من أهل قرطبة، كان يورّق ويعلّم وكان خيّراً فاضلا توفي سنة ٣٠٥هـ[2].

٢ ـ مخلص بن عبدالله بن عبدالرحمٰن بن محمد الأنصاري من أهل غرناطة يكنى: أبا العباس، كان بارع الخط أنيق الوراقة[3].

٣ ـ أحمد بن يحيى بن إبراهيم بن السعود العبدي من أهل قرطبة يكنى: أبا العباس (ت:٥٩٩هـ)، كان من أبرع الناس خطاً، واقتنى من الدفاتر كثيراً، قال ابن الأبّار: بلغني أن قيمة ذلك بلغت ستة آلاف دينار[4].

ولا شك أن هذه الحرفة تحتاج في أغلب الأحيان إلى معرفة العربية وإتقانها، ومعرفة مواقع الكلمات وإعرابها، حتى يتمكّن الناسخ من ضبط الألفاظ وتصحيحها. فهذا خلف بن عمر، المتوفى سنة ٤٦٠هـ، من أهل جزيرة شقر، وسكن بلنسية يكنى: أبا القاسم ويعرف بالأخفش، كان ورّاقاً محسناً ضابطاً يتنافس في ما يكتب ويغالي به، وحكى أنه كان بملازمته النسخ والوراقة، ربما أشكل عليه ضبط الألفاظ، فقرأ العربية وهو في عشر الأربعين من سنّه، وبرع فيها حتى أقرأها[5].

ولم تقتصر هذه الحرفة على الرجال فحسب بل برعت من النساء في هذا المجال طائفة، حفلت بها كتب التراجم، نذكر منهنّ على سبيل المثال:

(١) تاريخ ابن الفرضي ص: ٣٤٣/١ رقم: ٨٨٦ ـ ونفح الطيب ص: ١١١/٣.

(٢) التكملة ص: ٧٠٨/٢ رقم: ١٧٩٩.

(٣) المصدر السابق ٧٣٩/٢ رقم: ١٨٤٠.

(٤) المصدر السابق ٩٤/١ رقم: ٢٤٣.

(٥) التكملة لابن الأبار ص: ٢٩٧/١ رقم: ٨١١.

١ ـ لبنى كاتبة الحكم بن عبدالرحمن الخليفة، كانت حاذقة بالكتابة نحوية شاعرة بصيرة بالحساب مشاركة في العلم وكانت عروضية حسنة الخط جداً[١]، توفيت سنة ٣٧٤هـ.

٢ ـ فاطمة بنت زكرياء بن عبدالله الكاتب المعروف بالشنبلاوي مولى بني أمية، كانت كاتبة جزلة متخلّصة، عمّرت عمراً كثيراً واستكملت أربعاً وتسعين سنة، تكتب على ذلك الكتب الطوال وتجيد الخط وتحسن القول توفيت في ٤٢٧هـ[٢].

وقد اهتم الأندلسيون بهذه المهنة أيّما اهتمام لكونها تجارة رابحة، ولإقبال الناس المتزايد على اقتناء الكتب، ولأهمية ذلك ألف بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمي[٣]، من أهل إشبيلية (ت:٦٢٨هـ) كتاباً في هذا الموضوع أسماه: «كتاب التيسير في صناعة التسفير»[٤].



(١) البغية ص: ٥٣٠ رقم: ١٥٨٩.

(٢) الصلة ص: ٢/٦٥٥ رقم: ١٥٣٦.

(٣) هو بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمي من أهل إشبيلية يكنى: أبا عمرو ـ أديب شاعر له رواية عن سعد المعود بن عفير وأبي العباس أحمد بن جنون.. وكان يتمذهب بالظاهر ـ توفي بإشبيلة سنة ٦٢٨هـ، وكان يحترف بتسفير الكتب.

(٤) حقق الكتاب عبدالله كنون وطبع في مدريد سنة ١٩٥٩/١٩٦٠م.

المبحث الثالث: تكوين المكتبات

إن النشاط الحثيث الذي شهدته صناعة الوراقة ونسخ الكتب وازدهار تجارتها في الأندلس، شجّع الكثير من الناس لاقتنائها وتكوين المكتبات منها. والناس في ذلك أقسام، منهم العلماء وطلبة العلم الذين يرجعون إليها وقت الحاجة، ومنهم آخرون غرضهم من ذلك تزيين دورهم بخزائن الكتب، يتجمّلون بها بين أعيان البلد.

إضافة إلى ذلك فقد عُرف كثير من الأمراء والوزراء بشغفهم وولعهم بالعلم ومصادره، فحرصوا على تكوين مكتبات ضخمة في قصورهم.

فقد ذكر ابن الأبّار في الحلة السيراء: قال أبو محمد بن حزم وذكر الحكم: اتصلت ولايته خمسة عشر عاماً في هدوء وعلوّ، وكان رفيقا بالرعية محبا للعلم ملأ الأندلس بجمع كتب العلوم، وأخبرني «تليد» الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس، أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط[١].

وذكر المقري: أن الحكم «جمع من الكتب ما لا يحدّ ولا يوصف كثرة ونفاسة، حتى قيل أنها كانت أربعمائة ألف مجلد»[٢]، وذكر ابن

(١) الحلة السيراء لابن الأبار ٢٠٣/١ (الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ط١ ـ ١٩٦٣م ـ تحقيق وتعليق د. حسين مؤنس).

(٢) نفح الطيب ص: ٢٦٣/٣.

خلدون أن الحكم «كان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجّار ويسرّب إليهم الأموال لشرائها حتى جلبت منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه»[١].

تعتبر مكتبة الحكم من أغنى المكتبات التي عرفتها الأندلس خلال تلك الفترة وأكثرها تنظيماً، حيث جعلت لها فهارس لخدمة الدارسين والباحثين من طلبة العلم.

أما المكتبات الخاصة فلا تقل أهمية هي الأخرى سواء من حيث كمية الكتب التي تزخر بها، أو من حيث التنظيم والترتيب فقد ذكر ابن الأبار أنه كانت لمحمد بن غلبون بن محمد بن عبدالعزيز الأنصاري (ت: ٦٥٠هـ) مكتبة مملوءة أصولاً عتيقة ودفاتر أنيقة[٢].

ولم تكن المكتبات الخاصة حكراً على الرجال، فقد ذكر ابن بشكوال أن عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية (ت: ٤٠٠هـ) كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعنى بالعلم ولها خزانة علم كبيرة حسنة[٣].

ولم يكتف الأندلسيون بنسخ الكتب التي تصلهم من الأقطار الأخرى، بل كان لهم إنتاجهم الخاص في كل علم وفنّ.

فهذا أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ـ رحمه الله ـ كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه مستنبطاً من الكتاب والسنّة، اجتمع عنده بخطه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على ثمانين ألف ورقة، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنّفات والمسندات كثيراً وسمع سماعاً جماً[٤].

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص: ١٤٦/٤.
(٢) التكملة لابن الأبار ص: ٦٤٤/٢.
(٣) الصلة ص: ٦٥٤/٢ رقم: ١٥٣١.
(٤) الصلة: ص: ٦١٦/٢ ونفح الطيب ص: ٢٠٦/٢.

هذا ما ألّفه ابن حزم وحده، فما بالك بما ألّفه غيره من جهابذة علماء الأندلس كابن عبدالبر وابن العربي وغيرهما.

الخلاصة:

إن الاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس خلال القرن الثالث، وعناية أمراء بني أمية بالعلوم وإكرام أهلها، وظهور طائفة من المحدّثين في مختلف المدن الأندلسية كان له أثر عظيم في ازدهار حركة الحديث بتلك الربوع.

وبعودة بقي بن مخلد ومحمد بن وضّاح القرطبيين، أصبحت الأندلس دار حديث، بما رووه من دواوين وما كتبوه من تآليف.

إضافة إلى ذلك فقد دخلت الأندلس مئات الكتب الحديثية خاصة الموطآت برواياتها المختلفة حيث كانت الأندلس مركزا لفقه الإمام مالك بن أنس، ثم تلتها كتب السّنن والصحيحان، وأخذت باقي كتب السنّة تعرف طريقها إلى الأندلس. وقد رافق ذلك حركة نشطة لنسخ الكتب ونشرها والحفاظ على النسخ الأصلية، حتى أصبحت سوق الكتب نافقة، الأمر الذي فتح المجال واسعاً أمام تكوين المكتبات.

لكن الأندلسيين لم يكتفوا بما وصلهم من الكتب المشرقية وغيرها بل كانت لهم جهودهم الذاتية المتميّزة في التأليف والتصنيف وظل التأليف مستمراً وعطاء المؤلفين يزداد، رغم ما تعرضت له الأندلس من هزّات سياسية قلّصت نفوذهم في مملكة غرناطة، وهو ما سنحاول التعرف عليه في الأبواب القادمة إن شاء الله.

الباب الثالث

جهود المحدّثين الأندلسيين في مجال الرواية

الفصل الأول: جهودهم في التصنيف على المسانيد والمصنّفات.

الفصل الثاني: جهودهم في التصنيف على المجاميع والمستخرجات والزوائد.

الفصل الثالث: جهودهم في التصنيف على الأجزاء.

الفصل الأول

جهود محدّثي الأندلس
في التصنيف على المسانيد والمصنّفات



جهود محدّثي الأندلس
في التصنيف على المسانيد والمصنّفات

مدخل:

تطلق عبارة «المسانيد» ويراد بها الكتب الحديثية التي صنّفها أصحابها على مسانيد أسماء الصحابة، بأن يجمعوا حديث كل صحابي على حدة. ولأصحاب المسانيد أساليب مختلفة في ترتيب أسماء الصحابة، فمنهم من يتبع نسق حروف المعجم، وهو الأغلب، ومنهم من يرتّبها على السابقة في الإسلام، أو القبائل، أو البلدان أو غير ذلك.

وقد يطلق «المسند» ويراد به الكتاب المرتب على الأبواب وذلك لأن أحاديثه مسندة إلى النبي ﷺ كالصحيحين مثلاً فالإمام البخاري سمى كتابه: «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، وسمى الإمام مسلم كتابه: «المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ».

وهناك طريقة أخرى انفرد بها الحافظ بقي بن مخلد الأندلسي، فرتّب مسنده على أسماء الصحابة ثم رتّب أحاديث كل صحابي على أبواب الفقه، وهي طريقة مبتكرة لم يسبق إليها.

وأما المصنّفات فهي الكتب التي رتّبها مؤلفوها على الأبواب الفقهية، وتشتمل على الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ والموقوفة على الصحابة والمقطوعة على التابعين وفتاوى أتباع التابعين أحياناً.

إن الأحداث الأليمة التي وقعت في الأندلس ـ ذلك الفردوس المفقود ـ أضاعت علينا كنوزاً عظيمة من تراثنا التليد.

ولئن وصلنا العديد من الكتب الحديثية التي ألّفها الأندلسيون، فإن ما فُقد أكثر بكثير، خاصة المسانيد والمصنّفات، التي لم يبق لها وجود، اللّهم ما ذكره المتقدّمون الذين اطلعوا عليها أو بعضها.

وفي هذا الفصل سنحاول إلقاء الضوء على بعض المسانيد والمصنّفات الأندلسية، وجمع شتات أخبارها من كتب التراجم والفهارس والكتب التي اقتبست منها، بغية الوصول إلى صورة واضحة لما أسهم به محدّثو الأندلس في هذا المجال.

وسأتناول في هذا المبحث العناصر التالية:

١ ـ منهج بقي بن مخلد في مسنده.

٢ ـ ملاحظات حول مسند بقي بن مخلد.

٣ ـ نماذج من مرويات بقي بن مخلد الواردة في كتاب التمهيد لابن عبدالبر.

٤ ـ نماذج من مرويات بقي بن مخلد الواردة في كتاب المحلى لابن حزم.

٥ ـ نماذج من مرويات بقي بن مخلد الواردة في كتاب شرح علل الترمذي لابن رجب.

٦ ـ نماذج من مرويات بقي بن مخلد الواردة في كتاب الإصابة لابن حجر.

٧ ـ مقارنة عددية بين مسند بقي بن مخلد ومسندي أحمد وأبي يعلى.



المبحث الأول:
مسند بقي بن مخلد

لقد عرّفنا في الباب السابق بالحافظ بقي بن مخلد، ومكانته العلمية المرموقة التي احتلها بين أقرانه، بما يغني عن إعادته هنا.

إنّ مسند بقي بن مخلد يعدّ من أكبر المسانيد وأجودها على الإطلاق.

يعتبر هذا المسند في عداد الكتب المفقودة، ولم تشر فهارس المخطوطات إليه، إلا ما ذكره الشيخ المحدّث محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالرحيم المباركفوري (ت ١٢٥٣هـ) في مقدمة كتابه «تحفة الأحوذي»[1]، أن مسند بقي بن مخلد موجود في المكتبة الجرمانية، ولا ندري عن المكتبة الجرمانية التي أشار إليها الشيخ شيئاً. غير أنه من المؤكد وجود مجموعات كبيرة من المخطوطات العربية في المكتبات الأوروبية وخاصة الألمانية منها لم تفهرس، نسأل الله أن يكون مسند بقي بن مخلد ضمنها.

وتكاد تجمع المصادر التي ذكرت هذا الكتاب على تسميته «مسند بقي بن مخلد» إلا ما ذكره ابن الفرضي في تاريخه حيث قال: «ولبقي بن مخلد مسند النبي ﷺ».

(١) تحفة الأحوذي ص: ٣٣١/١.

منهج بقي بن مخلد في مسنده:

ما دام هذا الكتاب ليس بأيدينا فليس لنا سوى الاستعانة بأقوال العلماء الذين اطلعوا عليه لتحديد ملامح منهجه فيه.

قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي رحمه الله: أن بقياً «رتّبه على أسماء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيّف، ثم رتّب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنّف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته، وضبطه، وإتقانه، واحتفاله فيه في الحديث، وجودة شيوخه، فإنه روى فيه عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير»[1].

وذكر ابن كثير أن ابن حزم الظاهري قد فضّل مسند بقي بن مخلد على مسند الإمام أحمد بن حنبل، قال: وعندي في ذلك نظر، والظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع»[2].

ولم يكشف الحافظ ابن كثير عن أي دليل يدعم وجهة نظره ولا صرّح باطلاعه عليه.

وقال أبو الوليد ابن الفرضي: «ولبقي بن مخلد مسند النبي ﷺ ليس لأحد مثله».

أما الحافظ ابن حجر فقال في نكته على ابن الصلاح: «وبعض من صنّف على المسانيد انتقى أحاديث كل صحابي فأخرج أصحّ ما وجد من حديثه...، ونحى بقي بن مخلد في مسنده نحو ذلك»[3].

---

(١) جذوة المقتبس للحميدي ص: ١٦٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ص: ٥٦/١١ (المطبعة العربية لاهور باكستان ط١ - ١٩٨٤).

(٣) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر ص: ٤٤٨/١ ط٢ دار الراية الرياض ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.

ويرى الإمام الذهبي الذي اطلع على مجلدين من مسند بقي بن مخلد أن مسند الإمام أحمد أقل رواية للغرائب وما فيه لين، من مسند بقي بن مخلد[1].

من خلال ما تقدّم من أقوال العلماء وملاحظاتهم على مسند الحافظ بقي بن مخلد يمكن أن نلخّص سمات منهجه في الآتي:

١ ـ رتب الحافظ بقي بن مخلد مسنده على أسماء الصحابة بحيث جمع أحاديث كل صحابي على حدة، فبلغ عدد الصحابة الذين خرّج لهم في مسنده ١٣٠٠ صحابي ونيّف.

٢ ـ رتب أحاديث كل صحابي على أسماء الفقه وأبواب الأحكام.

٣ ـ انتقى في مسنده أصحّ ما وجده من حديث كل صحابي إلا أن لا يجد ذلك المتن إلا من تلك الطريق فإنه يخرّجه.

ملاحظات حول مسند بقي بن مخلد:

١ ـ إن الطريقة المبتكرة التي رتّب بها بقي بن مخلد كتابه جعلته يمتاز عن باقي المسانيد، فهو مسند ومصنّف في آن واحد.

٢ ـ لو قدّر لهذا المسند أن يرى النور لكان سهلاً على من يريد تخريج الأحاديث منه.

فبمعرفة راوي الحديث يمكن للطالب معرفة مسند هذا الصحابي وإذا عرف الطالب موضوع الحديث طلبه في بابه من مسند ذلك الصحابي، وهذا ما يميّز مسند بقي بن مخلد عن غيره.

فمن أراد البحث عن حديث لأبي هريرة في مسند الإمام أحمد مثلاً، عليه أن يراجع ٣٨٧٩ حديث للعثور عليه، وهو ليس بالأمر اليسير.

---

(١) ابن الجوزي المصعد الأحمد ص: ٣٩ (نشر دار المعارف مع المسند للإمام أحمد تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).

أما من أراد البحث عن حديث لأبي هريرة في مسند بقي بن مخلد فبمجرد معرفته لموضوع الحديث يمكنه الوصول إليه بسهولة في بابه. دون أن يكلّف عناء البحث في ٥٣٧٤ حديث.

ورغم أن مسند بقي بن مخلد يعدّ ضمن الكتب المفقودة، فإن العلماء الأولين الذين اطلعوا عليه قد اقتبسوا منه وضمّنوا كتبهم كثيراً من مرويات هذا الشيخ الجليل، وفيما يلي نماذج من ذلك:

١ ـ نماذج من مرويات بقي بن مخلد الواردة في كتاب التمهيد للحافظ ابن عبدالبر:

أ ـ روى بقي بن مخلد عن حرملة بن يحيى[١]، عن الشافعي أنه أخبره عن مالك عن إبراهيم بن عقبة عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مرّ بامرأة في محفّتها فقيل لها: هذا رسول الله ﷺ. فأخذت صبياً كان معها فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم ولك أجر**»[٢].

ب ـ ذكر بقي بن مخلد قال: حدّثنا عبّاد السري عن إسماعيل بن المختار عن عطية (العوفي)[٣]، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ، قال: «**الشهداء يغدون ويروحون إلى رياض الجنة، ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلّقة بالعرش. فيقول الله تبارك وتعالى: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتموها؟ فيقولون: لا. غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا في أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى في سبيلك**»[٤].

---

(١) حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران أبو حفص التجيبي ـ المصري ـ صاحب الشافعي صدوق مات سنة ٢٠٤هـ تقريب التهذيب ص: ١٥٦ ـ رقم: ١١٧٥.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر: ص: ٩٧/١. ولمسلم في كتاب الحج باب صحة حج الصبي حديث رقم: ٤٠٩.

(٣) عطية بن سعيد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي ـ أبو الحسن صدوق يخطئ كثيراً وكان شيعياً مدلّساً توفي سنة: ١١١هـ (التقريب ص: ٣٩٣ رقم: ٤٦١٦).

(٤) التمهيد ٦١/١١.

جـ ـ بقي بن مخلد قال: حدّثنا محمد بن المثنى أبو موسى[١]، قال: حدّثنا سهل بن حماد[٢]، قال: حدّثنا المختار بن نافع، عن أبي حيان عن أبيه عن علي بن أبي طالب[٣]، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله عمر تركه الحق ليس له صديق**»[٤].

٢ ـ نماذج من مرويات بقي بن مخلد الواردة في كتاب المحلى لابن حزم:

أ ـ حدّثنا حمام ثنا أبو محمد الباجي[٥]، ثنا عبدالله بن يونس[٦]، ثنا بقي ثنا أبو بكر بن أبي شيبة[٧]، ثنا عبدالله بن نمير[٨]، عن أبي إسحاق[٩]،

---

(١) محمد بن المثنى بن عبيد العنزي ـ أبو موسى البصري المعروف بالزمن مشهور بكنيته واسمه. ثقة ثبت ـ من العاشرة (التقريب ص: ٥٠٥ رقم: ٦٢٦٤).

(٢) سهل بن حماد أبو عتاب الدلال البصري صدوق مات سنة ٢٠٨هـ (التقريب ص: ٢٥٧ رقم: ٢٦٥٤هـ).

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ـ ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته ـ من السابقين الأولين وهو أحد العشرة مات سنة ٤٠هـ وله ٦٣ سنة (التقريب ص: ٤٠٢ رقم: ٤٧٥٣).

(٤) التمهيد ـ ص: ٥٣/١٣ ـ ٥٤.

(٥) هو عبدالله بن محمد بن علي بن شريعة أبو محمد المعروف بالباجي (مرت ترجمته) (بغية الملتمس ص: ٣١٧).

(٦) عبدالله بن محمد بن يونس بن عبيدالله بن عباد بن زياد المرادي، أندلسي يروي عن بقي بن مخلد وكان من المكثرين عنه ـ روى عنه عبدالله بن نصر وخالد بن سعد، وغير واحد. توفي بالأندلس سنة ٣٣٠هـ (بغية الملتمس ص: ٣٣٩ رقم: ٩٦١).

(٧) عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي (مرت ترجمته).

(٨) عبدالله بن نمير الهمداني ـ أبو هشام الكوفي ـ ثقة صاحب حديث. من أهل السنّة مات سنة ١٩٩هـ وله ٨٤ سنة (تقريب التهذيب ص: ٣٢٧ رقم: ٣٦٦٨).

(٩) هو أبو إسحاق السبيعي: عمرو بن عبدالله. من أئمة التابعين بالكوفة وأثباتهم، ثقة مكثر عابد ـ اختلط بأخرة ـ مات سنة ١٢٩هـ (التقريب ص: ٤٢٣ رقم: ٥٠٦٥) وميزان الاعتدال ٢٧٠/٣ رقم: ٦٣٩٣.

عن عاصم بن ضمرة[1]، عن علي عن النبي ﷺ قال: **«ليس في أقل من مائتي درهم شيء»**[2].

ب ـ حدّثنا حمام نا أبو محمد الباجي نا عبدالله بن يونس المرادي نا بقي بن مخلد نا أبو بكر بن أبي شيبة نا حفص[3] ـ هو ابن غياث ـ عن عبيدالله بن عمر[4]، عن نافع[5]، عن ابن عمر[6]، عن عمر[7]، قال: «نذرت نذراً في الجاهلية، ثم أسلمت، فسألت رسول الله ﷺ فأمرني أن أوفي بنذري»[8].

٣ ـ نموذج من مرويات بقي بن مخلد الواردة في كتاب شرح علل الترمذي[9]، لابن رجب الحنبلي[10]:

---

(١) عاصم بن ضمرة السّلولي الكوفي. صدوق وثّقه ابن معين وابن المديني، قال النسائي: ليس به بأس توفي سنة ٧٤هـ (التقريب ص: ٢٨٥ رقم: ٣٠٦٣ وميزان الاعتدال ص ٣٥٢/٢ رقم: ٤٠٥٢).

(٢) انظر المحلى لابن حزم ص: ٨٩/٦. والموطأ كتاب الزكاة ـ باب الزكاة في العين والذهب والورق ٢٤٦/١.

(٣) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي أبو عمر الكوفي القاضي ـ ثقة فقيه، تغيّر حفظه قليلاً في الآخر ـ مات سنة ١٩٥هـ (التقريب ص: ١٧٣ رقم: ١٤٣٠).

(٤) عبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني ـ أبو عثمان، ثقة ثبت مات سنة بضع وأربعين ومائة (التقريب ص: ٣٧٣ رقم: ٤٣٢٤).

(٥) نافع ـ أبو عبدالله المدني ـ مولى ابن عمر ـ ثقة ثبت فقيه ـ مشهور مات سنة ١١٧هـ (التقريب ص: ٥٥٩ رقم: ٧٠٨٦).

(٦) عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبدالرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، وهو أحد العبادلة والمكثرين من الصحابة، مات سنة ٧٣هـ (التقريب ص: ٣١٥ رقم: ٣٤٩٠).

(٧) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط، القرشي العدوي، أمير المؤمنين. مشهور، جم المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ٢٣هـ، وولي الخلافة عشر سنين ونصف (التقريب ص: ٤١٢ رقم: ٤٨٨٨).

(٨) المحلى لابن حزم ص: ٣٧٢/٨ والبخاري كتاب الأيمان والنذور، باب إذا نذر أو حلف أن لا يكلم إنساناً رقم: ٦٦٩٧.

(٩) شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي ص: ٦٤٩/٢ ـ ٦٥٠ (مكتبة المنار الأردن ط١ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧).

(١٠) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين بن محمد بن أبي البركات مسعود=

ـ حدّثنا عبدالله بن عبدالرحمن[1]، أنا مروان بن محمد[2]، عن معاوية بن سلام[3]، قال:

حدّثنا يحيى بن أبي كثير[4]، عن أبي مزاحم[5]، سمع أبا هريرة[6]، يقول عن النبي ﷺ قال: **«من تبع جنازة فله قيراط»**. خرجه بقي بن مخلد في مسنده عن عبدالله الدارمي.

٤ ـ نماذج من مرويات بقي بن مخلد الواردة في كتاب الإصابة لابن حجر[7]:

= السلامي البغدادي ثم الدمشقي أبو الفرج الشهير بابن رجب الحنبلي. ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ ـ صنّف كتباً قارب عددها الخمسين في التفسير والحديث والفقه والتاريخ والوعظ وغير ذلك توفي رحمه الله سنة ٧٩٥هـ (طبقات الحفاظ ص: ٥٤٠ رقم: ١١٧٠).

(١) عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندي ـ أبو محمد الدارمي الحافظ. صاحب المسند ـ ثقة فاضل متقن مات سنة ٢٥٥هـ (تقريب التهذيب ص: ٣١١ رقم: ٣٤٣٤).

(٢) مروان بن محمد الدمشقي الطاطري ـ ثقة إمام. ضعّفه ابن حزم، يروي عن عبدالله بن العلاء بن زبر وسعيد بن عبدالعزيز وطبقتهما، وعنه الدارمي وأحمد بن الأزهر، وخلق وثّقه أبو حاتم مات رحمه الله سنة ٢٢٠هـ (ميزان الاعتدال ص: ٩٣/٤ رقم: ٨٤٣٥).

(٣) معاوية بن سلام بن أبي سلام، أبو سلام الدمشقي، وكان يسكن حمص، ثقة مات ـ رحمه الله ـ في حدود سنة ١٧٠هـ (تقريب التهذيب ص: ٥٣٨ رقم: ٦٧٦١).

(٤) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي ثقة ثبت لكنه يدلّس ويرسل، مات سنة ١٣٢هـ وقيل قبل ذلك (تقريب التهذيب ص: ٥٩٦ رقم: ٧٦٣٢).

(٥) أبو مزاحم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، تركه الدارقطني، عنه يحيى بن أبي كثير (ميزان الاعتدال ص: ٥٧٣/٤ رقم: ١٠٥٩٨).

(٦) أبو هريرة الدوسي، الصحابي الجليل، حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه، قيل عبدالرحمن بن صخر وهو الراجح، مات رحمه الله سنة ٥٧ أو ٥٨ وهو ابن ٧٨ سنة. (تقريب التهذيب ص: ٦٨٠ رقم: ٨٤٢٦).

(٧) ابن حجر ـ شيخ الإسلام الحافظ، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي، ولد سنة ٧٧٣هـ

سمع الكثير ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي، وبرع في الحديث وتقدّم=

أ ـ عند ترجمته لأنس بن أبي مرثد الأنصاري قال: روى البغوي[1]، في معجمه، وبقي بن مخلد في مسنده، والبخاري في تاريخه، وأبو علي بن السكن من طريق الليث عن يحيى بن سعيد عن خالد بن أبي عمران[2] ـ أن الحكم بن مسعود[3]، حدّثه أن أنس بن أبي مرثد الأنصاري حدّثه أن رسول الله ﷺ قال: **«ستكون فتنة بكماء، عمياء، صماء، المضطجع فيها خير من القاعد... الحديث»**[4].

ب ـ عند ترجمته لطلحة بن معاوية بن جاهمة السلمي: قال: أخرج حديثه بقي بن مخلد في مسنده، ورواه ابن أبي شيبة من طريق ابن إسحاق[5]، عن محمد بن طلحة عن أبيه طلحة بن معاوية بن جاهمة، قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني أريد الجهاد معك. قال: **«أوحيّة أمك؟»** قلت: نعم، قال: **«الزمها»**[6].

= في جميع فنونه ـ صنّف (شرح البخاري) و(تغليق التعليق) و(تهذيب التهذيب) و(تقريب التهذيب) و(لسان الميزان) و(الإصابة) وغير ذلك، توفي سنة ٨٥٢هـ (طبقات الحفاظ ص: ٥٥٢ رقم: ١١٩٠).

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان البغوي الأصل، البغدادي، أبو القاسم، ولد سنة ٢١٤هـ، سمع ابن الجعد وأحمد وابن المديني وخلقاً. صنّف (معجم الصحابة) و(الجعديات) ثقة جليل إمام توفي سنة ٣١٧هـ (طبقات الحفاظ ص: ٣١٥ رقم: ٧١٢).

(٢) خالد بن أبي عمران التجيبي، أبو عمر، قاضي إفريقيا، صدوق مات سنة ١٢٥ وقيل ١٢٩هـ (تقريب التهذيب ص: ١٨٩ رقم: ١٦٦٢).

(٣) الحكم بن مسعود الثقفي، يروي عن عمر في الفرائض (ميزان الاعتدال ص: ٧٩/١ رقم: ٢١٩٩).

(٤) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ص: ٨٩/١ رقم: ٢٩٥ (مطبعة محمد مصطفى محمد ـ مصر ـ ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م).

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطلبي مولاهم، المدني، نزيل العراق، إمام المغازي صدوق، يدلّس، رمي بالتشيّع والقدر، مات سنة ١٥٠هـ (التقريب ص: ٤٦٧ رقم: ٥٧٢٥).

(٦) الإصابة ص: ٢٣١/٢ رقم: ٤٣١٩. والبخاري كتاب الجهاد، باب الجهاد بإذن الأبوين حديث رقم: ٣٠٠٤.

جـ ـ عند ترجمته لأبي أُبَيّ: قال: ذكر الذهبي[1]، عن مسند بقي بن مخلد أنه له فيه حديثين عنه، أنه كان ممن صلى إلى القبلتين، وحدّث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«عليكم بالسنا[2]، والسنوت، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام»**[3].

هذا ومن الملاحظ أن أغلب الاقتباسات الواردة في كتاب الإصابة، من مسند بقي بن مخلد، قد أخذها الحافظ ابن حجر من كتاب التجريد للإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ[4].

وحتى يتضح حجم وقيمة مسند الحافظ بقي بن مخلد، نورد المقارنة الآتية بينه وبين مسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند أبي يعلى الموصلي:

الموضوع	مسند بقي بن مخلد[5]	مسند أحمد بن حنبل[6]	مسند أبي يعلى[7]
جملة الأحاديث.	٣٠,٩٦٩.	٢٧٧١٨.	٧٥٥٥.

(١) الذهبي: الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان قايماز التركماني ثم الدمشقي المقري، ولد سنة ٦٧٣هـ وطلب الحديث وله ١٨ سنة فسمع الكثير ورحل ـ صنّف الكثير في الحديث والرجال ـ توفي رحمه الله سنة ٧٤٨هـ (طبقات الحفاظ ص: ٥٢١ رقم: ١١٤٤).

(٢) السنا: نبت يتداوى به، (حبه مفرطح) انظر مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ص ٣١٨.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ص: ٤/ رقم: ٧.

(٤) انظر في ذلك: الإصابة ٣/ رقم: ٥٨٨٥.
الإصابة: ٦٠٦/٣.
الإصابة: ٤٦٨/٤.

(٥) طبقاً لمخطوطة دار الكتب الظاهرية رقم: (ضمن مجموع: ٣١ ـ ق ٢٣٩ ـ ٢٤٩).

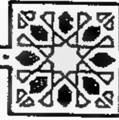
(٦) طبقاً لطبعة دار الفكر ـ ط١ ـ ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٧) مسند أبي يعلى الموصلي ـ طبعة دار المأمون للتراث ط٢ ـ بيروت ١٤١٠هـ/١٩٨٩م. وأبو يعلى هو أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي ـ الحافظ المشهور الثقة المتوفى بالموصل سنة ٣٠٧هـ وقد زاد على المائة (الرسالة المستطرفة للكتاني ص: ٥٣).

الموضوع	مسند بقي بن مخلد	مسند أحمد بن حنبل	مسند أبي يعلى
عدد الصحابة المخرّج لهم.	١٠١٣[1].	٩٠٤.	٢١٠.
أحاديث أبي هريرة.	٥٣٧٤.	٣٨٦٢.	٨٠٩.
أحاديث عبدالله بن عمر.	٢٢١٠.	٢٠٢٩.	٤٢٦.
أحاديث أنس بن مالك.	٢٢٨٦.	٢١٧٢.	١٦٠٢.
أحاديث عائشة أم المؤمنين.	٢٢١٠.	٢٤٠٩.	٦١٠.



(١) هذا وفقاً لمخطوطة الظاهرية وقد صرح ابن حزم بأن العدد يفوق ١٣٠٠ صحابي.



المبحث الثاني: المسانيد الأندلسية المفقودة

ومن المسانيد الأندلسية المفقودة التي ذكرتها كتب التراجم والفهارس، مسانيد أحاديث موطأ مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ:

١ ـ مسند حديث الموطأ لأبي عمر أحمد بن خالد بن يزيد المعروف بابن الجباب، المتوفى سنة ٣٢٠هـ بقرطبة: «حدّث به أبو بكر حاتم بن عبدالله بن أحمد بن حاتم[1]، بن حنين بن ربيع البزاز مولى بني أمية. عن مؤلفه، وهو في ستة أجزاء»[2].

٢ ـ مسند حديث مالك بن أنس: جمعه خالد بن قاسم بن سهل بن أسود أبو القاسم المعروف بابن الدبّاغ، المتوفى سنة ٣٩٣هـ[3]، وله أيضاً مسند حديث شعبة بن الحجاج.

٣ ـ مسند حديث مالك بن أنس، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبدالرحمٰن بن مروان بن خلفون الأزدي الأونبي، المتوفى سنة ٦٣٦هـ[4].

(١) ترجمته في بغية الملتمس ص: ٢٥٤ رقم: ٣٥٩.
(٢) انظر بغية الملتمس ص: ١٦٣ رقم: ٣٩٦.
(٣) انظر فهرسة ابن خير ص: ٨٨.
(٤) طبقات الحفاظ ص: ٤٩٦ رقم: ١٠٩١ ـ تذكرة الحفاظ ١٤٠٠/٤. هدية العارفين ١١٤/٢ الأعلام ص: ٣٦/٦.

ومن المسانيد الأندلسية الأخرى:

١ ـ مسند حديث محمد بن فطيس، خمسون جزءاً.

٢ ـ مسند قاسم بن أصبغ (العوالي)، ستون جزءاً.

كلاهما لأبي المطرّف عبدالرحمٰن بن محمد بن عيسى بن فطيس[١].

٣ ـ مسند حديث ابن الأحمر: جمعه يعيش بن سعيد بن محمد الورّاق أبو عثمان، بأمر الحكم المستنصر.

قال أبو عمر بن عبدالبر: قرأ علينا أبو عثمان يعيش بن سعيد سنة ٣٩٠هـ مسند حديث أبي بكر محمد بن معاوية القرشي، من تأليفه مما سمع منه وأخبرنا بذلك عنه[٢].

٤ ـ مسند حديث قاسم بن أسبغ البياني: جمعه محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرّج للحكم المستنصر[٣].

وأما المصنّفات في فتاوى الصحابة والتابعين، فقد ألّف الحافظ بقي بن مخلد مصنّفاً كبيراً في فتاوى الصحابة والتابعين[٤]، قال عنه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: أن بقياً أربى فيه على مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنّف عبدالرزاق بن همام، ومصنّف سعيد بن منصور، وغيرها[٥].

هذا ولأبي محمد قاسم بن أسبغ البياني مصنّف واختصاره في السنن المسندة، ولأبي عبدالله محمد بن عبدالملك بن أيمن مصنّف سنذكرها جميعاً عندما نتطرق إلى المستخرجات.

---

(١) الصلة لابن بشكوال ص: ٢٩٧/١ رقم: ٦٨٢ ـ بغية الملتمس ص: ٣٤٣ رقم: ٩٧٦.

(٢) بغية الملتمس ص: ٥٠٠ ـ ٥٠١ رقم: ١٥٠٦.

(٣) نفس المصدر السابق ص: ٣٨ رقم: ١٤.

(٤) بغية الملتمس ص: ٢٣٠.

(٥) جذوة المقتبس ص: ١٦٧ ـ ١٦٨. وكتاب الصلة لابن بشكوال ص ١١٧.

هذا ما تيسّر لي جمعه من أسماء المسانيد والمصنّفات الأندلسية التي ذكرتها كتب التواريخ والفهارس.

إن هذا الشحّ البيّن في المعلومات حول هذه المؤلفات، لم يمكّنا من معرفة وتحديد حقيقة مناهجها ومميّزاتها، عدا ما ذكرناه عن مسند بقي بن مخلد.

ولئن كانت هذه هي الحال بالنسبة للمسانيد والمصنّفات، فإن الله حفظ لنا كمّاً وافراً من المؤلفات الحديثية الأندلسية، خاصة ما يتعلق بالمجاميع والأجزاء وشروح كتب السنّة، وهو ما سنتناوله بالبحث في الفصول القادمة إن شاء الله.



الفصل الثاني

جهود محدّثي الأندلس
في التصنيف على المجاميع والمستخرجات والزوائد

المبحث الأول: المجاميع.

المبحث الثاني: المستخرجات.

المبحث الثالث: الزوائد.



المبحث الأول: المجاميع

وهي الكتب التي جمع فيها مؤلفوها أحاديث عدّة مصنّفات. ورتبوها إما على ترتيب تلك المصنّفات التي جمعوها فيها، أو على ترتيب آخر مخالف.

وقد كانت لمحدّثي الأندلس جهود متميّزة في هذا المجال منها على الخصوص:

- الجمع بين الصحيحين لأبي عبدالله الحميدي[1]، الأندلسي.
- التجريد في الجمع بين الموطأ والصحاح الخمسة لرزين بن معاوية.
- الجمع بين الصحيحين لعبدالحق الإشبيلي[2].

(١) أبو عبدالله محمد بن فتوح الحميدي وأبوه يكنى: أبا نصر، فقيه عالم محدّث إمام متقن روى بالأندلس عن أبي عمر بن عبدالبر وغيره ورحل عام ٤٤٨هـ فسمع بمصر عن جماعة منهم أبو عبدالله بن أبي الفتح، وببغداد من جماعة منهم الخطيب أبو بكر صاحب التاريخ. وله تواليف تدلّ على معرفته وحفظه منها كتاب الجمع بين الصحيحين وكتاب جذوة المقتبس ـ توفي سنة ٤٨٨هـ بالمشرق (بغية الملتمس ص: ١١٣ رقم: ٢٥٧).

(٢) عبدالحق بن عبدالرحمٰن بن عبدالله الأزدي الإشبيلي أبو محمد فقيه محدّث مشهور له تواليف حسان منها: الأحكام الكبرى والوسطى والصغرى ـ وكتاب الجمع بين الصحيحين، وكتاب الجمع بين الكتب الستة وغيرها. ويعرف بابن الخراط. توفي ببجاية سنة ٥٨١هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤٨٢ رقم: ١٠٦١).

- الجمع بين الكتب الستة لعبدالحق الإشبيلي أيضاً.
- أنوار المصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح لمحمد بن عتيق التجيبي[1].
- الجمع بين الصحيحين لمحمد بن حسين بن أحمد المعروف بابن إحدى عشر[2].

١ ـ الجمع بين الصحيحين لأبي عبدالله الحميدي:

جمع فيه مؤلفه بين صحيحي الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، والإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ. بأسلوب وترتيب استحسنهما العلماء من بعده.

قال الوزير ابن هبيرة[3]، (المتوفى سنة ٥٦٠هـ) في مقدمة كتابه الإفصاح عن معاني الصحاح الذي هو شرح لكتاب الحميدي هذا، قال: «إن الحميدي أحسن في تأليفه»[4].

وقال ابن الأثير[5]، في «جامع الأصول من أحاديث الرسول»: «واعتمدت في النقل من كتابي البخاري ومسلم على ما جمعه الإمام أبو عبدالله الحميدي في كتابه (يعني: الجمع بين الصحيحين) فإنه أحسن من

(١) أبو عبدالله محمد بن عتيق بن علي التجيبي الغرناطي، المتوفى سنة ٦٤٦هـ (الرسالة المستطرفة ص: ١٣١).

(٢) محمد بن حسين بن أحمد بن محمد، أبو عبدالله يعرف بابن إحدى عشر فقيه محدّث له تواليف حسان توفي رحمه الله سنة ٥٣٢هـ (بغية الملتمس ص: ٥٩ رقم: ٨٧).

(٣) ابن هبيرة: يحيى بن محمد بن هبيرة يكنى: أبا المظفّر ويلقب بعون الدين ولد في ربيع الثاني سنة ٤٩٩هـ بقرية بني أوقر قرب بغداد، له تآليف حسنة مات مسموماً سنة ٥٦٠هـ (وفيات الأعيان ٦/٢٣٠ ـ الأعلام للزركلي ٩/٢٢٢).

(٤) مقدمة الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة.

(٥) ابن الأثير: مبارك بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري الشافعي، أبو السعادات ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ (مقدمة جامع الأصول، دار إحياء التراث العربي ط٢ بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

ذكر طرقه، واستقصى في إيراد رواياته، وإليه المنتهى في جمع هذين الكتابين»[1].

ترتيب الكتاب:

١ ـ رتّب الحميدي ـ رحمه الله ـ كتابه على مسانيد الصحابة، أي جمع فيه أحاديث كل صحابي على حدة بغضّ النظر عن موضوع الحديث[2]، ثم رتّب أسماء الصحابة حسب الأفضلية والسابقة في الإسلام، فبدأ بمسانيد الخلفاء فذكر مسند أبي بكر وباقي الخلفاء، ثم ذكر باقي العشرة المبشرين بالجنة، فالمقدّمين بعد العشرة، ثم أعقبهم بالمكثرين فالمقلين ثم النساء.

٢ ـ ميّز الحميدي الأحاديث المتفق عليها من كل مسند فقدمها، ثم أعقبها بما انفرد به البخاري ثم بما انفرد به مسلم.

فكانت مسانيد العشرة كالآتي:

الرقم	اسم الصحابي	عدد الأحاديث في الصحيحين	المتفق عليها	ما انفرد بها البخاري	ما انفرد بها مسلم
١	أبو بكر الصدّيق	١٨	٦	١١	١
٢	عمر بن الخطاب	٨١	٢٦	٣٤	٢١
٣	عثمان بن عفان	١٦	٣	٨	٥

(١) جامع الأصول لابن الأثير ص: ٥٥/١.

(٢) وَهِمَ الدكتور محمود الطحان حيث قال: أن كتاب الحميدي مرتب على الأبواب (انظر أصول التخريج ودراسة الأسانيد للدكتور محمود الطحان ص: ١١٨).

الرقم	اسم الصحابي	عدد الأحاديث في الصحيحين	المتفق عليها	ما انفرد بها البخاري	ما انفرد بها مسلم
٤	علي بن أبي طالب	٤٤	٢٠	٩	١٥
٥	عبدالرحمٰن ابن عوف	٧	٢	٥	
٦	طلحة بن عبيدالله	٧	٢	٢	٣
٧	الزبير بن العوّام	٩	٢	٧	
٨	سعد بن أبي وقاص	٣٨	١٥	٥	١٨
٩	سعيد بن زيد	٣	٢	١	
١٠	أبو عبيدة بن الجراح	١			١

٣ ـ لم يذكر الحميدي في كتابه أقوال التابعين ومن بعدهم من مذاهب الفقهاء والأئمة، وإنما أثبت ما كان حديثاً عن رسول الله ﷺ أو أثراً عن صحابي، وعليه فلم يذكر تراجم أبواب كتاب البخاري[1].

٤ ـ وأضاف الحميدي إلى ذلك نبذاً من كتب الحفّاظ الذين عنوا بالصحيح من تنبيه على غرض أو تتميم لمحذوف أو زيادة من شرح أو بيان لاسم أو نسب أو كلام على إسناد أو تتبع لوهم.

(١) جامع الأصول لابن الأثير ص: ٢٢/١.

وقد اعترض العراقي[1]، على الحميدي بالنسبة لهذه الزيادات وتبعه في ذلك الشيخ سراج الدين النحوي[2]، وأبو حفص البلقيني[3].

قال العراقي: «والزيادات الموجودة في كتاب الحميدي ليست في واحد من الكتابين، ولم يروها الحميدي بإسناده فيكون حكمها حكم المستخرجات ولا أظهر لنا اصطلاحاً أنه يزيد في زوائد التزم فيها الصحة فيقلد فيها»[4].

والحقيقة أن الحميدي رحمه الله أوضح ذلك في مقدمة كتابه، وقد ردّ الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في نكته على ابن الصلاح، هذا الزعم، فقال: «ولو تأمل المواضع الزائدة لرآها معزوة إلى من زادها من أصحاب المستخرجات . . . والدليل على ما ذهبنا إليه من أن الحميدي أظهر اصطلاحه لما يتعلق بهذه الزيادات، موجود في خطبة كتابه إذ قال في أثناء المقدمة ما نصه»، وربما أضفنا إلى ذلك نبذاً مما تبّهنا له من كتب أبي الحسن الدارقطني[5]، ....

(١) هو الحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي. ولد سنة ٧٢٥هـ بمصر له مؤلفات كثيرة منها: الألفية - نكت على ابن الصلاح - المراسيل وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٨٠٦هـ (طبقات الحفاظ ص: ٥٤٣ رقم: ١١٧٥).

(٢) الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن الإمام النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الشافعي، (المعروف بابن الملقن). ولد سنة ٧٢٣هـ له تصانيف كثيرة منها: شرح البخاري - و - شرح العمدة - وألف في المصطلح كتاب (المقنع) توفي - رحمه الله - سنة ٨٠٤هـ (طبقات الحفاظ ص: ٥٤٢ رقم: ١١٧٣).

(٣) الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبدالخالق الكناني الشافعي - ولد سنة: ٧٢٤هـ، ألّف في علم الحديث كتاب «محاسن الاصطلاح» وله شرح على البخاري والترمذي، مات سنة ٨٠٥هـ (طبقات الحفاظ ص: ٥٤٢ رقم: ١١٧٤).

(٤) التقييد والإيضاح ص: ٢٩.

(٥) الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي - صاحب السنن والعلل والأفراد وغير ذلك ولد سنة ٣٠٦هـ وتوفي سنة ٣٨٥هـ (طبقات الحفاظ ص: ٣٩٣ رقم: ٨٩٣).

وأبي بكر الإسماعيلي[1]، وأبي بكر الخوارزمي[2]، (يعني البرقاني) وأبي مسعود الدمشقي[3]، وغيرهم من الحفّاظ الذين عنوا بالصحيح مما يتعلّق بالكتابين من تنبيه على غرض أو تتميم لمحذوف أو زيادة شرح أو بيان لاسم أو نسب أو كلام على إسناد أو تتبّع لوهم.

فقوله: «تتميم لمحذوف أو زيادة» هو غرضنا هنا، وهو يختص بكتابي الإسماعيلي والبرقاني، لأنهما استخرجا على البخاري واستخرج البرقاني على مسلم.

وقوله: «من تنبيه على غرض أو كلام على إسناد أو تتبّع لوهم أو بيان لاسم أو نسب»، يختص بكتابي الدارقطني وأبي مسعود. ذاك في «كتاب التتبّع» وهذا في «كتاب الأطراف».

وقوله: «مما يتعلّق بالكتابين».احترز به عن تصانيفهم التي لا تتعلّق بالصحيحين، فإنه لم ينقل منها شيئاً هنا. (انتهى كلام ابن حجر)[4].

وفي ما يلي نماذج من زيادات الحميدي:

١ - في مسند سعد بن أبي وقاص، الحديث الثالث عشر من أفراد مسلم: بعد ذكره لحديث سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب في كل ليلة ألف حسنة؟..**.» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب

(١) الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني ولد سنة ٢٧٧هـ صنّف «الصحيح» و «مسند عمر» وغير ذلك، مات رحمه الله سنة ٣٧١هـ (طبقات الحفاظ ص: ٣٨٢ رقم: ٨٦٥).

(٢) الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي البرقاني شيخ بغداد صنّف وخرّج على «الصحيحين» ولد سنة ٣٣٦هـ وكانت وفاته رحمه الله سنة ٤٢٥هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤١٨ رقم: ٩٤٥).

(٣) أبو مسعود الدمشقي إبراهيم بن محمد بن عبيد الحافظ صاحب (أطراف الصحيحين) مات - رحمه الله - كهلاً سنة ٤٠٠هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤١٧ رقم: ٩٤٢).

(٤) النكت على كتاب ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلاني ص: ١/٣٠٠ - ٣٠٢ تحقيق ودراسة الدكتور: ربيع بن هادي عمير - دار الراية - ط٢ - ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ الرياض.

ثم إني جمعت بين كتابه وبين الأصول الستة التي ضمّنها كتابه، فرأيت فيها أحاديث كثيرة لم يذكرها في كتابه إما للاختصار أو لغرض وقع له فأهملها، ورأيت في كتابه أحاديث كثيرة لم أجدها في الأصول التي قرأتها وسمعتها ونقلت منها، وذلك لاختلاف النسخ والطرق، ورأيته قد اعتمد في ترتيب كتابه على أبواب البخاري، فذكر بعضها وحذف بعضها فناجتني نفسي أن أهذّب كتابه وأرتّب أبوابه وأوطئ مقصده وأسهّل مطلبه وأضيف إليه ما أسقطه من الأصول، وأتبعه شرح ما في الحديث من الغريب والإعراب والمعنى وغير ذلك مما يزيده إيضاحاً وبياناً»[1].

ومن خلال ما ذكره ابن الأثير يمكن استخلاص الآتي:

- جمع المؤلف في كتابه بين الموطأ والصحاح الخمسة.
- رتّبه على أبواب صحيح البخاري.
- ذكر المتون عارية من الأسانيد والشرح والتفسير.
- ضمّن كتابه ـ إضافة إلى الأحاديث والآثار ـ فقه مالك ـ رحمه الله ـ

هذا وتوجد نسخة من كتاب رزين في مكتبة ميونيخ تحت رقم: (أول ١٢٢)[2].

٣ ـ كتاب «مطالع الأنوار لصحاح الآثار» لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبيّ، المتوفى سنة ٥٩٩هـ، وهو كتاب يجمع بين صحيحي البخاري ومسلم[3]. وهو غير مطالع الأنوار لابن قرقول. وهو في حكم المفقود، إذ لم تشر أي من المصادر المتاحة على مكان وجوده.

٤ ـ الجمع بين الصحيحين لمحمد بن حسين بن أحمد المعروف بابن إحدى عشرة.

---

(١) جامع الأصول ص: ٢٠/١.

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ص: ٢٦٦/٦.

(٣) انظر بغية الملتمس للضبيّ صفحة: ز.

قال الكتاني: وهو كتاب حسن أخذه الناس عنه[1].

٥ ـ الجمع بين الصحيحين لعبدالحق بن عبدالرحمٰن الإشبيلي، المعروف بابن الخرّاط، المتوفى سنة ٥٨١هـ: جمعه من البخاري ومسلم في مجلدين[2]، وقد التزم فيه بألفاظ الأصلين[3]، ولم يزد عليهما ولم يغيّره[4].

٦ ـ الجمع بين الكتب الستة[5]: لعبدالحق الإشبيلي أيضاً، جمع فيه بين الموطأ والصحاح الخمسة، مثل ما فعل رزين بن معاوية. ولم أعثر على من أشار إلى مكان وجوده.

٧ ـ كتاب «أنوار المصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح» لأبي عبدالله محمد بن عتيق بن علي التجيبي الغرناطي المتوفى في حدود سنة ٦٤٦هـ[6].

---

(١) انظر الرسالة المستطرفة ص: ١٣٠ ـ بغية الملتمس ص: ٥٩ رقم: ٨٧ ـ فهرسة ابن خير ص: ١٢٢.

(٢) انظر طبقات الحفاظ ص: ٤٨١ رقم: ١٠٦٥ والرسالة المستطرفة ص: ١٣٠. وبغية الملتمس ص: ٣٧٨ رقم: ١١٠٤.

(٣) انظر تدريب الراوي للسيوطي ص: ١١٣/١.

(٤) توجد مخطوطات هذا الكتاب في كل من:
ـ المتحف البريطاني أول ١٥٦٣ ـ والقاهرة أول ٣٢٥/١، ثاني ١٠٩/١ (انظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ص: ٢٧٦/٦).
ـ معهد إحياء المخطوطات العربية بمصر.
١ ـ النصف الأول من نسخة كتبت سنة ٦٦٧هـ ينتهي بباب (في النفل والقيمة وما جاء في سلب القتيل من باب الجهاد)، رقمها ٢٣٢. وتوجد كذلك في نور عثمانية رقم: ٧٦٩.
٢ ـ النصف الثاني منه تحت رقم: ٢٣٣.
٣ ـ نسخ أخرى منه أرقامها ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٥) الرسالة المستطرفة ص: ١٣٥ ـ وطبقات الحفاظ ص: ٤٨١ رقم: ١٠٦٥.

(٦) التكملة لابن الأبار ص: ٦٦١/٢ رقم: ١٦٨٥ ـ والرسالة المستطرفة ص: ١٣١.

٨ ـ **الجمع بين سنن الترمذي وسنن أبي داود السجستاني**، لمحمد بن سعيد بن زرقون الإشبيلي، المتوفى سنة ٥٨٦هـ[1].

بعد هذا العرض الموجز لأهم كتب المجاميع الأندلسية، نلاحظ أن أغلب هذه الكتب ليست مطبوعة، اللّهم إلاّ إذا اعتبرنا «الجمع بين الصحيحين» للحميدي، قد طبع ضمن كتاب «الإفصاح عن معاني الصحاح» للوزير ابن هبيرة، الذي هو شرح لكتاب الحميدي. وكذلك «الجمع بين الكتب الستة» لرزين بن معاوية، الذي يعتبر كتاب «جامع الأصول» لابن الأثير تهذيب له.

وباقي ما ذكرنا فهو إما مخطوط كالجمع بين الصحيحين لعبدالحق الإشبيلي، أو في حكم المفقود مثل «أنوار الصباح» و «مطالع الأنوار» حيث لم أعثر على من أشار إلى مكان وجودهما.



(١) محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد يعرف بابن زرقون الأنصاري من أهل إشبيلية كنيته أبو عبدالله سمع أباه وأبا عمران بن أبي تليد وأبا الفضل عياض واختص به ـ ولي قضاء شلب وقضاء سبتة من تآليفه كتاب الأنوار جمع فيه بين المنتقى والاستذكار ـ مولده سنة ٥٠٢هـ وتوفي بإشبيلية سنة ٥٨٦هـ (الديباج المذهب ص: ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

المبحث الثاني: المستخرجات

المستخرجات جمع مستخرج، وهو أن يأتي المستخرج إلى كتاب من كتب الحديث فيخرّج أحاديثه بأسانيده لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، على أن يجتمع معه في شيخه أو من فوقه[1]، ولو في الصحابي راوي الحديث.

قال ابن حجر: وشرطه أن لا يصل إلى شيخ أبعد حتى يفقد سندا يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علوّ أو زيادة مهمّة... وربما أسقط المستخرج أحاديث لم يجد له بها سنداً يرتضيه، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب[2].

ولمحدّثي الأندلس جهود وإسهامات متميّزة في هذا المجال، نذكر منها النماذج الآتية:

أ ـ المستخرج على سنن أبي داود لقاسم بن أصبغ البياني: صنّفه على كتاب السنن لأبي داود، ثم اختصره في «المجتنى».

ب ـ مستخرج على سنن أبي داود لأبي عبدالله محمد بن عبدالملك بن أيمن[3]، الفقيه. صنّفه على كتاب أبي داود أيضاً وهو كتاب

(١) تدريب الراوي ص: ١١٢/١.

(٢) المصدر السابق ص: ١١٢/١.

(٣) أبو عبدالله محمد بن عبدالملك بن أيمن بن مفرج، حدّث بالمشرق وبالأندلس صنّف في السنن مات سنة ٣٣٠هـ (بغية الملتمس ص: ٩١ رقم: ١٩٧).

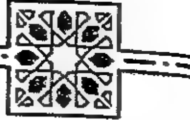
متقن حسن، قال ابن خير: «وكان قاسم بن أصبغ ومحمد بن عبدالملك بن أيمن قد رحلا جميعاً من الأندلس ووصلا إلى العراق سنة ٢٧٦هـ، فوجدا أبا داود السجستاني قد توفي قبل وصولهما بيسير، مات سنة خمس وسبعين، فلما فاتهما أبو داود، عمل كل واحد منهما مصنّفاً في السّنن على تراجم كتاب أبي داود وخرّجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما، وهما مصنّفان، جليلان»[١].

جـ ـ مستخرج على صحيح مسلم لقاسم بن أصبغ البياني، قال صاحب هدية العارفين: له كتاب «الصحيح على هيئة صحيح مسلم»[٢].



(١) فهرسة ابن خير ص: ١٢٤.

(٢) الرسالة المستطرفة ص: ٢٢.
هدية العارفين ص: ٨٢٦/٥.



المبحث الثالث: الزوائد

وهي المؤلفات التي يجمع فيها مؤلفوها الأحاديث الزائدة في بعض الكتب عن الأحاديث الموجودة في كتب أخرى.

ولم أجد للأندلسيين كثير إنتاج في هذا الموضوع، ومن أمثلة ذلك:

ـ كتاب: المعلم بما زاد البخاري على مسلم: لأبي العباس أحمد بن محمد بن مفرّج ابن عبدالله الأموي مولاهم الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الرومية[١]. ذكره السيوطي في طبقات الحفاظ ولم أعثر على من عرّف به.



(١) طبقات الحفاظ للسيوطي ص: ٥٠١ رقم: ١١٠٤.

الفصل الثالث

جهود محدّثي الأندلس في التصنيف على الأجزاء

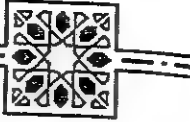
المبحث الأول: كتاب البدع والنهي عنها لمحمد بن وضّاح القرطبي.

المبحث الثاني: كتاب جامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبدالبرّ.

المبحث الثالث: كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي.

كتب الأجزاء، هي التي جمع فيها مؤلفوها، الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد على سبيل الاستقصاء.

وقد كان لمحدّثي الأندلس جهود معتبرة في هذا المجال، نعرّف ببعضها في ما يلي:



المبحث الأول:
كتاب البدع والنهي عنها
لمحمد بن وضّاح القرطبي

أ ـ التعريف بالكتاب: جمع المؤلف فيه، ما جاء من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وما روي من الآثار والأخبار عن الصحابة والتابعين في البدع والتحذير منها.

يعدّ هذا الكتاب من أوائل ما صُنّف في موضوع البدع والنهي عنها. وقد نقل منه أغلب من كتب في هذا الموضوع، كإنكار البدع لأبي شامة[١]، والحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي[٢]، والاعتصام للشاطبي.

---

(١) أبو شامة، الإمام الحافظ شهاب الدين أبو القاسم عبدالرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي. ولد سنة ٥٩٧هـ ـ ولي مشيخة الإقراء بالأشرفية، مات سنة ٦٦٥هـ (طبقات الحفاظ ص: ٥١٠ رقم: ١١٢٣) و (البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٢٥٠).

(٢) هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي يكنى: أبا بكر ويعرف بابن أبي رندقة ـ نشأ بالأندلس ببلدة طرطوشة ـ أخذ عن أبي الوليد الباجي، ورحل إلى المشرق وحج ـ تفقّه عن أبي بكر الشاشي، وسمع بالبصرة من أبي علي التستري، كان إماماً عالماً عاملاً زاهداً ـ ألّف تآليف حساناً منها كتاب في البدع والمحدَثات ـ توفي بالإسكندرية سنة ٥٢٠هـ (الديباج المذهب لابن فرحون ص: ٢٧٦).

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب وتخريج أحاديثه، الأستاذ محمد أحمد دهمان، وطبع بدار الرائد العربي ببيروت سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ب ـ ترتيب الكتاب ومنهج ابن وضّاح فيه:

يقع الكتاب في حوالي ست وتسعين صفحة من الحجم المتوسط، ورغم صغر حجمه إلا أنه احتوى على أكثر من (٢٧٧) مائتين وسبعة وسبعين بين حديث مرفوع وموقوف ومقطوع. وقد قسّمه المؤلف إلى ثمانية أبواب نوجز محتواها في الآتي:

باب ما يكون بدعة: أورد فيه طائفة من أحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة في النهي عن البدع ومحاربتها، ودعوتهم الناس لاتباع ما وجدوا عليه أصحاب النبي ﷺ، وكيف كان عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ينهى عن البدع.

ـ باب كل محدثة بدعة: أورد فيه قول النبي ﷺ: **«إن أفضل الهدي هدي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»**[1]، وذكر طرقه المتعددة. وقول قتادة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾[2]، قال: لا تبتدعوا.

ـ باب إحداث البدع، وقوله ﷺ: **«من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**[3].

ـ باب تغيير البدع: ذكر فيه بعضا مما جاء عنه ﷺ في التحذير من البدع، وطائفة من أقوال السلف في محاربة البدع والنهي عنها.

(١) انظر مسند الإمام أحمد (عن جابر بن عبدالله) حديث رقم: ١٤٤٣٨ ص: ٥/٦١.
(٢) سورة المائدة، آية: ٧٧.
(٣) أخرجه أحمد في المسند عن علي ١/١١٩، والهيثمي ٦/٢٨٥ قال: وفيه كثير بن عبدالله، والجمهور على تضعيفه.

ـ باب ما جاء في إتباع الأذان، وقول عمر ـ رضي الله عنه ـ: «من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصلّ، ومن لا فليمض ولا يعتمدها». وقطع عمر ـ رضي الله عنه ـ الشجرة التي بايع عندها المسلمون رسول الله ﷺ، خشية الفتنة، وذكر ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وكراهية اجتماع الناس عشية عرفة، والنهي عن الجلوس مع أهل البدع وخلطتهم والمشي معهم.

ـ باب هل لصاحب البدعة توبة، وقوله ﷺ: **«أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»**[1].

ـ باب في نقض عرى الإسلام ودفن الدين وإظهار البدع، وقول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: **«قام بنا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً**[2]، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[3]، **... ثم يؤخذ بقوم منكم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصحابي، قال: فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[4]. **قال: فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»**[5].

كما أورد في هذا الباب كثيراً من الأحاديث الدالة على أن الناس

(١) انظر كنز العمال لعلاء الدين الهندي حديث رقم: ١١٠٣. وابن ماجه المقدمة باب اجتناب البدع والجهل رقم: ٤٩.
(٢) غرلاً: أي غير مختونين.
(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.
(٤) سورة المائدة، آية: ١١٧.
(٥) أخرجه أحمد عن ابن عباس: المسند ١/٢٣٥، والبخاري ـ كتاب التفسير باب وكنت عليهم شهيداً رقم: ٤٢٥٩.
وكتاب الرقاق ـ كيف الحشر رقم: ٦٠٤٥- ومسلم كتاب الجنة وصفتها باب فناء الدنيا رقم: ٥١٠٤.

سينقضون عرى الإسلام واحدة بعد الأخرى حتى ما يبقى من ذلك إلا الصلاة، وذكر طائفة من أقوال السلف في ذلك، وقوله ﷺ: **«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»** قيل: ومن الغرباء؟ قال: **«الذين يصلحون عند فساد الناس»**[1].

ـ باب في ما يدال الناس بعضهم من بعض، والبقاع، وقوله ﷺ: **«دبّ إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفس محمد بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبّت ذلك، أفشوا السلام بينكم»**[2].

وقد اتبع ابن وضّاح في عرضه لمادة الكتاب المنهج الآتي:

- يذكر ما حضره من الآثار الواردة في الباب.
- يذكر أقوال العلماء الواردة في موضوع الباب.
- يذكر رأيه الشخصي في الموضوع.
- يعقّب أحياناً على الأخبار من ناحية الصحة والضعف.

وحتى يتضح منهج الإمام محمد بن وضّاح في عرضه، لمادة الكتاب نورد المثال الآتي:

«ما جاء في اتباع الأذان».

١ ـ ذكر الآثار الواردة في الباب:

قال ابن وضّاح:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً رقم: ١٤٥ وأحمد في أول مسند المدنيين رقم: ١٦٠٩٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن الزبير بن العوام، انظر المسند ١/١٦٥ ـ ١٦٧ رقم: ١٣٣٨ ـ ١٣٥٥. والترمذي صفة القيامة رقم: ٢٤٣٤، وانظر كذلك التمهيد ٦/١٢٠ ـ ١٢١.

«حدثني إبراهيم بن محمد[1]، قال: نا حرملة بن يحيى عن عبدالله بن وهب عن جرير بن حازم[2]، عن الأعمش[3]، قال: حدّثني مروان بن سويد الأسدي:

قال: «خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة فلما أصبحنا صلى بنا الغداة ثم رأى الناس يذهبون مذهبا فقال: أين يذهب هؤلاء؟، قيل يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، هم يأتون يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يعتمدها»[4].

قال محمد بن وضّاح: حدّثنا موسى بن معاوية قال: نا جرير عن الأعمش عن المعرور بن سويد قال: خرجنا حجّاجاً مع عمر بن الخطاب فعرض لنا في بعض الطريق مسجد فابتدره الناس يصلون فيه، فقال عمر: ما شأنهم؟ فقالوا: هذا مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال عمر: أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا حتى أحدثوها بيعاً، فمن عرضت له فيه صلاة فليصل، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض

(١) إبراهيم بن محمد بن يوسف بن سرج الفريابي نزيل بيت المقدس ـ صدوق ـ تكلم فيه الساجي، روى عن ضمرة، والوليد بن مسلم ومحمد بن يوسف بن واقد الفريابي، وعنه ابن قتيبة وجعفر الفريابي وخلق من الرابعة (التقريب ص: ٩٣ رقم: ٢٤٢، وميزان الاعتدال ١/٦١ رقم: ١٩٠).

(٢) جرير بن حازم بن زيد بن عبدالله الأزدي أبو النضر البصري، والد وهب، ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام إذا حدّث من حفظه، مات سنة ١٧٠هـ بعدما اختلط لكن لم يحدّث في حال اختلاطه (التقريب ص: ١٣٨ رقم: ٩١١).

(٣) هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي، الأعمش، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع لكنه يدّلس، مات سنة ١٤٧ أو ١٤٨هـ وكان مولده سنة ٩١هـ (التقريب ص: ٢٥٤ رقم: ٢٦١٥).

(٤) البدع والنهي عنها ص: ٤١.

وقال ابن وضّاح: سمعت عيسى بن يونس[١]، مفتي أهل طرسوس يقول: «أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ، فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلّون تحتها فخاف عليهم الفتنة قال عيسى بن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون[٢].

٢ ـ آراء العلماء في محدثات الأمور:

قال ابن وضّاح: وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ ما عدا قباء وأحداً، قال ابن وضّاح: وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري[٣]، دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتّبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يقتدى به، وقدم وكيع[٤]، أيضاً بيت المقدس فلم يَعْدُ فعل سفيان.

قال ابن وضّاح حدّثني سحنون[٥]، ....

(١) عيسى بن يونس الطرسوسي صدوق من الحادية عشرة أخرج له أبو داود. (انظر التقريب ص: ٤٤١ رقم: ٥٣٤٢).

(٢) عبدالله بن عون بن أرطبان، أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل مات سنة ١٥٠هـ (انظر تقريب التهذيب ص: ٣١٧ رقم: ٣٥١٩).

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ـ أبو عبدالله الكوفي ـ أحد الأئمة الأعلام روى عن أبيه، وحبيب بن أبي ثابت وجعفر الصادق وخلق: وعنه ابن المبارك ويحيى القطان وعلي بن الجعد وآخرون. قال شعبة وغير واحد: سفيان أمير المؤمنين في الحديث ـ ولد سنة سبع وتسعين ومات بالبصرة سنة ١٦١هـ (طبقات الحفاظ ص: ٩٥ رقم: ١٨٨).

(٤) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ـ أبو سفيان الكوفي الحافظ، روى عن حماد بن سلمة والسفيانين ومالك والأوزاعي وخلق، وعنه أحمد بن حنبل وإسحاق ويحيى وخلق، قال أحمد: ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ، مات سنة ١٩٦هـ (طبقات الحفاظ ص: ١٣٣ رقم: ٢٧٢).

(٥) سحنون هو عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، أصله شامي من حمص سمي سحنون باسم طائر حديد لحدّته في المسائل ـ أخذ العلم عن مشايخ القيروان، وسمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وطليب بن كامل وسفيان بن عيينة ووكيع=

وحارث[١]، عن ابن القاسم عن مالك أنه سئل عن قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ مراراً في ركعة، فكره ذلك وقال: هذا من محدثات الأمور التي أحدثوها.

وعن ابن وضّاح قال: حدّثني محمد بن مصفّى[٢]، قال: حدّثني سويد بن عبدالعزيز[٣]، قال: نا سيّار أبو الحكم[٤]، عن الشعبي: أن عمر بن الخطاب كان يضرب الرجبيين الذين يصومون رجب كله. قال أصبغ بن مالك[٥]: قلت لمحمد بن وضّاح: لأي شيء كان عمر يضرب الرجبيين؟ قال: إنما هو خبر جاء هكذا، ما أدري أيصحّ أم لا[٦]، وإنما معناه خوف أن يتخذوه سنّة مثل رمضان.

٣ ـ رأي ابن وضّاح:

قال ابن وضّاح في ختام سرده لأقوال الأئمة العلماء:

= وعبدالرحمٰن بن مهدي ـ وعاد إلى أفريقيا بعد إتمام رحلته، في سنة ١٩١هـ ـ وكان ثقة حافظاً للعلم فقيهاً ـ توفي ـ رحمه الله ـ في رجب سنة ٢٤٠هـ (انظر الديباج المذهب لابن فرحون ص: ١٦٠).

(١) الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف، مولى بني أمية ـ أبو عمرو المصري، قاضيها ثقة فقيه مات سنة ٢٥٠هـ وله ست وتسعون سنة (التقريب ص: ١٤٨ رقم: ١٠٤٩).

(٢) محمد بن مصفّى بن بهلول الحمصي، القرشي، صدوق له أوهام وكان يدلّس مات سنة ٢٤٦هـ أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه (التقريب ص: ٥٠٧ رقم: ٦٣٠٤).

(٣) سويد بن عبدالعزيز بن نمير السلمي مولاهم، الدمشقي، وقيل أصله حمصي ـ ضعيف مات سنة ١٩٤هـ، أخرج له الترمذي وابن ماجه (التقريب ص: ٢٦٠ رقم: ٢٦٩٢).

(٤) سيار أبو الحكم العنزي، وهو أخو مساور الورّاق لأمه ـ ثقة مات سنة ١٢٢هـ أخرج له الستة (التقريب ص: ٢٦٢ رقم: ٢٧١٨).

(٥) أصبغ بن مالك بن موسى ـ زاهد فاضل قرطبي توفي سنة ٣٠٤هـ (انظر بغية الملتمس للضبّي ص: ٢٢٦ رقم: ٥٧٥).

(٦) توقف محمد بن وضّاح في الحكم على الحديث لضعف سنده، حيث فيه سويد بن عبدالعزيز وهو ضعيف.

«فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين، فقد قال بعض من مضى: كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس، كان منكراً عند من مضى ومتحبّب إليه بما يبغضه عليه، ومتقرّب إليه بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة»[1].



(1) البدع والنهي عنها ص: ٤٣.

المبحث الثاني: كتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله

للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ.

منهج ابن عبدالبر في كتابه جامع بيان العلم وفضله:

موضوع الكتاب:

خصّص ابن عبدالبر كتابه هذا لذكر ما روي في فضل العلم وطلبه وأصوله وما يحتاجه العالم والمتعلّم من الآداب.

ويعدّ هذا الكتاب من المراجع الرئيسية في موضوعه.

ترتيب الكتاب:

المقدمة: افتتح المؤلف الكتاب بخطبة قصيرة أوضح فيها الباعث على تأليفه له وأنه كان استجابة لسؤال بعض طلبته، حيث قال: «أما بعد، فإنك سألتني رحمك الله عن معنى العلم وفضل طلبه وحمد السعي فيه والعناية به، وعن تثبيت الحجاج بالعلم، وتبيين فساد القول في دين الله بغير فهم، وتحريم الحكم بغير حجّة، وما الذي أجيز من الاحتجاج والجدل وما كره منه، وما الذي ذمّ من الرأي وما حمد منه، وما يجوز من التقليد وما حرّم منه، ورغبت أن أقدّم لك قبل هذا من آداب المتعلّم وما يلزم العالم والمتعلّم التخلّق به والمواظبة عليه، وكيف وَجْهُ الطلب وما حُمِدَ ومُدِحَ فيه

من الاجتهاد والتعب إلى سائر أنواع آداب التعلّم والتعليم وفضل ذلك وتلخيصه باباً باباً مما روي عن سلف هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين لتتبع هديهم وتسلك سبيلهم وتعرف ما اعتمدوا عليه من ذلك مجتمعين أو مختلفين في المعنى منه فأجبتك إلى ما رغبت»[1].

وقد قسّم ابن عبدالبر الكتاب إلى جزأين:

ـ الجزء الأول:

استهلّ المؤلّف الجزء الأول من الكتاب بذكر طائفة من الأحاديث الواردة في وعيد من سئل العلم فكتمه، ثم قسّم مادّة الجزء إلى ثمانية وثلاثين باباً تناول فيها جملة مسائل نوجزها في الآتي:

١ ـ قوله ﷺ: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم»**[2].

٢ ـ الترغيب في طلب العلم، وبيان ما هو من العلم فرض عين على كل امرئ في خاصته، وما هو فرض كفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع.

٣ ـ ذكر فضل العلم النافع وبيان قوله ﷺ: **«ينقطع عمل المرء بعد موته إلا من ثلاث»**[3].

وقوله: **«الدال على الخير كفاعله»**[4].

وقوله: **«لا حسد إلا في اثنتين»**[5].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٥/١٤٠ وأبي الجوزي في العلل المتناهية ١/٥٤ ـ ٥٥.

(٣) التمهيد ١/٢١٣. ومسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب رقم: ٣٠٨٤، والنسائي في الوصايا رقم: ٣٥٩١.

(٤) أخرجه الطبراني ٦/٢٣٠ ـ ١٧/٢٢٧ ـ ٢٢٨، مجمع الزوائد ١/١٦٦ باب فيمن نشر علماً أو دل على خير ٣/١٣٧ والترمذي كتاب العلم عن رسول الله ﷺ رقم: ٢٥٩٤ وأحمد في باقي مسند الأنصار رقم: ٢١٣٢٦ ـ ٢١٩٤٩.

(٥) التمهيد ٦/١٢٠ ـ الفتح ١٣/١٢٠ ـ ١٩٨. والبخاري كتاب العلم رقم: ٧١ ومسلم في صلاة المسافرين رقم: ١٣٥٠.

وقوله: **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[1].

٤ ـ فضل العلم وأهله، والحثّ على طلب العلم وتعليمه، وفضل طالب العلم وأن الإنسان يشرف بشرف العلم.

٥ ـ ذكر طائفة من الأحاديث الواردة في كراهة، وإباحة تدوين الأحاديث.

٦ ـ أورد بعد ذلك عدّة أبواب تناول فيها مسائل من علوم الحديث أهمها:

ـ معارضة الكتاب.

ـ الأمر بإصلاح اللحن والخطأ في الحديث وتتبّع ألفاظه.

ـ التعليم في الصغر والحض عليه.

ـ الرحلة في طلب العلم.

٧ ـ ذكر عدّة أبواب في آداب العالم والمتعلّم والحال التي تنال بها العلم تناول فيه على الخصوص:

ـ هيبة المتعلّم للعالم وتوقير العلماء ومدح التواضع وذمّ العجب واستعاذة الرسول ﷺ من علم لا ينفع، وسؤاله ﷺ العلم النافع[2].

ـ النهي عن تحديث الناس بما لا تبلغه عقولهم.

ـ بيان قوله ﷺ: **«صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس الأمراء والفقهاء[3]، وأن فساد الناس بفسادهما»**.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس ـ ١/٣٠٦. والبخاري كتاب العلم رقم: ٦٩ ومسلم كتاب الزكاة رقم: ١٧١٩.

(٢) التمهيد ٦/٤٩١ والطبراني ١١/٥٣. ومسلم في الذكر والدعاء رقم: ٤٨٩٩ والترمذي في الدعوات رقم: ٣٤٠٤.

(٣) انظر كنز العمال ١٤٧٠٨ ـ ٢٩٠٠٧.

ـ ذمّ طلب العلم للدنيا وأن نسيان العلم سببه المعاصي والذنوب.

ـ **الجزء الثاني:**

قسّمه المؤلف إلى ثلاثة وثلاثين باباً تناول فيها المواضيع الآتية:

١ ـ العمل بالعلم، ومساءلة الله عزّ وجلّ العلماء يوم القيامة عمّا عملوا فيما علموا.

٢ ـ أن الزهد في الدنيا وأكل الحلال من أعظم الأشياء التي تثبّت العلم والانتفاع به، وأن الغِنى غِنى القلب.

٣ ـ بيان أصول العلم وحقيقته، وأن العلم نور يقذفه الله في القلب، وأنه لا يحلّ لأحد أن يقول في شيء أنه حلال أو حرام إلا بنصّ، وأن القول بالرأي سبب في الوقوع على البدع.

٤ ـ أورد نبذاً من علوم الحديث أوضح فيها أن السنّة قسمان، متواتر يجب العمل به قطعاً ويكفر جاحده، وخبر آحاد، وما جاء من الآثار في العمل بخبر الآحاد وطرح الرأي.

٥ ـ بيان ما يلزم العالم إذا سئل عمّا لا يدريه من وجوه العلم.

٦ ـ من جاء عنهم القول بالقياس وكلام العلماء في ذلك، وذكر أمثلة من القرآن تدلّ على القياس.

٧ ـ بيان ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء، وإثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة، ومجادلة أهل الكتاب وبيان خطأهم، وذكر مناظرة ابن عباس والخوارج. ومحاجة عمر بن عبدالعزيز والخوارج.

٨ ـ الكلام عن التقليد والفرق بينه وبين الاتباع.

٩ ـ تطرّق المؤلف إلى جوانب من علم الجرح والتعديل فذكر:

ـ حكم قول العلماء بعضهم في بعض وأنه لا يقبل إلا ببيّنة.

١٠ ـ بيان معنى قول المحدّث أخبرنا وحدّثنا ومعنى الإجازة والمناولة.

١١ ـ معنى الردّ إلى الله والرسول وموضع السنّة من الكتاب وبيانها له.

إضافة إلى ما قدّمت فقد أورد المؤلف في هذا الجزء كثيراً من اللطائف الحديثية كرفع الجهالة والحسن اللغوي، وغير ذلك ممّا يتعلّق بعلوم الحديث، وجملة من الأبيات الشعرية يستشهد بها في المواضع المختلفة.

١ ـ منهج المؤلف في عرض مادة الكتاب:

سلك الحافظ ابن عبدالبر في تناوله لمواضيع الأبواب المختلفة، المنهج الآتي:

١ ـ يذكر بأسانيده، ما حضره من أحاديث رسول الله ﷺ، الواردة في الموضوع، وقد يذكر بعض الأحاديث من طرق متعدّدة.

٢ ـ يذكر ما قال العلماء في تأويلها وشرحها.

٣ ـ يذكر رأيه في المسائل المختلفة، أو يرجّح ما يراه أصوب من الأقوال.

٤ ـ يذكر بعد ذلك ما حضره من الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في الموضوع.

٥ ـ يورد الأقوال المختلفة للعلماء في شرح ذلك.

٦ ـ يذكر ما يراه هو في تأويل ذلك وشرحه.

هذا باختصار منهج ابن عبدالبر في كتابه جامع بيان العلم وفضله، إلا أنه أحياناً وفي بعض المواضيع المحدودة، نراه يكتفي بسرد الأحاديث والآثار دون أن يعلّق عليها، خاصة إذا لم يكن في معناها غموض أو إشكال.

وحتى يتّضح هذا المنهج أكثر نورد المثال الآتي:

ـ قال الحافظ ابن عبدالبر ـ رحمه الله:

«باب حال العلم إذا كان عند الفسّاق والأرذال»[1].

استهل ابن عبدالبر هذا الباب بذكر ما حضره من أحاديث رسول الله ﷺ في الموضوع، بسنده المتصل. فقال:

أ ـ أخبرنا عبدالوارث بن سفيان[2]، قال: أخبرنا قاسم بن أصبغ قال: حدّثنا محمد بن الهيثم[3]، قال: حدّثنا محمد بن عايد[4]، قال: حدّثنا الهيثم[5]، قال: حدّثنا حفص ـ يعني: ابن غيلان ـ[6]، عن مكحول[7]، عن أنس بن مالك[8]، قال: قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟، قال: **«إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل قبلكم»**، قيل: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: **«إذا ظهر الإدهان في**

(١) جامع بيان العلم وفضله ص: ١/١٥٧.

(٢) عبدالوارث بن سفيان بن جبرون المحدّث الزاهد ـ أبو القاسم القرطبي ـ روى عن قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة ومحمد بن عبدالله بن أبي دليم ـ وعنه أبو محمد الأصيلي وأبو عمر بن الحذّاء وأبو عمر بن عبدالبر ـ توفي ـ رحمه الله في ذي الحجة سنة ٣٩٥هـ (سير أعلام النبلاء ص: ١٧/٨٤). وبغية الملتمس ص: ٣٨٦ رقم: ١١٣٢.

(٣) محمد بن الهيثم بن حمّاد الثقفي مولاهم أبو الأحوص البغدادي ـ ثقة حافظ توفي سنة ٢٩٩هـ (التقريب ص: ٥١١ رقم: ٦٣٦٩).

(٤) محمد بن عايد الدمشقي ـ صاحب المغازي وتلميذ الوليد بن مسلم ـ قال ابن معين: ثقة. وقال صالح جزرة ثقة إلا أنه قدري (ميزان الاعتدال ص: ٣/٥٨٩ رقم: ٧٧٢٤).

(٥) الهيثم بن حميد الدمشقي الحافظ الغساني ـ مولاهم ـ قال دحيم: كان أعلم الأولين والآخرين بقول مكحول ـ وقال أبو داود: ثقة قدري (ميزان الاعتدال ص: ٤/٣٢١ رقم: ٦٢٩٨).

(٦) حفص بن غيلان ـ أبو معيد ـ شامي صدوق ـ فقيه ـ رمي بالقدر ـ وثّقه ابن معين وقال أبو داود: قدري ليس بالقوي (التقريب ص: ١٧٤ رقم: ١٤٣٢ ـ وميزان الاعتدال ١/٥٦٨ رقم: ٢١٦٢).

(٧) مكحول الشامي، أبو عبدالله ـ ثقة فقيه كثير الإرسال ـ مشهور ـ رمي بالقدر ـ توفي سنة ١١٣هـ (ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٧ رقم: ٨٧٤٩ ـ والتقريب ص: ٥٤٥ رقم: ٦٨٧٥).

(٨) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ـ خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين مشهور مات سنة ٩٢ أو ٩٣هـ وقد جاوز المائة (التقريب ص: ١١٥ رقم: ٥٦٥).

خياركم والفاحشة في شراركم وتحوّل الملك في صغاركم والفقه في أرذالكم».

ثم ذكر نفس الحديث من طريق آخر. وفي رواية أخرى: «متى يُدع الائتمار بالمعروف» بدل «متى يترك الأمر بالمعروف».

ب ـ حدثنا أحمد بن قاسم وسعيد بن نصر قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل الترمذي[1]، قال: حدّثنا أبو نعيم[2]، قال: حدّثنا ابن المبارك قال: أخبرنا ابن لهيعة عن بكر بن سوادة[3]، عن أبي أمية الجمحي أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من أشراط الساعة ثلاثاً، إحداهن أن تلتمس العلم عند الأصاغر»**.

٢ ـ تأويل العلماء لمعنى الصغير:

قال ابن عبدالبر:

قال أبو نعيم: قيل لابن المبارك: من الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير.

وذكر أبو عبيد[4]، في تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البدع ولا يذهب إلى السنّ، قال أبو عبيد وهذا وجه. قال أبو عبيد: والذي أرى أنا في الأصاغر أن يؤخذ العلم عمن كان بعد أصحاب رسول الله ﷺ، ويقدّم ذلك على رأي أصحاب رسول الله ﷺ وعلمهم، فذلك أخذ العلم عن الأصاغر.

(١) محمد بن إسماعيل بن يوسف السلمي أبو إسماعيل الترمذي نزيل بغداد ـ ثقة حافظ توفي سنة ٢٨٠هـ (التقريب ص: ٤٦٨ رقم: ٥٧٣٨).

(٢) هو الفضل بن دكين ـ أبو نعيم الملائي ثقة ثبت مات سنة ٢١٩هـ (التقريب ص: ٤٤٦ رقم: ٥٤٠١).

(٣) بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي ـ أبو ثمامة المصري ـ ثقة فقيه مات سنة بضع وعشرين ومائة (تقريب التهذيب ص: ١٢٦ رقم: ٧٤٢).

(٤) هو القاسم بن سلّام البغدادي ـ أبو عبيد الإمام المشهور ثقة فاضل مات سنة ٢٢٤هـ (تقريب التهذيب ص: ٤٥٠ رقم: ٥٤٦٢).

٣ ـ ذكر ما يؤيّد أحاديث الباب من الآثار:

قال ابن عبدالبر:

أ ـ حدّثنا عبدالرحمٰن بن يحيى[١]، حدّثنا أحمد بن سعيد حدّثنا إسحاق بن إبراهيم حدّثنا محمد بن علي بن مروان حدّثنا محمد بن مكي[٢]، قال: أخبرنا ابن المبارك عن خالد الحذّاء[٣]، عن عكرمة[٤]، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «البركة مع أكابركم»[٥].

ب ـ قرأت على سعيد بن نصر أن قاسم بن أصبغ حدّثهم قال: حدّثنا ابن وضّاح قال: حدّثنا موسى بن معاوية قال: حدّثنا عبدالرحمٰن بن مهدي[٦]، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة[٧]، عن هلال الورّاق عبدالله بن عليم

---

(١) عبدالرحمٰن بن يحيى أبو زيد العطار سمع بالأندلس جماعة منهم أحمد بن مطرف بن عبدالرحمٰن وأحمد بن سعيد بن حزم الصدفي ورحل فسمع حمزة بن محمد الكناني وغيره، وحدّث عنه الحافظ أبو عمر بن عبدالبر (بغية الملتمس ص: ٣٦٠ رقم: ١٠٤٩).

(٢) محمد بن مكي بن عيسى المروزي مقبول من العاشرة أخرج له أبو داود والنسائي (تقريب التهذيب ص: ٥٠٨ رقم: ٦٣٢٣).

(٣) خالد بن مهران الحذّاء أبو المنازل البصري الحافظ أحد الأئمة، قيل له الحذاء لأنه كان يجلس عندهم، وقيل لأنه كان يقول احذوا على هذا النحو ـ وهو ثقة يرسل مات سنة ١٤١ أو ١٤٢هـ (ميزان الاعتدال ص: ٦٤٢/١ رقم: ٢٤٦٦. وتقريب التهذيب ص: ١٩١ رقم: ١٦٨٠).

(٤) عكرمة أبو عبدالله مولى ابن عباس، أصله بربري ـ ثقة ثبت عالم بالتفسير وأحد أوعية العلم تُكُلّم فيه لرأيه لا لحفظه فاتهم برأي الخوارج ـ مات سنة ١٠٥ وقيل ١٠٦هـ وقيل بعدها. (ميزان الاعتدال ص: ٩٣/٣ رقم: ٥٧١٦ ـ وتقريب التهذيب ص: ٣٩٧ رقم: ٤٦٧٣).

(٥) كنز العمال ص: ٦٠١٥ ـ ٢٨٩٠٦ ومجمع الزوائد ١٥/٨ باب الخير والبركة مع الأكابر.

(٦) عبدالرحمٰن بن مهدي بن حسّان العنبري مولاهم أبو سعيد البصري ـ ثقة ثبت عارف بالرجال والحديث قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه ـ مات سنة ١٩٨هـ (التقريب ص: ٣٥١ رقم: ٤٠١٨).

(٧) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ـ أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغيّر حفظه بأخرة ـ وكان ربما دلّس عن الثقات توفي سنة ١٩٨هـ (التقريب ص: ٢٤٥ رقم: ٢٤٥١).

قال: كان عمر يقول: «ألا إن أصدق القيل قيل الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها ألا إن الناس لن يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم».

ج ـ حدّثنا عبدالرحمٰن بن يحيى قراءة منّي عليه أن عمر بن محمد[١]، حدّثه بمكة قال: حدّثنا علي بن عبدالعزيز قال: حدّثنا مسلم بن إبراهيم[٢]، قال: حدّثنا شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب[٣]، عن عبدالله بن مسعود قال: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا».

ثم ذكر الحافظ ابن عبدالبر بعض الآثار الأخرى عن الصحابة في نفس المعنى.

٤ ـ أقوال العلماء في الموضوع (تتمة):

قال ابن عبدالبر:

وقال بعض أهل العلم: إن الصغير المذكور في حديث عمر وما كان مثله من الأحاديث إنما يراد به الذي يستفتى ولا علم عنده، وأن الكبير هو العالم في أي سنّ كان، وقال: الجاهل صغير وإن كان شيخاً والعالم كبير وإن كان حدثاً، واستشهدوا بقول الأول[٤]:

تعلّم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

وأن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفّت إليه المحافل

---

(١) هو أبو حفص عمر بن محمد الجمحي ذكره الضبي ضمن شيوخ عبدالرحمٰن بن يحيى العطار (بغية الملتمس ص: ٣٦٠).

(٢) مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي أبو عمرو البصري ثقة مأمون توفي سنة ٢٢٢هـ (التقريب ص: ٥٢٩ رقم: ٦٦١٦).

(٣) سعيد بن وهب الهمداني الخيواني ـ يقال له القُرّاد ـ كوفي ثقة مخضرم مات سنة ٧٥ أو ٧٦هـ (التقريب ص: ٢٤٢ رقم: ٢٤١١).

(٤) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي (انظر ديوان الإمام الشافعي ـ تعليق محمد إبراهيم سليم ص: ٤٢).



واستشهدوا بأن عبدالله بن عباس كان يستفتى وهو صغير، وأن معاذ بن جبل[١]، وعتّاب بن أسيد[٢]، كانا يُستفتيان وهما صغيرا السنّ وولاّهما رسول الله ﷺ الولايات مع صغر سنّهما، ومثل هذا في العلماء كثير. ويحتمل أن يكون معنى الحديث على ما قال ابن المعتمر: عالم الشباب محقور وجاهله معذور والله أعلم بما أراده.

وقال آخرون: إنما معنى حديث عمر وابن مسعود في ذلك أن العلم إذا لم يكن عن الصحابة كما جاء في حديث ابن مسعود ولا كان له أصل في القرآن والسنّة والإجماع فهو علم يهلك به صاحبه، ولا يكون حامله إماماً ولا أميناً ولا مرضياً كما قال ابن مسعود، وإلى هذا نزع أبو عبيد رحمه الله، ونحوه ما جاء عن الشعبي: ما حدّثوك عن أصحاب محمد فشدّ عليه يديك وما حدّثوك به من رأيهم فبل عليه. ومثله أيضاً قول الأوزاعي: العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجيء عن واحد منهم فليس بعلم.

٥ - رأي ابن عبدالبر في المسألة وترجيحه بين الآراء السابقة:

قال ابن عبدالبر:

وقد يحتمل حديث هذا الباب أن يكون أراد أن أحقّ الناس بالعلم والتفقّه أهل الشرف والدين والجاه، فإن العلم إذا كان عندهم لم تأنف النفوس من الجلوس إليهم، وإذا كان عند غيرهم وجد الشيطان إلى احتقارهم السبيل وأوقع في نفوسهم أثرة الرضا بالجهل أنفة من الاختلاف

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبدالرحمٰن ـ مشهور ـ من أعيان الصحابة شهد بدراً وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات ـ رضي الله عنه ـ بالشام سنة ثماني عشرة (التقريب ص: ٥٣٥ رقم: ٦٧٢٥).

(٢) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي ـ أبو عبدالرحمٰن أو أبو محمد، المكي، له صحبة، وكان أمير مكة في عهد النبي ﷺ ومات يوم مات أبو بكر الصديق فيما ذكر الواقدي، لكن ذكر الطبري أنه كان عاملاً على مكة سنة إحدى وعشرين. (تقريب التهذيب ص: ٣٨٠ رقم: ٤٤١٨).

إلى من لا حسب له ولا دين، وجعل ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها ومن أسباب رفع العلم والله أعلم أي الأمور أراد عمر بقوله، فقد ساد بالعلم قديماً الصغير والكبير، ورفع الله درجات من أحب.

وممّا يدلّ على أن الأصاغر ما لا علم عنده ما ذكره عبدالرزاق وغيره عن معمر[١]، عن الزهري[٢]، قال: كان مجلس عمر مغتصاً من القراء شباباً وكهولاً فربما استشارهم ويقول: لا يمنع أحدكم حداثة سنّه أن يشير برأيه فإن العلم ليس على حداثة السنّ وقدمه ولكن الله يضعه حيث يشاء[٣].

بهذا الأسلوب العلمي الدقيق، سار الحافظ ابن عبدالبر في عرض أحاديث الباب شارحاً لها بالآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وأقوال علماء الأمة. ولا يكتفي بذلك فحسب، بل نراه يدلي برأيه كلما عرضت مسألة فيها إشكال.

فعند ذكره للأحاديث التي فيها ذمّ العالم على مداخلة السلطان قال: «معنى هذا الباب كله، في السلطان الجائر الفاسق، فأما العدل منهم الفاضل فمداخلته ورؤيته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال البرّ. ألا ترى أن عمر بن عبدالعزيز، إنما كان يصحبه جلة العلماء، وقد كان ابن شهاب يدخل على السلطان عبدالملك وبنيه من بعده، وكان ممن يدخل على

(١) معمر بن راشد الأزدي مولاهم ـ أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً، وكذا في ما حدّث به بالبصرة، مات سنة ١٥٤هـ (ميزان الاعتدال ص: ١٥٤/٤ رقم: ٨٦٨٢ ـ وتقريب التهذيب ص: ٥٤١ رقم: ٦٨٠٩).

(٢) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب القرشي الزهري ـ أبو بكر ـ الفقيه الحافظ ـ متفق على جلالته وإتقانه روى عن ابن عمر وجابر، وأنس وغيرهم من الصحابة وخلق من التابعين وعنه أبو حنيفة ومالك وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبدالعزيز وخلق ـ مات سنة ١٢٤هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤٩ رقم: ٩٥ ـ وتقريب التهذيب ص: ٥٠٦ رقم: ٦٢٩٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص: ١٦٠/١.

السلطان الشعبي وقبيصة وابن ذؤيب[1]، ورجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام[2]، وكان فاضلاً عالماً، والحسن[3]، وأبو الزناد[4]، ومالك بن أنس والأوزاعي والشافعي وجماعة يطول ذكرهم، وإذا حضر العالم عند السلطان غِبّاً[5]، فيما فيه الحاجة، وقال خيرا ونطق بعلم كان حسناً، وكان في ذلك رضوان الله إلى يوم يلقاه، ولكنها مجالس، الفتنة فيها أغلب والسلامة منها ترك ما فيها»[6].

ملاحظات حول الكتاب:

١ ـ من أهم مميزات كتاب جامع بيان العلم وفضله، أن مؤلفه أسند أغلب الأحاديث الواردة فيه إلى قائليها، مع التنبيه عن أحوال رجالها أحياناً، إضافة إلى ذكره لكثير من اللطائف الحديثيّة النافعة.

٢ ـ لم يشترط ابن عبدالبر الصحّة فيما أورده من الأحاديث، حيث ضمّ الكتاب الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة التي غالباً ما يشير إلى أسباب ضعفها، ويسكت أحياناً عن بعض الأحاديث الضعيفة دون التنبيه عليها.

---

(١) الراجح أنهما اسم واحد وهو قبيصة بن ذؤيب وليس (قبيصة وابن ذؤيب) وهو قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي، أبو سعيد أو أبو إسحاق المدني، نزيل دمشق، من أولاد الصحابة، وله رؤية، مات سنة بضع وثمانين (انظر تقريب التهذيب ص: ٤٥٣ رقم: ٥٥١٢).

(٢) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام ويقال: أبو نصر الفلسطيني ثقة فقيه مات سنة ١١٢هـ (التقريب ص: ٢٠٨ رقم: ١٩٢٠).

(٣) الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه: يسار، الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويدلّس مات سنة ١١٠هـ (التقريب ص: ١٦٠ رقم: ١٢٢٧).

(٤) هو عبدالله بن ذكوان القرشي أبو عبدالرحمن المدني المعروف بأبي الزناد ثقة فقيه مات سنة ١٣٠هـ (التقريب ص: ٣٠٢ رقم: ٣٣٠٢).

(٥) الغبّ في الزيارة، قال الحسن: في كل أسبوع يقال «زُرْغِباً تزدد حباً» أي التعاهد بالزيادة من حين لآخر (انظر في ذلك مختار الصحاح ص: ٤٦٧).

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص: ١/١٨٥ ـ ١٨٦.

٣ ـ يضمّ الكتاب ـ إضافة إلى الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ طائفة من الآثار والأخبار وآراء العلماء في المسائل المختلفة.

ـ مصادر ابن عبدالبر في كتابه جامع بيان العلم وفضله:

اعتمد ابن عبدالبر في هذا الكتاب على أمهات كتب الحديث والتفسير وبعض الكتب الأخرى، نذكر منها على الخصوص:

١ ـ الصحيحين.

٢ ـ السنن الأربعة.

٣ ـ الموطأ.

٤ ـ جامع ابن وهب.

٥ ـ مسند الإمام أحمد.

٦ ـ مسند أبي يعلى الموصلي.

٧ ـ مصنّف عبدالرزاق بن همام.

٨ ـ معاجم الطبراني[1].

٩ ـ الأدب المفرد للبخاري.

١٠ ـ جامع القرآن لأبي بكر بن مجاهد.

١١ ـ كتاب التمييز للإمام مسلم.

١٢ ـ ديوان أبي العتاهية.

وغيرها كثير.

---

(١) الطبراني الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي ولد سنة ٢٦٠هـ بعكا ـ حدّث عن ألف شيخ أو يزيدون ـ صنّف المعاجم الثلاثة وكتاب الدعاء وكتاب النوادر وغيرها. توفي سنة ٣٦٠هـ (طبقات الحفاظ ص: ٣٧٣ رقم: ٤٤) والرسالة المستطرفة ص: ٢٩.

هذا وقد طبع الكتاب عدّة مرّات منها طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت. كما توجد منه نسخ مخطوطة في كثير من خزائن العالم منها مخطوطة محفوظة بدار الكتب الأزهرية تحت رقم: ٢٠.

وقد قام السيد أحمد المحمصاني[1]، باختصار «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر، وطبع هذا المختصر في القاهرة سنة ١٣٢٠هـ[2].



(١) هو أحمد بن عمر بن محمد بن غنيم المحمصاني البيروتي الأزهري. من رجال الإصلاح والدين من أهل بيروت توفي سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م (الأعلام ص: ١/١٨٩).

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ص: ٦/٢٦٤.

المبحث الثالث:
كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي[1]، (المتوفى سنة ٧٩٠هـ)

أ ـ موضوع الكتاب:

يدور موضوع الكتاب حول الحوادث والبدع، وأن المخرج من ذلك يكمن في الاعتصام بالكتاب والسنّة.

عرض فيه المؤلف للبدع الحقيقية والإضافية ومراتبها وأحكامها، وبيان الأسباب التي أدّت بأهل الأهواء إلى الافتراق عن جماعة المسلمين، والردّ على شبه المبتدعة.

ب ـ ترتيب الكتاب:

قسّم المؤلف كتاب «الاعتصام» إلى جزأين:

(١) هو الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي الحافظ المجتهد، كان أصولياً مفسّراً فقيهاً محدّثاً لغوياً ـ أخذ العربية وغيرها عن أئمة منهم الإمام ابن الفخار الألبيري وأبو القاسم السبتي وأبو سعيد ابن لب وابن مرزوق الجدّ وأبو علي منصور بن محمد الزواوي وغيرهم. ألف تآليف نفيسة منها: شرح الخلاصة في النحو ـ وكتاب الموافقات في أصول الفقه ـ وكتاب الاعتصام، وكتاب المجالس شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري وغيره من الكتب المفيدة ـ أخذ عنه جماعة من الأئمة منهم الإمام أبو يحيى بن عاصم وأبو بكر بن عاصم وغيرهما. توفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة ٧٩٠هـ (نيل الابتهاج ص: ٤٦).

جعل الجزء الأول في خمسة أبواب:

الباب الأول: في تعريف البدع ومعناها.

الباب الثاني: في ذمّ البدع وسوء منقلب أهلها.

الباب الثالث: في أن ذمّ البدع والمحدثات عام لا يخص محدّثة دون غيرها، وفيه الكلام على شبه المبتدعة ومن جعل البدع حسنة وسيئة.

الباب الرابع: في مأخذ أهل البدع بالاستدلال.

الباب الخامس: في البدع الحقيقية والإضافية[1]، والفرق بينهما.

وجعل الجزء الثاني في خمسة أبواب هي:

الباب السادس: في أحكام البدع وأنها ليست على رتبة واحدة.

الباب السابع: في الابتداع أيختص بالعبادات أم تدخل فيه العادات؟[2].

---

(١) إن البدعة الحقيقية هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل، ولذلك سمّيت بدعة، لأنها شيء مخترع على غير مثال سابق.
وأما البدعة الإضافية فهي التي لها شائبتان، إحداهما: لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة، والأخرى: ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية. فلما كان العمل الذي له شائبتان لم يتخلص لأحد الطرفين وضعنا له هذه التسمية وهي «البدعة الإضافية». (الاعتصام ص: ٢١٠ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ط١ - ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

(٢) البدع في العبادات هي التي تدخل في الأمور الاعتقادية كبدع الخوارج والمعتزلة وغيرهما، أو التي تدخل في أعمال الجوارح من قول أو فعل من غير مثال سابق ولا أصل مرجوع إليه كاختراع العبادات والقربات، أما بدع العادات فكتقديم الجهّال على العلماء في الولايات العلمية، وتولية المناصب الشريفة من ليس لها بأهل بطريق الوراثة (الاعتصام ص: ٢/٣٢٤).

الباب الثامن: في الفرق بين البدع والمصالح المرسلة[1]، والاستحسان[2].

الباب التاسع: في السبب الذي لأجله افترقت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين.

الباب العاشر: في الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه المبتدعة.

كتاب البسملة
للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري، المتوفى سنة ٤٦٣هـ بشاطبة

واسم الكتاب الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة «بسم الله الرحمٰن الرحيم» في فاتحة الكتاب من الاختلاف.

حقق فيه المؤلف مسألة قراءة البسملة في أول فاتحة الكتاب في الصلاة، وهل هي آية منها؟ وهل يجهر بها أو لا؟ ومذاهب العلماء في ذلك، حشد فيه كثيراً من الأحاديث والآثار الموضحة لهذه المسألة.

وقد أشرفت إدارة الطباعة المنيرية على نشر هذه الرسالة سنة ١٣٤٣هـ، وتوجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة الكتانية بالمغرب تحت رقم (١٦ - ك)[3].

---

(١) أي المطلقة وهي المصالح التي لم يشرّع الشارع حكماً لتحقيقها، ولم يدلّ دليل شرعي على اعتبارها أو إلغائها مثل: ضرب النقود واتخاذ السجون وغيرها. (أصول الفقه لعبدالوهاب خلاف ص: ٨٤).

(٢) هو عدول المجتهد عن مقتضى قياس جلي إلى مقتضى قياس خفي أو عن حكم كلي إلى حكم استثنائي لدليل انقدح في عقله رجّح لديه هذا العدول (أصول الفقه لعبدالوهاب خلاف ص: ٧٩ دار القلم. ط١٢ - ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م).
وقال ابن خويز منداد المالكي: الاستحسان هو القول بأقوى الدليلين (انظر كتاب الإشارة في أصول الفقه لأبي الوليد الباجي ص: ٦٥، طبعة معهد الدراسات الإسلامية بإسلام آباد ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

(٣) انظر مجلة دعوة الحق. المغرب رقم: ٢٨٩ سنة ١٩٨٥ (مخطوطات التفسير والحديث في الخزانة الكتانية) للأستاذ محمد المنوني.

إن كتب الأجزاء التي ألّفها الأندلسيون كثيرة، إلا أن أغلبها مفقود مع ما فقد من كنوز تراثنا الإسلامي في الأندلس، ومع ذلك فقد حفظت لنا كتب التاريخ أسماء بعض تلك المؤلفات نذكر منها على سبيل المثال:

١ - كتاب البدع والمحدثات.

٢ - كتاب برّ الوالدين.

كلاهما لمحمد بن الوليد بن محمد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي.، المتوفى سنة ٥٢٠هـ(١).

٣ - كتاب مشكاة الأنوار فيما روي عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار للإمام محيي الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي المرسي نسبة إلى مرسية من بلاد الأندلس لكونه ولد بها. ثم المكي ثم الدمشقي المتوفى بها سنة ٦٣٨هـ: ضمّنه الأحاديث القدسية المروية عن الله تعالى بأسانيده فجاءت مائة حديث وحديثاً واحداً(٢).

بعد هذا العرض الموجز لبعض كتب الأجزاء الأندلسية، يتضح لنا مدى الاهتمام الذي أولاه علماء الأندلس لهذا النوع من التأليف منذ زمن مبكّر، حيث شمل مواضيع عديدة خاصة الفقه والحديث والآداب.

ولم يتوقّف هذا الاهتمام إلا عند انحصار الوجود الإسلامي في تلك الديار وزواله.



(١) الديباج المذهّب لابن فرحون ص: ٢٧٦.

(٢) الرسالة المستطرفة للكتاني ص: ٦١.

الباب الرابع

جهود المحدّثين الأندلسيين في شرح كتب السنّة

الفصل الأول: جهودهم في شرح موطأ الإمام مالك بن أنس - رحمه الله -

الفصل الثاني: جهودهم في شرح الصحيحين.

الفصل الثالث: جهودهم في شرح كتب السنّة الأخرى.

الفصل الأول

جهود محدثي الأندلس
في شرح موطأ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ

المبحث الأول: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر.

المبحث الثاني: تجريد التمهيد لابن عبدالبر.

المبحث الثالث: الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار لابن عبدالبر.

المبحث الرابع: المنتقى في شرح موطأ الإمام مالك لأبي الوليد الباجي.

المبحث الخامس: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي.

المبحث السادس: الشروح الأندلسية الأخرى على الموطأ.

لقد تكلمنا في الفصول السابقة عن مكانة الموطأ لدى الأندلسيين ومدى اهتمام علمائهم برواياته، ودراسته دراسة معمّقة شرحاً لمعانيه وبياناً لأحكامه وتوضيحاً لغريبه وتعريفاً برجاله.

ثم إن محدّثي الأندلس بالغوا في التأليف حول الموطأ لدرجة أنك تجد للعالم الواحد أكثر من شرح للموطأ.

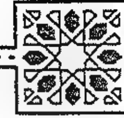
ـ فهذا الحافظ ابن عبدالبر، ألف كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، ثم كتاب «الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار».

ـ وألّف أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي: كتاب الاستيفاء في شرح الموطأ، ثم اختصاره: المنتقى، وكتاب المعاني في شرح الموطأ.

ـ وألّف الإمام أبو بكر ابن العربي عدّة شروح على الموطأ منها:

كتاب المسالك في شرح موطأ مالك. وكتاب القبس على موطأ مالك بن أنس.

وسأحاول في هذا الفصل التعريف بأهم الكتب المطبوعة والتنبيه على المخطوط والمفقود منها:



المبحث الأول:
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ بشاطبة.

موضوعه: هو بسط وشرح لما تضمّنه موطأ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ من أحاديث رسول الله ﷺ متونها وأسانيدها.

قال ابن عبدالبر: رأيت أن أجمع في كتابي هذا كل ما تضمّنه موطأ مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ في رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي عنه من حديث رسول الله ﷺ مسنده ومقطوعه، ومرسله، وكل ما يمكن إضافته إليه ﷺ[١]، «وإنما اعتمدت على رواية يحيى بن يحيى المذكورة خاصة، لموضعه عند أهل بلدنا من الثقة والدين والفضل والعلم والفهم، ولكثرة استعمالهم لروايته وراثة عن شيوخهم وعلمائهم، إلا أن يسقط من روايته حديث من أمهات أحاديث الأحكام أو نحوها، فأذكره من غير روايته»[٢].

منهج ابن عبد البر في كتابه التمهيد:

١ ـ مقدمة التمهيد:

افتتح ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ كتابه التمهيد، كعادة العلماء، بمقدمة

(١) التمهيد ٨/١.
(٢) التمهيد ١٠/١.

شرح فيها منهجه، وجمع فيها جملة من الفوائد والقواعد الحديثية التي تجعل طالب العلم أكثر استعداداً لفهم مادة الكتاب، سالكاً في ذلك مذهب الاجتهاد وإيراد الحجج المؤيّدة لمذهبه، وقد ضمّنها العناصر الآتية:

ـ بيان منهجه في الكتاب والشروط التي وضعها لذلك مركزاً على ما يلي:

ـ توضيح مسالك العلماء بالنسبة لمراسيل الثقات ومسنداتهم، والاختلاف الواقع بين العلماء في خبر الواحد العدل من حيث إفادته للعلم والعمل، موضحاً رأيه في كل ذلك.

ـ ذكر طريقته في ترتيب الأحاديث من حيث الاتصال والانقطاع وبيان كيفية شرحه للأحاديث وذكره لمعاني الآثار وآراء العلماء في تأويلها.

ـ توضيح جوانب مهمّة من علم مصطلح الحديث، وذكر مذهبه في عدالة الرواة، وختم المقدمة بذكر عيون من أخبار مالك ـ رحمه الله ـ.

٢ ـ ترتيبه للأحاديث:

سار ابن عبدالبر في ترتيب أحاديث الموطأ على محورين:

أ ـ ترتيب الأحاديث على حسب شيوخ الإمام مالك:

فقد رتّب أسماءهم وفق حروف الألفباء المغربية الأندلسية[١]، بالنسبة للحرفين الأول والثاني من الاسم، دون مراعاة الحروف الأخرى فكان أول شيوخ مالك في التمهيد هو: إبراهيم بن عقبة بن أبي عياش[٢]، ثم مَن اسمه إسماعيل ثم مَن اسمه إسحاق وهكذا. فيذكر ما لكل شيخ من أحاديث في الموطأ، وأحياناً يرتّب أحاديث شيوخ مالك بحسب شيوخهم أيضاً. ولأنه

(١) حروف الألفباء المغربية هي: أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ ـ د ـ ذ ـ ر ـ ز ـ ط ـ ظ ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ ص ـ ض ـ ع ـ غ ـ ف ـ ق ـ س ـ ش ـ هـ ـ و ـ لا ـ ي.
(٢) إبراهيم بن عقبة بن أبي عياش المدني تابعي ثقة حجة فيما نقل (التمهيد ٩٣/١).

لا يأخذ بعين الاعتبار الحرف الثالث من الاسم، نراه قدّم إسماعيل بن أبي حكيم[1]، على إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة[2]، رغم أن حرف الحاء يأتي قبل حرف الميم في ترتيب المعجم.

ثم ذكر في المجلد الأخير أحاديث شيوخ مالك، الذين عرفوا بكناهم ممّن لا يوقف على اسمه، دون مراعاة ترتيب محدّد في ذلك، وهي ستّة أحاديث أعقبها ببلاغات الإمام مالك وهي إحدى وستين حديثاً وقد وصلها ابن عبدالبر بأسانيد متصلة عدا أربعة أحاديث[3]، وصلها ابن الصلاح[4]، في رسالة صغيرة.

ب ـ ترتيب الأحاديث على حسب الاتصال والانقطاع:

عند تناوله لمرويات الشيخ الواحد من شيوخ الإمام مالك الذين أخرج لهم في الموطأ، يذكر أولاً الأحاديث المتصلة فيشرحها، ثم يعقبها بالأحاديث المنقطعة والمرسلة ثم التي ليست من طريق يحيى بن يحيى الليثي.

وإذا وجدت أحاديث تجري مجرى المتصل، مما اختلف في اتصالها، جعلها بعد الروايات المتصلة وقبل المنقطعة والمرسلة.

هذه باختصار لمحة موجزة عن منهج ابن عبدالبر في ترتيبه لأحاديث «التمهيد».

(1) إسماعيل بن أبي حكيم ـ ثقة حجة فيما روى توفي بالمدينة سنة ١٣٠هـ (التمهيد ١/١٣٩).

(2) إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري يكنى: أبا نجيح ـ ثقة حجة مات سنة ١٣٢هـ (التقريب ص: ١٠١ رقم: ٣٦٧).

(3) انظر في ذلك التمهيد ٢٤/٣٠٠ ـ ٣٧٣ ـ ٣٧٥ ـ ٣٧٧.

(4) رسالة وصل البلاغات الأربع في الموطأ، لابن الصلاح ـ تحقيق عبدالله بن الصديق (دار الطباعة الحديثة ـ الدار البيضاء ـ ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).

٣ ـ منهجه في شرح الأحاديث:

سار ابن عبدالبر في شرحه لأحاديث الموطأ على النحو التالي:

أ ـ التعريف بشيخ مالك: حيث يترجم لشيخ الإمام مالك في أول حديث له، فيذكر كنيته واسمه وقبيلته، والآراء المختلفة في نسبه إن وجدت، ثم يذكر الاسم الكامل لأبيه، ويعرّف به إن كان من أهل العلم. وإن كان شيخ مالك من التابعين، يبيّن على من روى من الصحابة، وأي البلاد سكن وأين ومتى توفي، ويختم ذلك بالكلام عن عدالته، ومن روى عنه من الأئمة، وقد يترجم لشيخ شيخ مالك أحياناً.

وقبل التطرق لشرح الحديث ينبّه على عدد الأحاديث التي رواها الإمام مالك عن هذا الشيخ في الموطأ، مع ذكر حال سند كل واحد من الوصل والانقطاع والإرسال، وهل هي كذلك عند باقي رواة الموطأ.

ب ـ وصل أسانيد الأحاديث المرسلة والمنقطعة:

بعد أن يذكر ابن عبدالبر الحديث المراد شرحه بسنده كاملاً، فإن كان مرسلاً أو منقطعاً، يذكر من وصله من الرواة عن مالك، ومدى صحة هذا الاتصال، وأقوال الأئمة في التابعي الذي أرسل الحديث.

مثال توضيحي:

مالك عن ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله، أنه قال: دخل رجل[1]، من أصحاب رسول الله ﷺ المسجد يوم الجمعة ـ وعمر بن الخطاب يخطب ـ فقال عمر: أية ساعة هذه؟ قال: يا أمير المؤمنين، انقلبت من السوق فسمعت النداء، فما زدت على أن توضأت، فقال عمر: الوضوء أيضاً، وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل[2].

(1) هو سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ كما جاء في روايات أخرى.

(2) التمهيد ٦٨/١٥ وشرح الزرقاني ١/٢٠٩، والبخاري كتاب الجمعة باب فضل غسل الجمعة حديث رقم: ٨٧٨.

قال ابن عبدالبر:

هكذا رواه أكثر رواة الموطأ عن مالك ـ مرسلاً ـ عن ابن شهاب عن سالم ـ لم يقولوا عن أبيه.

ووصله عن مالك روح بن عبادة[١]، وجويرية بن أسماء[٢]، وإبراهيم بن طهمان[٣]، وعثمان بن الحكم الجذامي[٤]، وأبو عاصم النبيل الضحاك بن مخلد[٥].

وعبدالوهاب بن عطاء[٦]، ويحيى بن مالك[٧] بن أنس، وعبدالرحمٰن بن مهدي، والوليد بن مسلم[٨]، وعبدالعزيز بن

---

(١) روح بن عبادة القيسي أبو محمد البصري، روى عن الحمّادين والسفيانين وشعبة وابن جريج وعنه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم، كثير الحديث، صدوق، مات في جمادى الأولى سنة خمس ومائتين (انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص: ١٥١ رقم: ٣٢٢).

(٢) جويرية، تصغير جارية، ابن أسماء بن عبيد الضُبعي بضم المعجمة وفتح الموحدة، البصري، صدوق من السابعة، مات سنة ثلاث وسبعين ومائة (تقريب التهذيب ص: ١٤٣ رقم: ٩٨٨).

(٣) إبراهيم بن طهمان الخرساني، أبو سعيد، سكن نيسابور ثم مكة، ثقة يغرب، من السابعة مات سنة ثمان وستين ومائة (انظر تقريب التهذيب ص: ٩٠ رقم: ١٨٩).

(٤) عثمان بن الحكم الجذامي المصري، صدوق له أوهام. من الثامنة مات سنة ١٦٣هـ وهو أول من أدخل مصر مسائل مالك، قاله ابن وهب (التقريب ص: ٣٨٢ رقم: ٤٤٥٩).

(٥) الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني أبو عاصم النبيل البصري، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة ٢١١هـ أو بعدها (التقريب ص: ٢٨٠ رقم: ٢٩٧٧).

(٦) عبدالوهاب بن عطاء الخفّاف، أبو نصر العجلي مولاهم البصري نزيل بغداد، ربما أخطأ مات سنة أربع أو ست ومائتين (التقريب ص: ٣٦٨ رقم: ٤٢٦٢).

(٧) يحيى بن مالك بن أنس أكبر أولاد الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ روى عن أبيه الموطأ، وعنه محمد ابن مسلمة (التمهيد ٨٨/١ والديباج المذهب ص: ١٨).

(٨) الوليد بن مسلم القرشي مولاهم، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس، من الثامنة، مات آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وتسعين ومائة (التقريب ص: ٥٨٤ رقم: ٧٤٥٦).

عمران[١]، ومحمد بن عمر الواقدي[٢]، وإسحاق بن إبراهيم الحنيني[٣]، والقعنبي[٤]، في رواية إسماعيل بن إسحاق[٥]، عنه: فرووه عن مالك عن ابن شهاب عن سالم، عن أبيه. فبعد سرده لأسماء الرواة الذين رووه موصولاً عن مالك، يورد بعض تلك الروايات بسنده هو، فيقول:

١ ـ فأما حديث روح بن عبادة، فحدثناه عبدالله بن يوسف (ابن الفرضي) قال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن عبدالرحيم[٦]، ومحمد بن محمد بن عبدالله[٧]، ومحمد بن يحيى بن عبدالعزيز[٨]، قالوا: حدثنا أحمد بن خالد، قال: حدثنا قاسم بن محمد، قال: حدثنا أبو عاصم خشيش بن أصرم[٩]، قال: حدثنا روح بن عبادة، قال: حدثنا مالك، عن

---

(١) عبدالعزيز بن عمران بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمٰن بن عوف الزهري المدني الأعرج يعرف بابن أبي ثابت، متروك، احترقت كتبه فحدّث من حفظه فاشتد غلطه وكان عارفاً بالأنساب، من الثامنة مات سنة ١٩٧هـ (التقريب ص: ٣٥٨ رقم: ٤١١٤).

(٢) محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي، المدني القاضي، متروك مع سعة علمه، من التاسعة مات سنة ٢٠٧هـ (التقريب ص: ٤٩٨ رقم: ٣٦٢٠).

(٣) إسحاق بن إبراهيم الحنيني، أبو يعقوب المدني نزيل طرسوس مات سنة ٢١٦هـ (التقريب ص: ٩٩ رقم: ٣٣٧).

(٤) عبدالله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي أصله من المدينة ثقة عابد مات سنة ٢٢١هـ (التقريب ص: ٣٢٣ رقم: ٣٦٢٠).

(٥) إسماعيل بن إسحاق القاضي أبو إسحاق، أصله من البصرة سمع من القعنبي وعلي بن المديني وغيرهما. توفي سنة ٢٨٢هـ (الديباج المذهب ص: ٩٢).

(٦) يعرف بابن العنان، كان ثقة خيّاراً (بغية الملتمس ص: ١٧٤ رقم: ٤٢٤).

(٧) هو محمد بن محمد بن أبي دليم ـ محدّث أندلسي يروي عن عبدالله بن يونس المرادي ومحمد بن محمد بن عبدالسلام الخشني وهذه الطبقة ـ روى عنه أبو الوليد بن الفرضي وغيره (بغية الملتمس ص: ٣٦ رقم: ٣).

(٨) محمد بن يحيى بن عبدالعزيز يعرف بابن الخراز روى عن أسلم بن عبدالعزيز القاضي روى عنه إسحاق بن إبراهيم بن شاكر وأبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن الفرضي (بغية الملتمس ص: ١٩٥ رقم: ٣١٥).

(٩) خشيش بن أصرم بن الأسود أبو عاصم النسائي ثقة حافظ مات سنة ٢٥٣هـ (التقريب ص: ١٩٣ رقم: ١٧١٥).

الزهري عن سالم، عن أبيه، قال: بينا عمر بن الخطاب قائم يخطب يوم الجمعة، إذ جاء رجل... فذكر الحديث.

٢ ـ وأما حديث جويرية، عن مالك، (فذكر إسماعيل بن إسحاق، قال: حدثنا عبدالله بن محمد ابن أسماء[1]، قال: حدثنا جويرية بن أسماء عن مالك) عن الزهري عن سالم عن أبيه أن عمر بن الخطاب بينا هو قائم للخطبة، إذ دخل رجل من أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين الأولين، فناداه عمر، أية ساعة هذه...، وذكر الحديث، وكذلك رواه إسماعيل عن القعنبي، عن مالك عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه، مسنداً.

وبعد أن ذكر أسانيد الحديث الموصولة عن مالك ـ رحمه الله ـ ذكر بعد ذلك من وصل الحديث عن غير طريق مالك، فقال:

وروى هذا الحديث جماعة من أصحاب ابن شهاب، عن سالم عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم يوم الجمعة يخطب... (الحديث). وذكر منهم: معمر[2]، وأبو أويس[3]، وغيرهما.

٣ ـ فأما حديث معمر فذكره عبدالرزاق عن معمر[4].

٤ ـ وأما حديث أبي أويس فحدثناه عبدالوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا إبراهيم بن عبدالرحيم قال: حدثنا

(١) عبدالله بن محمد بن أسماء أبو عبيد الضبعي ـ البصري ـ ثقة جليل مات سنة ٢٣١هـ (التقريب ص: ٣٢٠ رقم: ٣٥٧٧).

(٢) معمر بن راشد أبو عروة البصري أحد الثقات له أوهام قال ابن عبدالبر: معمر أثبت الناس في ابن شهاب (التمهيد ٦/٤٢٧ و ٧/١٠)، توفي سنة ١٥٣هـ (ميزان الاعتدال ٤/١٥٤ رقم: ٨٦٨٢).

(٣) عبدالله بن عبدالله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ـ أبو أويس المدني ـ قريب الإمام مالك وصهره صدوق يهم ـ من السابعة ـ مات سنة ١٦٧هـ (التقريب ص: ٣٠٩ رقم: ٣٤١٢).

(٤) انظر مصنف عبدالرزاق ٣/١٩٥ حديث ٥٢٩٢ (طبع المجلس العلمي كراتشي ط٢ ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

إبراهيم بن أبي العباس الشامي[1]، قال: حدثنا أبو أويس، عن الزهري عن سالم[2]، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم للخطبة يوم الجمعة، فذكر الحديث[3].

وبعد أن وصل الحديث من طريق مالك ومن غير طريقه، أورد أحاديث أخرى في الباب قريبة المعنى من الحديث المدروس منها:

ـ ابن شهاب عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ، قال: **«من جاء منكم الجمعة فليغتسل»** رواه عن ابن شهاب جماعة منهم معمر، وابن عيينة، ورواه الزبيدي[4]، عن الزهري عن سالم عن أبيه عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: **«من جاء منكم الجمعة فليغسل»**[5].

ـ شرحه لمتن الحديث:

عند شرحه لمتن الحديث يركّز الحافظ ابن عبدالبر على جوانب نوجزها في الآتي:

ـ استخراج الفضائل التي تستفاد من الحديث.

ـ شرح الألفاظ الغريبة والغامضة في الحديث.

ـ ذكر الآثار الواردة في معنى حديث الباب.

(١) هو إبراهيم بن أبي العباس السامري ثقة تغير بأخرة من العاشرة (التقريب ص: ٩٠ رقم: ١٩١) و (ميزان الاعتدال ١/٣٩ رقم: ١١٨).

(٢) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ـ المدني ـ أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبتا عابداً فاضلاً مات في آخر سنة ١٠٦هـ (تقريب التهذيب ص: ٢٢٦ رقم: ٢١٧٦).

(٣) التمهيد ١٥/٦٨.

(٤) هو محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي، أبو الهذيل الحمصي ـ القاضي ـ ثقة ثبت ـ من كبار أصحاب الزهري ـ مات سنة ١٤٦هـ أو ١٤٩هـ (تقريب التهذيب ص: ٥١١ رقم: ٦٣٧٢).

(٥) انظر مصنف عبدالرزاق ص: ٣/١٩٤ رقم: الحديث: ٥٢٩٠.

- ذكر الأقوال المختلفة للصحابة في المسائل الواردة في الحديث، ثم ذكر مذاهب الفقهاء وأصحابهم، يذكر ذلك بكل نزاهة ومن غير تعصّب.

- عند الترجيح بين الأحاديث وإظهار صواب رأيه لا يتهجّم على مخالفيه.

وحتى يتضح منهج الحافظ ابن عبدالبر في شرحه للأحاديث نورد المثال الآتي:

مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبدالرحمٰن[1]، أنهما أخبراه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أمّن الإمام فأمّنوا فإنّه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدّم من ذنبه»**.

فبعد كلامه عن سند الحديث قال ابن عبدالبر:

- وفي هذا الحديث من الفقه قراءة أم القرآن في الصلاة، ومعناه عندنا في كل ركعة، لدلائل سنذكرها في باب العلاء بن عبدالرحمٰن[2]، من كتابنا هذا عند قوله ﷺ: **«كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج»**، إن شاء الله ـ وإنما قلنا أن فيه دليل على قراءة فاتحة الكتاب لقوله ﷺ: **«إذا أمّن الإمام فأمّنوا»**.

ومعلوم أن التأمين هو قول الإنسان آمين عند دعائه أو دعاء غيره إذا سمعه. ومعنى آمين عند العلماء: اللّهم استجب لنا دعاءنا، وهو خارج عن قول القارئ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ فهذا هو الدعاء الذي يقع عليه

(١) أبو سلمة بن عبدالرحمٰن بن عوف الزهري ـ المدني ـ قيل اسمه عبدالله، وقيل إسماعيل ـ ثقة مكثر مات سنة ٩٤هـ أو ١٠٤هـ وكان مولده سنة بضع وعشرين (تقريب التهذيب ص: ٦٤٥ رقم: ٨١٤٢).

(٢) العلاء بن عبدالرحمٰن بن يعقوب ـ أبو شبل صدوق ربما وهم مات سنة بضع وثلاثين ومائة (التقريب ص: ٤٣٥ رقم: ٥٢٤٧).

التأمين. ألا ترى إلى قوله ﷺ في حديث سمي[1]، عن أبي صالح[2]، عن أبي هريرة «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ فقولوا: آمين» فكأن القارئ يقول: اللّهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين، وهذا بيّن واضح يغني عن الإكثار فيه، وقد أجمع العلماء على أن لا تأمين في شيء من قراءة الصلاة إلا عند خاتمة فاتحة الكتاب، ولم يختلفوا في معنى ما ذكرنا، فنحتاج فيه إلى القول.

ولما كان قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾[3]، دليلاً على أنه لا بدّ من الأذان يوم الجمعة، وأن ذلك خبراً، فكذلك قوله ﷺ: **«إذا أمّن الإمام»** يعني عند قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ **«فأمّنوا»** دليل على أنه لا بدّ من قراءة فاتحة الكتاب في كل صلاة.

وفي هذا، مع قوله ﷺ: **«لا صلاة لمن لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب»**، دليل على فساد قول من قال، إن الصلاة تجزيء بغيرها.

وسنذكر الاختلاف في هذه المسألة، ونأتي بالحجّة لاختيارنا من ذلك في كتابنا هذا عند ذكر حديث العلاء بن عبدالرحمٰن إن شاء الله.

- وفي آمين لغتان، المدّ والقصر، مثل أوّه ـ وآه قال الشاعر:

ويرحم الله عبداً قال آمين.

وقال آخر فقصر[4]:

تباعد عنّي فحطل إذ دعوته ... أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

(١) سمي مولى أبي بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام: ثقة مات سنة ١٣٠هـ (التقريب ص: ٢٥٦ رقم: ٢٦٣٥).

(٢) أبو صالح الأشعري الأزدي ـ عن أبي هريرة ـ ثقة (ميزان الاعتدال ٥٣٨/٤ رقم: ١٠٣٠٦).

(٣) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٤) البيت لجبير بن الأضبط (التمهيد ١١/٧).

ـ وفي هذا الحديث أيضاً: أن الإمام يقول آمين، لقول رسول الله ﷺ: «إذا آمّن الإمام فأمنوا»، ومعلوم أن تأمين المأموم قوله: آمين، فكذلك يجب أن يكون قول الإمام سواء، لأن رسول ﷺ قد سوّى بينهما في اللفظ، ولم يقل إذا دعا الإمام فأمنوا، وهذا موضع اختلف فيه العلماء.

فروى ابن القاسم والمصريون من أصحاب مالك، وحجّتهم ظاهر حديث سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فقولوا: آمين...» قالوا: ففي هذا الحديث دليل على أن الإمام يقتصر على قراءة ولا الضالين، ولا يزيد على ذلك، وإنما المأموم يؤمّن. قالوا: وكما يجوز أن يسمى التأمين دعاء في اللغة، فكذلك يسمى الدعاء تأميناً، واحتجوا بقول الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾[1]، لموسى وهارون، ولا يختلف المفسرون أن موسى كان يدعو، وهارون يؤمّن، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾.

قال أبو عمر (ابن عبدالبر): ما قالوه من هذا كله، فليس فيه حجّة، فليس في شيء من اللغات أن الدعاء يسمى تأميناً، ولو صحّ لهم ما ادّعوه، وسلم لهم ما تأوّلوه، لم يكن فيه إلا أن التأمين يمسى دعاء، وأما أن الدعاء يقال له تأمين فلا، وإنما قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ ولم يقل قد أجيب تأمينكما، فمن قال الدعاء تأمين فمغفّل ولا رويّة له، على أن قوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ إنما قيل لأن الدعوة كانت لهما، وكان نفعها عائداً عليهما بالانتقام من أعدائهما، فلذلك قيل أجيبت دعوتكما ولم يقل دعوتاكما ولو كان التأمين دعاء لقيل قد: أجيبت دعوتاكما وجائز أن يسمى المُؤَمِّنُ داعيا، لأن المعنى في آمين: اللّهم استجب لنا، على ما قدّمنا ذكره، وهذا دعاء، وغير جائز أن يسمى الدعاء تأمينا، والله أعلم.

(١) سورة يونس، آية: ٨٩.

ومعلوم أن قوله ﷺ: «إذا آمّن الإمام فأمّنوا» لم يرد به فادعوا مثل دعاء الإمام: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة، وهذا ما لا يختلف فيه، وإنما أراد من المأموم قول آمين، لا غير، وهذا إجماع من العلماء. فكذلك أراد من الإمام قول آمين، لا الدعاء بالتلاوة لأنه قد سوى بينهما في لفظه ﷺ بقوله: «إذا آمّن الإمام فأمّنوا» فالتأمين من الإمام كهو من المأموم سواء، وهو قول: آمين، هذا ما يوجبه ظاهر الحديث، فكيف وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول: آمين، إذا فرغ من قراءة فاتحة الكتاب، وهذا نصّ يرفع الإشكال ويقطع الخلاف، وهو قول جمهور علماء المسلمين. وممّن قال ذلك مالك في رواية المدنيين عنه، منهم عبدالملك بن الماجشون[1]، ومطرّف بن عبدالله، وأبو المصعب الزهري، وعبدالله بن نافع، وهو قولهم، قالوا: يقول آمين الإمام ومن خلفه، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة[2]، وأصحابهما، والثوري والحسن بن حي[3]، وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق وأبي عبيد وأبي ثور وداود والطبري وجماعة أهل الأثر، لصحّته عن رسول الله ﷺ من حديث أبي هريرة ووائل بن حجر[4].

وقال الكوفيون وبعض المدنيين: لا يجهر بها، وهو قول الطبري وقال الشافعي وأصحابه وأبو ثور وأحمد وأهل الأثر يجهر بها.

ـ ثم ذكر (ابن عبدالبر) أحاديث بسنده تؤيد ما ذهب إليه من جهر الإمام

(١) عبد الملك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون ـ أبو مروان المدني الفقيه ـ صدوق له أغلاط في الحديث ـ رفيق الإمام الشافعي ـ مات سنة ٢١٣هـ (التقريب ص: ٣٦٤ رقم: ٤١٩٥).

(٢) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ـ مولى بني تيم، فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأي رأى أنساً، روى عن حماد بن أبي سليمان وعطاء والزهري وقتادة ـ ولد سنة ٨٠هـ ومات سنة ١٥٠هـ (طبقات الحفاظ ص: ٨٠ رقم: ١٥٦).

(٣) الحسن بن صالح بن صالح بن حي الهمداني ـ ثقة فقيه عابد، رمي بالتشيع مات سنة ١٦٩هـ (التقريب ص: ١٦١ رقم: ١٢٥٠).

(٤) وائل بن حجر بن سعد بن مسروق الحضرمي ـ صحابي جليل، مات في ولاية معاوية (التقريب ص: ٥٨٠ رقم: ٧٣٩٣).

بالتأمين منها حديث أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: «آمين» حتى يسمع من يليه في الصفّ الأول». وذكر عبدالرزاق عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: كان ابن الزبير يقول آمين ومن خلفه حتى أن للمسجد للجّة[1]؟ قال: نعم. وكان أحمد بن حنبل يغلّظ على من كره الجهر بها. قال: قال النبي ﷺ: **«ما حسدنا اليهود على شيء ما حسدونا على آمين»**.

وأما قوله في هذا الحديث: **«من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدّم من ذنبه»**. ففيه أقوال منها: أنه يحتمل أن يكون أراد: فمن أخلص في قوله آمين: بنيّة صادقة، وقلب صاف: ليس بساه، ولا لاه، فيوافق الملائكة الذين في السماء، الذين يستغفرون لمن في الأرض، ويدعون لهم بنيّات صادقة ليس عن قلوب لاهية، غفر له إذا أخلص في دعائه، واحتجّوا بقول رسول الله ﷺ: **«إذا دعا أحدكم فليجتهد وليخلص فإنّ الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه»** وقال: **«اجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم»**[2]، فكأنه أراد بقوله ﷺ: **«فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة»** الذين يخلصون في الدعاء، غفر له، وهذا تأويل فيه بُعد.

وقال آخرون إنما أراد رسول الله ﷺ: **«فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة»**، الحثّ على الدعاء للمؤمنين والمؤمنات في الصلاة، فإن الملائكة تستغفر للمؤمنين في الأرض، فمن دعا في صلاته للمؤمنين غفر له، لأنه يكون دعاؤه حينئذٍ موافقاً لدعاء الملائكة المستغفرين لمن في الأرض من المؤمنين. وفي قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ دعاء للداعي ولأهل دينه إن شاء الله، والتأمين على ذلك، فلذلك ندب إليه. والله أعلم.

وقال آخرون: إن الملائكة من الحفظة الكاتبين والملائكة المتعاقبين لشهود الصلاة مع المؤمنين يؤمّنون عند قول القارئ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فمن

(١) لجّة بفتح اللام وتشديد الجيم: الأصوات المرتفعة (النهاية في غريب الحديث ٤/٢٣٤).

(٢) قمن: يقال أنت قمن أن تفعل كذا (بفتح الميم)، أي خليق وجدير (لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث) انظر مختار الصحاح ص: ٥٥٢.

فعل مثل فعلهم، وأمّن غفر له، فخصّهم لذلك على التأمين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ **«يتعاقب فيكم ملائكة بالليل والنهار فيجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الفجر»**، الحديث[2].

فإن قيل حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«إذا قال أحدكم: آمين فقالت الملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه»**، وهذا دليل على أنه لم يرد الملائكة الحافظين، ولا المتعاقبين، لأنهم حاضرون معهم في الأرض، لا في السماء، قيل له: لسنا نعرف موقف الملائكة منهم، ولا نكيّف ذلك، وجائز أن يكونوا فوقهم وعليهم وعلى رؤوسهم، فإذا كان كذلك، فكل ما علاك فهو سماء وقد تسمي العرب المطر سماء، لأنه ينزل من السماء ويسمى الربيع سماء، لأنه تولّد من مطر السماء، وتسمي الشيء باسم ما قرب منه وجاوره قال الشاعر[3]:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

فسمي الماء النازل من السماء والمتولّد منه، سماء، فالله أعلم بما أراد رسول الله ﷺ بقوله: **«في السماء»** إن كان قاله، فإن أخبار الآحاد لا يقطع عليها، وكذلك هو العالم لا شريك له بمعنى قوله حقيقة: **«فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»**. ولا يدفع أن يكون المُؤَمِّنُونَ ملائكة السماء، فقد روى ابن جريج عن الحكم بن أبان[4]: أنه سمع عكرمة يقول: إذا أقيمت الصلاة فصفّ أهل الأرض صفّ أهل السماء، فإذا قال أهل

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر، حديث رقم: ٦٣٢.

(٣) البيت للفرزدق (انظر التمهيد ١٧/٧).

(٤) الحكم بن أبان العدني - أبو عيسى - صدوق له أوهام، مات سنة ١٥٤هـ (التقريب ص: ١٧٤ رقم: ١٤٣٨).

الأرض: ولا الضالين. قالت الملائكة: آمين، فإذا وافقت آمين أهل الأرض آمين أهل السماء، غفر لأهل الأرض ما تقدّم من ذنوبهم، وكل ما ذكرنا قد قيل فيما وصفنا، وفيما قالوه من ذلك نظر، وبالله عصمتنا وتوفيقنا، وفي هذا الحديث أيضاً دليل على أن أعمال البر تغفر بها الذنوب، وفي قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1]، كفاية، وقد مضى القول في هذا المعنى مستوعباً في باب زيد بن أسلم[2]، من كتابنا هذا[3].

وبعد هذا المثال التوضيحي لمنهج الحافظ ابن عبدالبر في شرح أحاديث الموطأ، نورد فيما يلي: مميّزات كتاب «التمهيد».

مميّزات كتاب التمهيد:

بعد هذا العرض والدراسة لمنهج الحافظ ابن عبدالبر في كتابه «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» نورد فيما يلي ما تميّز به هذا الكتاب من الخصائص:

١ ـ يعتبر «التمهيد» مسنداً لشيوخ الإمام مالك مخرّجاً من الموطأ.

٢ ـ أغلب الأحاديث التي استشهد بها ابن عبدالبر يذكرها بأسانيدها.

٣ ـ أكثر إحالات ابن عبدالبر في كتابه التمهيد، هي إلى التمهيد نفسه، وأحيان يحيل إلى كتاب الاستذكار، وجامع بيان العلم وفضله، والاستيعاب.

٤ ـ الوحدة الموضوعية للمسائل الفقهية، مفقودة في «التمهيد»، وذلك نتيجة ترتيب المؤلف لأحاديث الموطأ على أسماء شيوخ الإمام مالك.

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) زيد بن أسلم العدوي، أبو عبدالله، وأبو أسامة، المدني، ثقة عالم وكان يرسل، روى عن جابر بن عبدالله وأنس وسلمة بن الأكوع وابن عمر، مات سنة ١٣٦هـ (طبقات الحفاظ ص: ٦٠ رقم: ١١٦).

(٣) التمهيد ٧/٧ ـ ١٨.

٥ ـ لم يتوسّع ابن عبدالبر في شرح بلاغات ومرسلات مالك، واكتفى بوصلها وتوضيح مبهمها.

٤ ـ مصادر ابن عبدالبر في كتابه «التمهيد»:

تنوّعت مصادر ابن عبدالبر في شتى فنون الحديث والفقه واللغة حتى أصبح من المتعذر حصرها، خاصة وأن ابن عبدالبر كثيراً ما يذكر اسم المصنّف ولا يذكر اسم الكتاب الذي أخذ منه.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن ابن عبدالبر قلما يأخذ من مصنّفات أقرانه ومعاصريه، وعليه فإن مصادره أصيلة ترجع في غالبها إلى ما قبل القرن الرابع، ولما كانت هذه الدراسة مخصّصة للحديث وعلومه، فقد اعتنيت أكثر بإبراز مصادره الحديثية، وفيما يلي أشهرها.

م	العنوان واسم المؤلف	ورد ذكره في صفحة
١	القرآن الكريم.	
٢	أخبار أبي طالب وبنيه لعلي بن محمد المدائني.	٦٦/٢.
٣	كتاب الأشربة لمحمد بن القاسم بن شعبان.	١٦٦/٥.
٤	الاستذكار لابن عبدالبر.	٢٣٤/٤.
٥	أصل سماع والده.	٢٢٩/٤ وغيرها.
٦	كتاب الأصول للإمام الشافعي.	٨/٢.
٧	الإملاء لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم.	١٤٣/٥.
٨	بيوتات العرب للهيثم بن عدي.	١٧٤/١.
٩	تاريخ أحمد بن زهير بن حرب.	٣٦٦/١.

م	العنوان واسم المؤلف	ورد ذكره في صفحة
١٠	تاريخ أبي العباس محمد بن إسحاق السّراج .	١٣٧/٥.
١١	تاريخ الرجال للإمام الطبري.	١٠٤/٤.
١٢	التاريخ الكبير للإمام البخاري.	٤/ ـ ٤٨/٥.
١٣	التاريخ الكبير لمحمد بن عمرو العقيلي.	٤٤/٥.
١٤	التاريخ الكبير للواقدي محمد بن عمر.	٩٥/١.
١٥	تفسير ابن جرير الطبري.	٢٠٢/٥.
١٦	تفسير غريب الموطأ لعبدالملك بن حبيب.	١٣٨/٥.
١٧	كتاب التميز للإمام مسلم.	٣٦٦/١.
١٨	تهذيب الآثار للإمام الطحاوي.	٩٥/١.
١٩	جامع بيان العلم لابن عبدالبر.	٢٦٧/٤.
٢٠	جامع الفقه لعبدالله بن مسلم بن قتيبة.	٣٢٥/٢.
٢١	حديث مالك لإسماعيل القاضي.	٢١٢/٤.
٢٢	الاختلاف لابن خويز منداد.	١٥٦/٤.
٢٣	الدماء: للإمام الشافعي.	١٤٢/٥.
٢٤	ديوان ابن الرومي.	١٧٥/٥.
٢٥	ديوان جرير.	١٤٦/٥.
٢٦	ديوان حسان بن ثابت.	١/٥.
٢٧	ديوان عنترة بن شداد العبسي.	١/٥.

م	العنوان واسم المؤلف.	ورد ذكره في صفحة.
٢٨	ديوان الفرزدق.	١٤٥/٥.
٢٩	ديوان النابغة الذبياني.	١٤٦/٥.
٣٠	الردّة: ليعقوب بن محمد الزهري.	٣١٥/٥.
٣١	السنن لأبي داود السجستاني.	٩٤/١ وغيرها.
٣٢	السنن للزبير بن بكار.	١٧٨/٢.
٣٣	السنن لسعيد بن منصور.	٢٣٨/٥.
٣٤	السنن للنسائي أحمد بن شعيب النسائي.	٢٢/٤ وغيرها.
٣٥	السير لمحمد بن الحسن.	٣١٠/٥.
٣٦	شرح معاني الآثار للطحاوي.	١٠٦/١.
٣٧	علل الترمذي محمد بن عيسى.	٣٠/٤.
٣٨	العلل للدارقطني علي بن عمر.	٩٥/١ وغيرها.
٣٩	علم الفقه لداود بن علي الظاهري.	١٠٧/١ وغيرها.
٤٠	العين: للخليل بن أحمد.	٢٠٧/٢ ـ ٢٧٤.
٤١	كتاب في الصحابة لأبي جعفر العقيلي.	٣٩٤/١.
٤٢	صحيح البخاري محمد بن إسماعيل.	١٩/٢ وغيرها.
٤٣	صحيح مسلم بن الحجاج.	في أكثر من موضع.
٤٤	طبقات ابن سعد كاتب الواقدي.	٥٧/٧.
٤٥	الكتاب لسيبويه في اللغة.	١٤٤/٥.
٤٦	الكتاب للفرّاء في اللغة.	١٤٤/٥.

م.	العنوان واسم المؤلف.	ورد ذكره في صفحة.
٤٧	الكفارات للإمام الشافعي.	٤/٩٩.
٤٨	المبسوط لإسماعيل بن إسحاق.	٥/١٩٩.
٤٩	المجالس لعبدالله بن وهب.	٣/٢٤٧.
٥٠	المجتنى لقاسم بن أصبغ.	٢/١٨٤.
٥١	المختصر الكبير لعبدالله بن عبدالحكم.	٤/٣٢٩.
٥٢	المختصر الكبير ليوسف البويطي.	٣/١٢٨.
٥٣	المدونة لسحنون بن عبدالسلام.	٣/١٢٧.
٥٤	المستخرجة لمحمد بن أحمد العتبي.	٥/١٥٠.
٥٥	مسند أحمد بن حنبل.	٥/٣٠٥.
٥٦	مسند أسد بن موسى.	٥/٣٠٢.
٥٧	مسند حديث مالك لخلف بن قاسم.	٤/٨٤.
٥٨	مسند الحميدي.	٥/٥٧.
٥٩	مسند سعيد بن عثمان بن السكن.	٥/٩.
٦٠	المسند الكبير لأحمد بن عمرو البزار.	٢/١٣٧.
٦١	مسند محمد بن سنجز.	٥/٦.
٦٢	مسند مسدّد بن مسرهد.	٥/٤٨.
٦٣	المعرفة للحسن بن علي الحلواني.	١/١١٨.
٦٤	مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة.	٤/١.
٦٥	مصنّف عبدالرزاق بن همام.	١/١٠٩.

م.	العنوان واسم المؤلف.	ورد ذكره في صفحة.
٦٦	مصنّف قاسم بن أصبغ.	٤/٨١.
٦٧	مصنّف وكيع بن الجرّاح.	١/١٧٥.
٦٨	الموجز لأحمد بن محمد الداودي.	٧/٦٥.
٦٩	موطأ أبو مصعب أحمد بن أبي بكر.	٥/١٨٣.
٧٠	موطأ إسماعيل العجلي.	١/١١٥.
٧١	موطأ ابن بكير.	٥/١٨٣.
٧٢	موطأ ابن غفير.	٥/١٨٣.
٧٣	موطأ بن نافع.	٥/١٦٩.
٧٤	موطأ بشير بن عمر الزهراني.	١/٢٢٦.
٧٥	موطأ زيد بن الحباب.	١/٣٠٠.
٧٦	موطأ عبدالرحمٰن بن القاسم.	٥/١٦٩.
٧٧	موطأ عبدالله بن المبارك.	١/٢٩٥.
٧٨	موطأ القعنبي عبدالله بن مسلمة.	٥/١٦٩.
٧٩	موطأ عبدالله بن وهب.	٥/١٦٩.
٨٠	موطأ عتيق بن يعقوب الزبيري.	١/٧١.
٨١	موطأ محمد بن إدريس الشافعي.	١/٧٧.
٨٢	موطأ محمد بن الحسن الشيباني.	٥/١٦٤.
٨٣	موطأ معن بن عيسى بن دينار.	٤/١٧٧.
٨٤	موطأ مصعب بن عبدالله بن ثابت.	٥/١٨٣.

م	العنوان واسم المؤلف.	ورد ذكره في صفحة.
٨٥	موطأ مطرّف بن عبدالله .	١٦٩/٥.
٨٦	موطأ يحيى بن سعيد القطان.	٣١٨/١.
٨٧	موطأ يحيى بن يحيى الليثي .	اعتمد روايته في التمهيد.
٨٨	الانتفاع بجلود الميتة لمحمد بن نصر المروزي.	٨٢/٢.
٨٩	نسب قريش لمصعب الزبيري .	/٨٤.
٩٠	الواضحة لعبدالله بن حبيب.	٩٨/٥.

هذا وقد لقي كتاب «التمهيد» من الاستحسان والقبول عند العلماء، ما لم يحظ به غيره، حيث يعدّ من أحسن الكتب التي عنيت بشرح الموطأ للإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ.

قال أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي: «التمهيد لصاحبنا أبي عمر، لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً، فكيف أحسن منه»[1].



(١) بغية الملتمس للضبي ص: ١٧٤.



المبحث الثاني: كتاب: تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أو «التقصي لحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك»

للحافظ ابن عبدالبر أيضاً، وهو عبارة عن مدخل لكتاب التمهيد، جمع فيه المؤلّف أحاديث الموطأ ورتّبها على حسب شيوخ الإمام مالك ـ رحمه الله ـ.

قال ابن عبدالبر في مقدمة «التقصي»:

«فإننا لما ذكرنا في كتاب التمهيد من معاني السنن ووجوهها واتساع مذاهب العلماء فيها، وامتدّ بذلك الشرح وطال عليه الاستشهاد، وعلمنا أن أكثر الناس قد قصرت همّته وضعفت عنايته، ودعاه إلى القناعة بأقل ذلك، طلب راحته أو ضيق معيشته: رأينا أن نجرّد تلك السنن التي جعلناها أصل ذلك الكتاب، وهي السنن الثابتة بنقل الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ، لاختياره لها وانتقاده إياها، واجتهاده فيها، واعتماده عليها في موطئه ... وجرّدنا في هذا الكتاب كل ما في الموطأ من حديث النبي ﷺ مسندة ومرسلة، ومتصلة ومنقطعة، إذ كل ذلك عند مالك وأصحابه ومن سلك سبيلهم حجّة توجب العمل.

وجعلناه مبوّباً على حروف المعجم في أسماء شيوخ مالك ـ رحمه الله ـ ليسهل طلبه ويقرب تناوله. وقدّمت المتصل المسند، ثم ما يليه على رتبه

حتى يفضي ذلك إلى ذكر المرسل والمقطوع والبلاغ لتكمل الفائدة باستيعاب ما في الموطأ من حديث الرسول ﷺ، وجعلته مدخلاً سهلاً إلى كتاب التمهيد، قريباً منقاداً إلى الحفظ مخلّصاً من التخليط، ملخّصاً مهذّباً مقرّباً، فمن أشكل عليه شيء مما فيه، من علّة إسناد، أو معنى مستغلق أو وجه غير متّضح فليقصد إلى بابه من كتاب التمهيد يجده واضحاً مبسوطاً. ولم يخل هذا الكتاب من التنبيه على اختلاف رواة مالك فيما أرسلوه من ذلك أو وصلوه، على طريق الاختصار ومجانبة الإكثار»[1].

هذا ويمكن تلخيص منهج ابن عبدالبر في كتابه التقصي في الآتي:

- يعرّف في أول كل باب بشيخ الإمام مالك فيذكر اسمه ونسبه وكنيته وممّن سمع.

- يرتّب حديث شيوخ مالك بحسب شيوخهم.

- بعد ذلك يذكر أحاديث من عرف بكنيته من شيوخ مالك.

- بعد أن يذكر الأحاديث المرفوعة أو ما لها حكم المرفوع، يأتي بالأحاديث المرسلة والبلاغات.

- بعد الفراغ من ذكر الأحاديث الواردة في رواية يحيى بن يحيى الليثي، يأتي بالزيادات التي أوردها رواة الموطأ والتي ليست في رواية يحيى بن يحيى. وقد رتّب هذه الزيادات أيضاً على حسب شيوخ مالك.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن هذا الكتاب لا يعتبر تلخيصاً أو اختصاراً لكتاب التمهيد، فهو كتاب مستقل يحتوي على الأحاديث، خال من كل شرح لمتونها، عدا ما يذكره المؤلف من اختلاف الروايات.

(١) التقصي، (ص: ٩ ـ ١٠ ـ ١١) (مكتبة القدسي ـ القاهرة ١٣٥٠هـ).

وتوجد نسخ مخطوطة من «التقصي» في كثير من مكتبات العالم تذكر منها على سبيل المثال:

- نسخة في خزانة شيخ الإسلام عارف حكمت في المدينة المنورة، وهي التي اعتمدت عليها مكتبة القدسي في تحقيق هذا الكتاب وطباعته.

- نسخة أخرى في دار الكتب المصرية ـ بالقاهرة.

وقد أشرفت إدارة الطباعة المنيرية على نشره سنة ١٣٤٣هـ.

وطبع أيضاً في مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ.





المبحث الثالث: كتاب: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار

للحافظ ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ وهو ثاني شروح ابن عبدالبر على موطأ مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ بعد كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

وهو أكبر حجماً من التمهيد، ذلك أن المؤلف ـ رحمه الله ـ أورد فيه الأحاديث المتصلة والمرسلة والبلاغات والآثار، ولم يستثن شيئاً من «الموطأ» فهو شامل لكل ما في الموطأ.

وقد نهج ابن عبدالبر في كتابه هذا طريقة غير التي نهجها في كتابه التمهيد سواء من حيث الترتيب أو الشرح.

منهج الحافظ ابن عبدالبر في كتابه الاستذكار:

نهج ابن عبدالبر في كتابه الاستذكار الخطوات التالية:

١ ـ يبدأ بذكر أحاديث الباب الواردة في الموطأ ويعقبها بالأحاديث الواردة في معنى أحاديث الباب، وغالباً ما يذكرها بدون الأسانيد.

٢ ـ يتكلم على إسناد الحديث بإيجاز، ويحيل على كتاب التمهيد لمن أراد مزيد توضيح.

٣ ـ يشرح الألفاظ الغريبة والغامضة، شرحاً لغوياً وافياً ثم ينبّه على مدلولها في الحديث، ويستشهد لذلك كله بالآيات القرآنية والأحاديث النبويّة والأبيات الشعرية وأقوال فطاحل اللغة العربية.

٤ ـ يورد الأقوال المختلفة لأصحاب مالك في المسألة المستنبطة من الحديث مع إبداء رأيه في ذلك.

٥ ـ يذكر بعد ذلك أقوال الفقهاء والعلماء في تلك المسألة، حيث يورد دليل كل فريق ولو كان غير قوي، ويعقّب على الأدلة الضعيفة بما يوضح وهنها. وكما أنه يذكر ما يؤيد مذهبه من أقوال الصحابة والتابعين، فهو أيضاً يذكر ما يدعم رأي مخالفيه، يفعل ذلك بكل نزاهة ومن غير تعصب.

٦ ـ يخالف أحياناً رأي أصحابه من المالكية في بعض المسائل التي يتبيّن له فيها أن الحق مع غيرهم.

بعد هذا العرض الموجز لعناصر منهج ابن عبدالبر في كتاب الاستذكار نورد بعض الخصائص التي تميّز بها هذا الكتاب وهي كالآتي:

١ ـ لم يستثن ابن عبدالبر شيئاً من الموطأ حيث ذكر الأحاديث المتصلة والمرسلة والبلاغات والآثار وأقوال مالك وفتاواه.

٢ ـ عند الاستشهاد بالأحاديث يذكرها دون أسانيد ويحيل من أراد مزيد توضيح، على «التمهيد».

٣ ـ اتبع ابن عبدالبر في كتابه الاستذكار نفس ترتيب الموطأ بالنسبة للأبواب الفقهية، وعليه فإنه يشرح أحاديث الباب الواحد بما يضمن وحدة الموضوع.

٤ ـ يحيل كثيراً على كتاب التمهيد خاصة فيما يتعلق بالأسانيد.

والجدير بالذكر أن ابن عبدالبر ألّف «التمهيد» أولاً ثم كتب «الاستيعاب»، وذلك بناءً على طلب جماعة من أهل العلم أن يرتّب لهم كتاب «التمهيد» على أبواب الموطأ وطرح ما تكرر من الشواهد.

مثال توضيحي:

باب العمل في المسح على الخفّين[1]:

بدأ الحافظ ابن عبدالبر بذكر أحاديث الباب وهي:

١ ـ مالك عن هشام بن عروة: أنه رأى أباه يمسح على الخفّين قال: وكان لا يزيد إذا مسح على الخفّين أن يمسح ظهورهما ولا يمسح بطونهما.

٢ ـ مالك أنه سأل ابن شهاب عن المسح عن الخفّين: كيف هو؟ فأدخل ابن شهاب إحدى يديه تحت الخُف والأخرى فوقه، ثم أمرّهما. قال مالك: وقول ابن شهاب أحبّ ما سمعت إليّ في ذلك.

قال ابن عبدالبر:

ولم يختلف قول مالك أن المسح على الخفّين على حسب ما وصف ابن شهاب، إلا أنه لا يرى الإعادة على من اقتصر على مسح ظهور الخفّين إلا في الوقت. ومن فعل ذلك وذكر في الوقت مسح أعلاهما وأسفلهما ثم أعاد تلك الصلاة في الوقت وهو قول ابن القاسم وجمهور أصحاب مالك، إلا ابن نافع فإنه رأى الإعادة على من فعل ذلك في الوقت وبعده.

وكلهم يقول: فمن مسح بطونهما دون ظهورهما ـ يعنون أسفلهما دون أعلاهما ـ أعاد أبداً إلا أشهب[2]، فإنه لم يرَ الإعادة من ذلك أيضاً إلا في الوقت. وقد روي عن بعض أصحاب الشافعي أنه أجاز أن يمسح على باطن

(١) الاستذكار ٢٨٤/١ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦. والموطأ كتاب الطهارة ـ باب العمل في المسح على الخفين ص٣٨/١ حديث رقم: ٤٥.

(٢) أشهب بن عبدالعزيز بن داود بن إبراهيم أبو عمر القيسي العامري المصري، من أصحاب مالك، ثقة فقيه مات سنة ٢٠٤هـ (الديباج المذهب ص: ١٠٠).

الخفّ دون ظاهره. وأما الشافعي فقد نصّ أنه لا يجزئه المسح على أسفل الخفّ، ويجزئه على ظهره فقط، ويستحب ألا يقصر أحد عن ظهور الخفّين وبطونهما معاً، كقول مالك وابن شهاب، وهو قول عبدالله بن عمر. ذكر عبدالرزاق عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر: أنه كان يمسح خفّيه وبطونهما، ورواه الثوري عن ابن جريج، ورواه ابن وهب عن أسامة بن زيد[1]، عن نافع عن ابن عمر: انه كان يمسح أعلاهما وأسفلهما، وذكر الزبيدي عن الزهري قال: إنما هما بمنزلة رجليك ما لم تخلعهما.

بعد أن ذكر ابن عبدالبر الآراء المختلفة للفقهاء، وما أثر عن الصحابة في المسألة، ينتقل إلى ذكر الأدلّة والحجج لكل واحد من أصحاب المذاهب:

قال: والحجة لمالك والشافعي في مسح ظهور الخفّين وبطونهما معا:

حديث المغيرة بن شعبة[2]، عن النبي ﷺ «أنه كان يمسح أعلى الخفّ وأسفله»[3]، رواه ثور بن زيد[4]، عن رجاء بن حيوة، عن كاتب المغيرة[5]، عن المغيرة، ولم يسمعه ثور من رجاء، وقد بيّنا علّته في التمهيد.

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، الأمير، أبو محمد وأبو زيد، صحابي مشهور، مات سنة ٥٤هـ وهو ابن ٧٥ بالمدينة (تقريب التهذيب ص: ٩٨ رقم: ٣١٦).

(٢) المغيرة بن شعبة بن مسعود بن معتّب الثقفي، صحابي مشهور، أسلم قبل الحديبية، وولي إمرة البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح (تقريب التهذيب ص: ٥٤٣ رقم: ٦٨٤٠).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٢٩٠/١.

(٤) ثور بن زيد الديلي ـ شيخ مالك ـ ثقة اتهمه محمد بن البرقي بالقدر، وكأنه شبّه عليه بثورة بن يزيد ـ وثّقه ابن معين. وقال أحمد: صالح الحديث (ميزان الاعتدال ٣٧٣/١ رقم: ١٤٠٤).

(٥) هو ورّاد الثقفي أبو سعيد أو أبو الورد الكوفي كاتب المغيرة ومولاه، ثقة من الثالثة أخرج له الجماعة (التقريب: ص:٥٨٠ رقم: ٧٤٠١).

وقال أبو حنيفة وأصحاب الثوري: يمسح ظاهر الخفّين دون بطونهما، وبه قال أحمد وإسحاق وداود، وهو قول علي بن أبي طالب وقيس بن سعد بن عبادة[1]، وعروة بن الزبير[2]، والحسن البصري، وعطاء بن أبي وضاح[3]، وجماعة.

والحجّة لهم ما ذكر أبو دلود قال: حدّثنا محمد بن العلاء قال: حدثنا حفص بن غيّاث، عن الأعمش عن أبي إسحاق، عن عبد خير[4]، عن علي قال: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخفّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفّيه»[5].

وروى ابن أبي الزناد[6]، عن أبيه عن عروة بن الزبير عن المغيرة بن شعبة قال: «رأيت رسول الله ﷺ يمسح ظهور الخفّين»[7].

وهذان الحديثان يدلان على بطلان قول أشهب ومن تابعه أنه يجوز الاقتصار بالمسح على باطن الخفّ.

---

(١) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ـ صحابي جليل مات سنة ستين تقريباً، وقيل بعد ذلك (تقريب التهذيب ص: ٤٥٧ رقم: ٥٥٧٦).

(٢) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ـ أبو عبدالله المدني ـ ثقة فقيه مشهور مات سنة ٩٤هـ ومولده في أوائل خلافة عثمان (تقريب التهذيب ص: ٣٨٩ رقم: ٤٥٦١).

(٣) هكذا في الأصل ولعله: عطاء بن أبي رباح القرشي (انظر تقريب التهذيب ص: ٣٩١ رقم: ٤٥٩١).

(٤) عبد خير بن يزيد الهمداني، أبو عمارة الكوفي ـ مخضرم ـ ثقة ـ لم تصح له صحبة (تقريب التهذيب ص: ٣٣٥ رقم: ٣٧٨١).

(٥) انظر السنن الكبرى للبيهقي ٢٩٢/١.

(٦) هو عبدالرحمٰن بن أبي الزناد ـ المدني ـ مولى قريش ـ صدوق ـ تغيّر حفظه لما قدم بغداد وكان فقيهاً مات سنة ١٧٤هـ وله أربع وسبعون سنة (تقريب التهذيب ص: ٣٤٠ رقم: ٣٨٦١).

(٧) انظر البخاري كتاب الوضوء، باب المسح على الخفين، حديث رقم: ٢٠٣، والسنن الكبرى للبيهقي ٢٩١/١.

الترجيح:

ومن جهة النظر: ظاهر الخفّ في حكم الخفّ، وباطنه في حكم النعل، ولا يجوز المسح على النعلين، وأيضاً فإن المحرم لا فدية عليه في النعلين يلبسهما، ولا فيما له أسفل ولا ظهر له من الخفّ. ولو كان لخفّ المحرم ظهر قدم، ولم يكن له أسفل لزمته الفدية. فدلّ على أن المراعى في الخفّ ما يستر ظهور القدمين وهو المراعى في المسح، والله أعلم.

بهذه النظر التحليلية العميقة للمسألة من جهة النظر والنقل أبدى الحافظ ابن عبدالبر رأيه في مسألة المسح على الخفّين. ورغم كونه من علماء المالكية إلا أنه لم يأخذ برأي مالك وأصحابه في المسألة لما ترجّح لديه من الأدلة في ذلك.

هذا وتوجد عدة نسخ مخطوطة من الاستذكار في مكتبات العالم نذكر منها على الخصوص:

- نسخة دار الكتب المصرية ورقمها (٢٤) حديث.
- نسخة الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم (٩٨٥٣).

وقد طبع كتاب «الاستذكار» بمصر تحت رعاية لجنة إحياء التراث الإسلامي سنة ١٩٧٠م، ثم قام الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي بتحقيقه والتعليق عليه، وطبعه بدار قتيبة للطباعة والنشر بدمشق، وبيروت، وقد استفدت كثيراً منها.

بعد هذا العرض لمنهج الحافظ ابن عبدالبر في مؤلفاته حول موطأ الإمام مالك ـ رحمه الله ـ أورد في ختام هذا المبحث مقارنة عامة بين كتاب «التمهيد» وكتاب الاستذكار باعتبارهما أوسع وأشمل ما كتب في شرح الموطأ.

الموضوع	التمهيد	الاستذكار
مادة الكتاب.	خصّصه المؤلف لشرح أحاديث الموطأ، وكل ما يمكن إضافته إليه ﷺ، دون التطرّق لأقوال الصحابة والتابعين وفتاوى الإمام مالك ـ رحمه الله ـ.	تناول فيه المؤلف كل ما حواه الموطأ من أحاديث مسندة ومرسلة وبلاغات، وأقوال الصحابة والتابعين وفتاوى الإمام مالك ـ رحمه الله ـ.
خصائص الشرح.	أطال فيه الكلام على الأسانيد حيث يعرّف بشيخ مالك ـ تعريفاً وافياً، وباقي رجال السند، ثم يشرح المتن شرحاً ضافياً.	لا يركّز كثيراً على التعريف برجال السند، في حين يتوسع كثيراً في شرح الأحاديث والمسائل ذات العلاقة بموضوع الباب.
الجرح والتعديل.	اعتنى فيه كثيراً بتتبّع أحوال الرواة، جرحاً وتعديلاً وفق مصطلحات المحدِّثين، وأخرى خاصة به.	يكشف عن أحوال الرواة ومراتبهم من حيث قبول رواياتهم أو ردّها، بطريقة موجزة، وكثيراً ما يحيل على كتاب التمهيد.
الإحالات.	يحيل غالباً على كتاب التمهيد نفسه أو على كتبه الأخرى كجامع بيان العلم، والاستيعاب، ومختصر التمييز، ولم يحل على الاستذكار سوى مرة واحدة في ٤/٢٣٤.	يحيل على «الاستذكار» كثيراً خاصة في ما يتعلق بالمسائل التي تتكرّر. ويحيل كذلك على «التمهيد» لاستيفاء الأسانيد.
الأحاديث المستشهد بها.	يذكرها غالباً بأسانيدها.	يذكرها من غير أسانيد ويحيل عند الحاجة على التمهيد.
الوحدة الموضوعية.	ترتيب أحاديث التمهيد على شيوخ مالك جعل المؤلف يشرح أحاديث المسألة الواحدة في عدة مواضع، الأمر الذي جعل الوحدة الموضوعية مفقودة رغم محاولة المؤلف ربط أجزاء الموضوع الواحد بالإحالات.	محافظة المؤلف فيه على ترتيب الموطأ، جعله يحتفظ بالوحدة الموضوعية، حيث يشرح المؤلف أحاديث الباب الواحد في موضع واحد.

القيمة العلمية لشروح ابن عبدالبر على الموطأ:

لقد أبرزت هذه المقارنة بين كتابي «التمهيد» و«الاستذكار» للحافظ ابن عبدالبر، خصائص الكتابين ومميّزاتهما، وسعة علم المؤلف وقدرته على توضيف مواهبه المتعدّدة في خدمة موطأ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ.

والحقيقة أن القيمة العلمية المتميّزة لشروح ابن عبدالبر على الموطأ، تظهر بوضوح من خلال القبول الواسع النطاق لها، والاقتباسات الكثيرة، للعلماء منها، سواء المغاربة منهم أو المشارقة. وللوقوف على هذه الحقيقة، نورد في هذا المبحث:

ـ نماذج لاقتباسات العلماء المشارقة من شروح ابن عبدالبر على الموطأ.

ـ مقارنة بين كتاب «الاستذكار» ابن عبدالبر و«شرح الزرقاني على الموطأ».

ـ منزلة ابن عبدالبر العلمية وثناء العلماء عليه:

١ ـ نماذج لاقتباسات العلماء المشارقة من شروح ابن عبدالبر على الموطأ خاصة منهم:

ـ الإمام النووي[1]، في شرحه لصحيح مسلم.

ـ الإمام ابن حجر في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

ـ الإمام السيوطي[2]، في كتابه تنوير الحوالك شرح موطأ مالك.

---

(١) الإمام الحافظ محيّ الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي ولد سنة ٦٣١هـ ـ سمع من عبدالعزيز بن محمد الأنصاري وزين الدين خلف بن يوسف وغيرهما ـ صنّف التصانيف النافعة في الحديث والفقه وغيرها كشرح مسلم والأذكار ورياض الصالحين، مات سنة ٦٧٦هـ (طبقات الحفاظ ص ٥١٣ رقم: ١١٢٨).

(٢) أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمٰن بن الكمال بن أبي بكر الخضيري السيوطي الشافعي ولد سنة ٨٤٩هـ ـ ابتدأ اشتغاله بالعلم سنة ٨٦٤هـ فقرأ وسمع ولازم الشيوخ=

- مولانا محمد زكريا الكاندهلوي[1]، في كتابه أوجز المسالك إلى موطأ مالك.

- نماذج من الاقتباسات الواردة في شرح صحيح مسلم للإمام النووي:

أ ـ عند شرحه لحديث جابر بن عبدالله: «أن رسول الله ﷺ صلى على أصحمة النجاشي فكبر عليه أربعاً».

قال: قال ابن عبدالبر: وانعقد الإجماع بعد ذلك على أربع، وأجمع الفقهاء وأهل الفتوى بالأمصار على أربع، على ما جاء في الأحاديث الصحاح، وما سوى ذلك عندهم شذوذ لا يلتفت إليه، قال: ولا نعلم أحداً من فقهاء الأمصار يخمّس إلا ابن أبي ليلى[2].

ب ـ عند شرحه لحديث عائشة أنها قالت: «استفتت أم حبيبة بنت جحش[3]، رسول الله ﷺ فقالت: إني أستحاض، فقال: «إنما ذلك عرق، فاغتسلي ثم صلي»، فكانت تغتسل عند كل صلاة».

قال: قال أبو عمر بن عبدالبر رحمه الله تعالى: قيل إن بنات جحش الثلاث زينب وأم حبيبة وحمنة زوج طلحة بن عبيدالله كنّ يستحضن كلهنّ، وقيل إنه لم يستحض منهنّ إلا أم حبيبة.

= منهم سراج الدين البلقيني ومحمد بن سليمان الرومي الحنفي وجلال الدين المحلي وغيرهم ألف في أكثر الفنون ـ توفي رحمه الله سنة ٩١١هـ تدريب الراوي ص:١١ لاهور، (دار نشر الكتب الإسلامية).

(١) الإمام العلامة مولانا محمد زكريا بن محمد يحيى بن إسماعيل الكاندهلوي ولد سنة ١٣١٥هـ/ فبراير ١٨٩٨م ـ وتوفي رحمه الله بعد سنة ١٣٨٩هـ (مقدمة أوجز المسالك).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ـ كتاب الجنائز ـ باب الصلاة على القبر ٧/٢٣ ـ ٢٤. والبخاري كتاب الجنائز ـ باب التكبير على الجنازة أربعاً حديث رقم: ١٣٣٤.

(٣) قال ابن سعد: حبيبة وهي أم حبيب: بنت جحش بن رئاب وأمها أمية بنت عبد المطلب، وحبيبة هي المستحاضة، وبعض أصحاب الحديث يقلّب إسمها فيقول أم حبيبة، وإنما هي أم حبيب واسمها حبيبة ولم تلد لعبدالرحمن بن عوف شيئاً (الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٢٤٢). والحديث أخرجه مسلم في كتاب الحيض ـ باب غسل المستحاضة رقم: ٣٣٤ ص: ١/٢٦٣.

وبعد أن ذكر النووي أن أهل السير يقولون أختها حمنة بنت جحش قال: قال ابن عبدالبر: الصحيح أنهما كانتا تستحاضان[1].

جـ ـ عند شرحه لحديث أنس عن النبي ﷺ قال: «دخلت الجنّة فسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك»[2].

قال: قال ابن عبدالبر: «أم سليم هي الرميصاء والغميصاء، والمشهور فيه الغين، وأختها أم حرام الرميصاء، ومعناهما متقارب، والرمص والغمص قذى يابس وغير يابس، يكون في أطراف العين، وهذا منقبة ظاهرة لأم سليم»[3].

- نماذج من الاقتباسات الواردة في كتاب فتح الباري لابن حجر العسقلاني:

أ ـ عند شرحه لحديث البخاري قال: حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن الأعرج[4]، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره، ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمينّ بها بين أكتافكم»[5].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ـ كتاب الحيض ـ باب غسل المستحاضة وصلاتها ٤/٢٣ ـ ٢٤.

(٢) أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية ـ والدة أنس بن مالك، يقال اسمها سهلة أو رميلة أو رميثة وهي الغميصاء أو الرميصاء، اشتهرت بكنيتها وكانت من الصحابيات الفاضلات ـ ماتت في خلافة عثمان (تقريب التهذيب ص: ٧٥٧ رقم: ٨٧٣٧). والحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ـ باب فضائل أم سليم رقم: ٢٤٥٦ ص: ٤/١٩٠٨.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١١ (كتاب فضائل الصحابة).

(٤) عبدالرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني مولى ربيعة بن الحارث، ثقة ثبت عالم مات سنة ١١٧هـ (تقريب التهذيب ص: ٣٥٢ رقم: ٤٠٣٣).

(٥) البخاري كتاب المظالم ـ باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره، حديث رقم: ٢٤٦٣.

قال ابن حجر: قوله (باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره) كذا لأبي ذر بالتنوين على إفراد الخشبة، ولغيره بصيغة الجمع وهو الذي في حديث الباب، قال ابن عبدالبر: روي اللفظان في «الموطأ» والمعنى واحد لأن المراد بالواحد الجنس.

قال ابن حجر: وقال ابن أبي حفصة[1]، عن الزهري عن حميد بن عبدالرحمٰن بدل الأعرج والمحفوظ عن الزهري عن الأعرج وبذلك جزم ابن عبدالبر أيضاً، ثم أشار إلى أنه يحتمل أن يكون عند الزهري عن الجميع.

قوله: (بين أكتافكم) قال ابن عبدالبر: رويناه في الموطأ بالمثناة وبالنون والأكتاف بالنون جمع كنف بفتحها وهو الجانب[2].

ب ـ عند شرحه لحديث عبدالله بن مسلمة قال: «قرأت على مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبدالعزيز أخّر الصلاة يوماً، فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخّر الصلاة يوماً وهو بالعراق فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري[3]، فقال: ما هذا يا مغيرة؟ أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى، فصلى رسول الله ﷺ... الحديث»[4].

قال ابن حجر : قال ابن عبدالبر: هذا السياق منقطع عند جماعة من العلماء لأن، ابن شهاب لم يقل حضرت مراجعة عروة لعمر، وعروة لم يقل حدثني بشير[5]، لكن الاعتبار عند الجمهور بثبوت اللقاء والمجالسة لا بالصيغ[6].

---

(١) هو محمد بن أبي حفصة: ميسرة، أبو سلمة البصري، صدوق يخطئ من السابعة (تقريب التهذيب ص: ٤٧٤ رقم: ٥٨٢٦) و(ميزان الاعتدال ٣/٥٢٥ رقم: ٧٤٢٩).

(٢) فتح الباري ٥/١١٠ ـ ١١١ (كتاب المظالم ـ باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره).

(٣) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري ـ أبو مسعود البدري ـ صحابي جليل مات قبل الأربعين وقيل بعدها (تقريب التهذيب ص: ٣٩٥ رقم: ٤٦٤٧).

(٤) صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة ـ باب مواقيت الصلاة وفضلها حديث رقم: ٥٢١.

(٥) هو بشير بن أبي مسعود الأنصاري، له رؤية، وقال العجلي: تابعي ثقة (التقريب ص: ١٢٥ رقم: ٧٢٠).

(٦) انظر فتح الباري ٢/٥.

جـ ـ عند شرحه لحديث أبي سعيد الخدري[1] ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال رسول الله ﷺ: **«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»**. قالوا: ثم من؟ قال: **«مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شرّه»**. قال ابن عبدالبر: «إنما أوردت هذه الأحاديث بذكر الشعب والجبل لأن ذلك في الأغلب يكون خالياً من الناس، فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في هذا المعنى»[2].

ـ نماذج من الاقتباسات الواردة في كتاب تنوير الحوالك للإمام السيوطي:

أ ـ عند شرحه لحديث مالك عن إسماعيل بن حكيم أن عطاء بن يسار[3]، أخبره أن رسول الله ﷺ كبّر في صلاة من الصلوات ثم أشار إليهم بيده أن امكثوا، فذهب ثم رجع وعلى جلده أثر الماء.

قال السيوطي: قال ابن عبدالبر «هذا مرسل وقد روي متصلاً من حديث أبي هريرة وأبي بكرة[4]»[5].

ب ـ عند تناوله لحديث مالك عن زيد بن أسلم أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: ما يحلّ لي من امرأتي وهي حائض، فقال رسول الله ﷺ: **«لتشدّ عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها»**.

---

(١) هوالصحابي الجليل سعد بن مالك (مرت ترجمته).

(٢) فتح الباري ٦/٦ ـ ٧ كتاب الجهاد ـ باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله حديث رقم:٢٧٨٦.

(٣) عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني، مولى ميمونة، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة مات سنة ٩٤هـ وقيل بعد ذلك (تقريب التهذيب ص: ٣٩٢ رقم: ٤٦٠٥).

(٤) أبو بكرة هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي، صحابي مشهور بكنيته وقيل اسمه مسروح، أسلم بالطائف، ثم نزل البصرة ومات بها سنة ٥١ أو ٥٢هـ (تقريب التهذيب ص: ٥٦٥ رقم: ٧١٨٠).

(٥) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للإمام السيوطي ٦٩/١ (باب إعادة الجنب الصلاة وغسله إذا صلى ولم يذكر وغسله ثوبه). (دار الفكر بيروت لبنان) وانظر الموطأ كتاب الطهارة، باب إعادة الجنب الصلاة، حديث رقم: ٧٩.

قال السيوطي:

قال ابن عبدالبر: لا أعلم أحداً روى هذا مسنداً بهذا اللفظ، ومعناه صحيح ثابت[1].

جـ ـ عن أبي أمامة[2]، أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرّم الله عليه الجنّة وأوجب له النار»، قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله، قال: «وإن كان قضيباً من إراك...» قالها ثلاث مرات.

قال السيوطي: قال ابن عبدالبز: أبو أمامة هذا ليس هو الباهلي بل هو الحارثي الأنصاري، قيل اسمه إياس بن ثعلبة، وقيل ثعلبة بن سهيل[3].

ـ نماذج من الاقتباسات الواردة في شرح الزرقاني[4]، على موطأ الإمام مالك:

أ ـ عند شرحه لحديث مالك عن عبدالله بن أبي بكر[5]، عن محمد بن عمرو بن حزم أنه سمع عروة بن الزبير يقول: دخلت على

(١) المصدر السابق ٧٧/١ (باب ما يحلّ للرجل من امرأته وهي حائض). والموطأ كتاب الطهارة باب ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض حديث رقم: ٩٣ ص: ٥٧/١.

(٢) أبو أمامة البلوي، حليف بني حارثة، اسمه إياس، وقيل: عبدالله بن ثعلبة، وقيل: ثعلبة بن عبدالله أو بن سهيل صحابي له أحاديث (تقريب التهذيب ص: ٦١٩ رقم: ٧٩٤٥).

(٣) تنوير الحوالك ٢٠٤/٢. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم، حديث رقم: ٢١٨.

(٤) هو العلامة الفقيه محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني، المتوفى سنة ١١٢٢هـ، وقد شرع في شرحه للموطأ في عاشر جمادى الأولى سنة ١١٠٩هـ (انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٧٧/٣).

(٥) هو عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن حزم الأنصاري، من بني مالك بن النجار، يكنى: أبا محمد، وكان من أهل العلم، ثقة، فقيهاً، محدثاً، مأموناً، حافظاً، توفي بالمدينة سنة ١٣٥هـ وهو ابن سبعين سنة. (انظر التمهيد لابن عبدالبر ١٥٥/١٧).

مروان بن الحكم[1]، فتذاكرنا ما يكون منه الوضوء فقال مروان: ومن مسّ الذكر الوضوء، فقال عروة: ما علمت هذا، فقال: مروان بن الحكم أخبرتني بسرة[2]، بنت صفوان أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مسّ أحدكم ذكره فليتوضأ»[3].

قال المؤلف وصحّف يحيى: (ابن محمد) فقال (عن محمد بن عمرو).

قال ابن عبدالبر: وهو خطأ منه بلا شك وليس الحديث لمحمد عند أحد من أهل الحديث، ولا رواه بوجه من الوجوه وقد حدّث به ابن وضّاح على الصحة. وفي قول عروة: (ما علمت هذا) قال ابن عبدالبر: هذا مع منزلته من العلم والفضل دليل على أن الجهل ببعض المعلومات لا يُدخل نقيصة على العالم، إذا كان عالماً بالسنن، إذ الإحاطة بجميع المعلومات لا سبيل إليها[4].

ب ـ عند تناوله لحديث مالك عن جعفر[5] بن محمد عن أبيه[6]، أن رسول الله ﷺ غُسّل في قميص.

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبدالملك الأموي، المدني، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين، ومات في سنة ٦٥هـ وله ثلاث أو إحدى وستون سنة، لا تثبت له صحبة (تقريب التهذيب ص: ٥٢٥ رقم: ٦٥٦٧).

(٢) بسرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى الأسدية، صحابية لها سابقة وهجرة، عاشت إلى خلافة معاوية. (التقريب ص: ٧٤٤ رقم: ٨٥٤٤).

(٣) الموطأ كتاب الطهارة ـ باب الوضوء من مسّ الذكر، حديث رقم: ٥٨ ص: ٤٢/١.

(٤) شرح الزرقاني على موطأ مالك ٨٧/١ (دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠١هـ/١٩٨١م). وانظر تعليق ابن عبدالبر على الحديث المذكور في (التمهيد ١٨٣/١٧).

(٥) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ـ أبو عبدالله ـ المعروف بالصادق، صدوق فقيه إمام، مات سنة ١٤٨هـ (تقريب التهذيب ص: ١٤١ رقم: ٩٥٠).

(٦) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ أبو جعفر الباقر ـ ثقة فاضل مات سنة بضع عشرة ومائة (التقريب ص: ٤٩٧ رقم: ٦١٥١).

قال المؤلف: قال ابن عبدالبر: أرسله رواة الموطأ إلا سعيد بن غفير فقال عن عائشة أن رسول الله ﷺ غُسّل في قميص، قال: وأسند في غير الموطأ عن جابر، وهو عن عائشة أصحّ، قال: وهو حديث مشهور عند العلماء وأهل السير والمغازي[(١)].

جـ ـ وعند شرحه لحديث مالك عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف[(٢)]، عن عبدالله ابن عباس عن خالد بن الوليد بن المغيرة[(٣)]، أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة[(٤)]، زوج النبي ﷺ فأتي بضب محنوذ فأهوى إليه رسول الله ﷺ بيده، فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل منه، فقيل: هو ضبّ يا رسول الله، فرفع يده، فقلت: أحرام هو يا رسول الله؟ فقال: «**لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه**»، قال خالد: فاجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر[(٥)].

قال المؤلف : قال أبو عمر (يعني ابن عبدالبر):

فيه أنه ﷺ لا يعلم الغيب وإنما يعلم منه ما يظهره الله عليه، وأن النفوس تعاف ما لم تعهد، وحلّ الضبّ، وأن من الحلال ما تعافه النفوس،

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٢/٥٠.

(٢) هو أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري، أبو أمامة ـ معروف بكنيته، معدود في الصحابة، له رؤية ولم يسمع من النبي ﷺ مات سنة مائة وله اثنتان وتسعون سنة. (تقريب التهذيب ص: ١٠٤ رقم: ٤٠٢).

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي ـ سيف الله ـ يكنى: أبا سليمان من كبار الصحابة، وكان إسلامه، بين الحديبية والفتح، وكان أميراً على قتال أهل الردّة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين (التقريب ص: ١٩١ رقم: ١٦٨٤).

(٤) ميمونة بنت الحارث الهلالية، زوج النبي ﷺ قيل كان اسمها برّة، فسماها النبي ﷺ ميمونة ـ وتزوجها بسرف، سنة سبع، وماتت بها، ودفنت سنة إحدى وخمسين على الصحيح (تقريب التهذيب ص: ٧٥٣ رقم: ٨٦٨٨).

(٥) الزرقاني على موطأ مالك ٤/٣٦٩ ـ ٣٧٠. و(الموطأ كتاب الاستئذان باب ما جاء في أكل الضب حديث رقم: ١٠).

وأن الحرمة والحل ليسا مردودين إلى الطباع، وإنما الحرام ما حرّمه الكتاب والسنّة أو كان في معنى ما حرّمه أحدهما[(١)].

والحقيقة إن الاقتباسات الواردة في شرح الزرقاني، من كتاب التمهيد أو الاستذكار للحافظ ابن عبدالبر أكثر من أن تحصى، حيث لا تخلو صفحة في شرح الزرقاني من استشهاد بقول ابن عبدالبر سواء كان ذلك بالنسبة للسند أو لفقه الحديث.

ـ نماذج من الاقتباسات الواردة في كتاب أوجز المسالك إلى موطأ مالك لمولانا محمد زكريا الكاندهلوي:

أ ـ عند شرحه لحديث مالك عن يزيد بن رومان[(٢)]، أن نافع بن جبير[(٣)]، بن مطعم كان يقرأ خلف الإمام فيما لا يجهر فيه الإمام بالقراءة.

قال المؤلف: ثبت بالراويات الكثيرة أن نزول قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[(٤)]، في القراءة خلف الإمام.

ثم قال: وقال ابن عبدالبر في الاستذكار: هذا عند أهل العلم عند سماع القرآن في الصلاة، لا يختلفون أن هذا الخطاب نزل في هذا المعنى دون غيره[(٥)].

---

(١) انظر شرح الزرقاني على الموطأ ٤/٣٧٠. وانظر كذلك التمهيد لابن عبدالبر ٦/٢٤٧ ـ ٢٥٢. والحديث أخرجه مسلم عن ابن عباس ـ كتاب الصيد والذبائح ـ باب إباحة الضب ـ حديث رقم: ٤٣.

(٢) يزيد بن رومان المدني ـ أبو روح، مولى آل الزبير، ثقة من الخامسة، مات سنة ١٣٠هـ وروايته عن أبي هريرة مرسلة (تقريب التهذيب ص: ٦٠١ رقم: ٧٧١٢).

(٣) نافع بن جبير بن مطعم النوفلي، أبو محمد وأبو عبدالله المدني، ثقة فاضل، مات سنة ٩٩هـ (تقريب التهذيب ص: ٥٥٨ رقم: ٧٠٧٢).

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٥) أوجز المسالك إلى موطأ مالك ـ لمولانا محمد زكريا الكاندهلوي ص: ٢/١٠٣. (طبع إدارة التأليف الأشرفية ـ ملتان ـ باكستان) والموطأ كتاب الصلاة باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة، حديث رقم: ٤٢.

ب ـ عند تناوله لحديث مالك أنه بلغه أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف، ولا يكلّف من العمل إلا ما يطيق**».

قال المؤلف: قال ابن عبدالبر: رواه إبراهيم بن طهمان عن مالك عن ابن عجلان[1]، عن أبيه عن أبي هريرة[2].

ج ـ عند شرحه لحديث مالك عن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما**»[3]، قال المؤلف: قال ابن عبدالبر: رواه ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر، وهو صحيح لمالك عنه وعن ابن دينار[4]، جميعاً[5].

٢ ـ مقارنة بين كتاب «الاستذكار» لابن عبدالبر «وشرح الزرقاني» على الموطأ:

نرى في هذا المطلب مقارنة بين شرحين متميّزين على الموطأ: **الأول**: كتاب الاستذكار للحافظ ابن عبدالبر، **والثاني**: للعلامة الزرقاني:

وقد اخترت كتاب «الاستذكار» لاتفاقه وكتاب الزرقاني في تناول جميع ما حواه الموطأ من أحاديث مسندة ومرسلة، وبلاغات، وأقوال الصحابة والتابعين وفتاوى الإمام مالك ـ رحمه الله ـ.

(١) محمد بن عجلان: إمام صدوق مشهور ـ روى عن أبيه وطائفة، وعنه مالك وشعبة ويحيى القطان ـ وثقه أحمد وابن معين وابن عيينة ـ ومنهم من تكلّم في سوء حفظه توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٤٨هـ (ميزان الاعتدال ٦٤٤/٣ رقم: ٧٩٣٨).

(٢) أوجز المسالك إلى موطأ مالك (ص: ٢٤٥/١٥) والموطأ كتاب الاستئذان باب الأمر بالرفق بالمملوك حديث رقم: ٤٠.
ومسلم كتاب الأيمان باب إطعام المملوك مما يأكل حديث رقم: ٤١.

(٣) البخاري كتاب الأدب ـ باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث رقم: ٦١٠٣.

(٤) عبدالله بن دينار العدوي مولاهم، أبو عبدالرحمن المدني، مولى ابن عمر، ثقة مات سنة ١٢٧هـ أخرج له الستة (تقريب التهذيب ص: ٣٠٢ رقم: ٣٣٠٠).

(٥) أوجز المسالك ٢٦٦/١١.

«باب العمل في المسح على الخفّين»[1]:

الموضوع	الاستذكار	شرح الزرقاني
ذكر أحاديث الباب.	ذكر ابن عبدالبر حديث عروة بن الزبير، وسؤال مالك لابن شهاب عن المسح على الخفّين.	ذكرهما أيضاً الزرقاني منفصلين عن الشرح.
ذكر قول مالك.	أوضح أن قول مالك في المسألة هو على حسب ما وصف ابن شهاب.	ذكر محل الاتفاق في المسح عن الخفّين وهو ظاهرهما وأن ظاهر مذهب مالك استيعابهما.
تفصيل رأي مالك وأصحابه في مسح ظاهر الخفّ دون باطنه والعكس.	ذكر أن مالك لا يرى الإعادة على من اقتصر على مسح ظهر الخفّين إلا في الوقت. ومن فعل ذلك وذكر في الوقت مسح أعلاهما وأسفلهما ثم أعاد تلك الصلاة في الوقت. ذهب إلى ذلك ابن القاسم وجمهور أصحاب مالك، وخالف ذلك: ابن نافع الذي يرى الإعادة على من فعل ذلك في الوقت وبعده. وكلهم يقول: أن من مسح بطونهما دون ظهورهما أعاد أبداً، وخالف في ذلك أشهب الذي لا يرى الإعادة إلا في الوقت.	قال: فإن مسح أعلاهما دون أسفلهما أعاد في الوقت وعكسه يعيد أبداً. دون إعطاء أي تفاصيل لمذاهب أصحاب مالك. وفي غير هذا المثال يذكر أحياناً آراء أصحاب مالك في المسائل المختلفة خاصة منهم ابن القاسم.

(١) انظر الاستذكار لابن عبدالبر ٢٨٤/١ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦، وشرح الزرقاني ٨١/١، وقد ذكرنا حديثي الباب عند التعريف بكتاب الاستذكار وهما: حديث عروة بن الزبير في المسح عن الخفّين، وسؤال مالك لابن شهاب عن ذلك.

الموضوع	الاستذكار	شرح الزرقاني
أقوال أئمة المذاهب:	قول الإمام الشافعي: ذكر أن الشافعي نصّ على انه لا يجوز المسح على أسفل الخفّ فقط، ويجزئه على ظهره ويستحب المسْح على ظهور الخفّين وبطونهما معاً.	لم يذكر شيئاً عن مذاهب الأئمة المتبوعين وفقهاء الأمصار.
من سبق لهذا الرأي من السلف.	قال: وهو قول عبدالله بن عمر، وقد ذكره مسنداً من عدّة طرق.	
حجّة مالك والشافعي فيما ذهبا إليه.	ذكر حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ أنه كان يمسح أعلى الخفّ وأسفله، وتكلّم على إسناده وأحال على «التمهيد».	
قول الأئمة أبو حنيفة وأحمد.	قال: وقال أبو حنيفة وأصحاب الثوري: يمسح ظاهر الخفّين دون بطونهما، وبه قال أحمد وإسحاق وداود.	
من سبق لهذا الرأي من السلف.	قال: وهو قول علي بن أبي طالب وقيس بن سعد بن عبادة وعروة بن الزبير والحسن البصري وعطاء بن رباح.	
حجة أبي حنيفة وأحمد ومن تبعهما.	ما ذكره أبو داود: عن علي بن أبي طالب قال: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخفّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه.	أورد حديثي علي بن أبي طالب والمغيرة بن شعبة من دون أي تعليق.

الموضوع	الاستذكار	شرح الزرقاني
رأي المؤلف.	قال: وحديث علي وحديث المغيرة يدلان على بطلان رأي أشهب ومن تابعه.	
الترجيح.	يرى أن المراعى في الخفّ هو مايستر ظهور القدمين، وهو المراعى في المسح، وبذلك خالف ابن عبدالبر رأي مالك وأصحابه مع أنه من أئمة المالكية.	قال: وكيفما مسح أجزأه إذا أوعب.
خصائص الشرح.	يستوفي شرح المسائل الفقهية مع ذكر آراء الأئمة المتبوعين وأصحابهم وحجة كل فريق مع الترجيح.	يشرح المسائل باختصار دون التطرّق إلى أقوال الفقهاء في الغالب.
الجرح والتعديل.	يتكلم في رجال الأسانيد جرحاً وتعديلاً وكثيراً ما يحيل «على التمهيد» في مايخصّ دراسة الأسانيد.	يعرّف برجال الإسناد باختصار في أول حديث للراوي فيذكر اسمه ونسبه وعدالته وحفظه وسنة وفاته.
الأحاديث المستشهد بها.	أغلب الأحاديث التي يستشهد بها يذكرها من غير أسانيد، ويحيل من أراد التوسع في الإسناد على «التمهيد».	يذكرها في الغالب بأسانيدها وأحياناً يقتصر على ذكر الصحابي راوي الحديث، والمصدر في ذلك.
مصادر الشرح.	قد ذكرت مصادر ابن عبدالبر عند التعريف بكتابه التمهيد، وهي نفس مصادره في الاستذكار لاشتراكهما في الموضوع وقد أحصيت منها حوالي التسعين مصدراً.	من أهم مصادره: شروح الموطأ لكل من: ابن عبدالبر، الباجي، ابن العربي، القاضي عياض، ابن قرقول، السيوطي، وشرح صحيح مسلم لكل من: النووي، القرطبي، المازري، القاضي عياض. وشروح البخاري: لمغلطاي، وابن حجر، وابن بطال، إضافة إلى الكتب الستة، ومعاجم الطبراني وسنن البيهقي ومصنّف عبدالرزاق وكتب الفقه المالكي، وكتب اللغة.

أ ـ منهج الباجي في كتابه المنتقى:

افتتح الإمام الباجي كتابه «المنتقى»[1]، بمقدمة أوضح فيها السبب الدافع إلى تأليفه هذا الكتاب ومنهجه فيه. قال: «فإنك ذكرت أن الكتاب الذي ألّفت في شرح الموطأ المترجم بكتاب «الاستيفاء» يتعذّر على أكثر الناس جمعه ويبعد عنهم درسه، لا سيما لمن لم يتقدّم له في هذا العلم نظر ولا تبيّن له فيه بعد أثر، فإنّ نظره فيه يبلّد خاطره ويحيّره، ولكثرة مسائله ومعانيه يمنع تحفّظه وفهمه، وإنما هو لمن رسخ في العلم وتحقّق بالفهم. ورغبت أن أقتصر فيه على الكلام في معاني ما يتضمّنه ذلك الكتاب من الأحاديث والفقه، وأصل ذلك من المسائل بم يتعلق بها في أصل كتاب مالك، ليكون شرحاً له وتنبيهاً على ما يستخرج من المسائل منه. ويشير إلى الاستدلال على تلك المسائل والمعاني التي تجمعها وينصّها ما يخفّ ويقرب ليكون ذلك حظ من ابتدأ بالنظر في هذه الطريقة من كتاب الاستيفاء إن أراد الاقتصار عليه وعونا له إن طمحت همّته إليه، فأجبتك إلى ذلك وانتقيته من الكتاب المذكور على حسب ما رغبته وشرطته، وأعرضت فيه عن ذكر الأسانيد واستيعاب المسائل والدلالة وما احتجّ به المخالف، وسلكت فيه السبيل الذي سلكت في كتاب الاستيفاء من إيراد الحديث والمسألة من الأصل، ثم اتبعت ذلك ما يليق به من الفرع وأثبته شيوخنا المتقدّمون ـ رضي الله عنهم ـ في المسائل».

ـ وقد سار الباجي في ترتيب هذا الكتاب على نسق ترتيب الموطأ إلى كتب وأبواب.

ـ فعند بداية الباب يذكر الحديث كما ورد في الموطأ ويشير بحرف «ص» قبل الحديث للدلالة على أنه الأصل.

ـ ثم يشير بحرف «ش» للدلالة على الشرح.

(١) يقع كتاب المنتقى للإمام أبي الوليد الباجي في سبعة أجزاء، وقد طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣١هـ، وصورت منها دار الكتاب العربي ـ بيروت.

ـ يشرح ما استعجم من ألفاظ في متن حديث الباب، من شواهد العربية.

ـ يورد أقوال مالك في المسائل المختلفة، يستقي ذلك في الغالب من المدوّنة والعتبية[1].

ـ يستدل ويستشهد لما يذهب إليه في المسائل المختلفة بأحاديث من الصحيحين وغيرهما.

ـ يقسّم الحديث المشروح إلى فقرات، ويشرح كل فقرة في فصل خاص.

ـ إذا عرضت له مسائل لها صلة بالموضوع، يشير إليها بقوله: «مسألة» ثم يشرحها، يفعل ذلك مع كل الأحاديث الواردة في الباب.

ـ يشرح أحياناً الحديث الواحد في عدة أبواب، إذا تطلبت عناصر موضوعه ذلك.

ـ أثناء شرحه للمسائل الفقهية المختلفة، يركّز على مناقشة أقوال المالكية مثل محمد بن وضّاح وابن القاسم وغيرهما.

ـ لا يتطرّق إلى أقوال المذاهب الأخرى إلا في حالات خاصة.

ـ مما يؤخذ على الباجي في كتابه المنتقى، عدم تطرّقه للمسائل الحديثية.

(١) كان الفقه المالكي في الأندلس يؤخذ من الكتب الآتية:
ـ المدوّنة لسحنون بن سعيد، المتوفى سنة ٢٤٠هـ (الديباج المذهب ص: ١٦٠).
ـ الأسدية لأسد بن الفرات، المتوفى سنة ٢١٣هـ (الديباج المذهب ص: ٩٨).
ـ الواضحة لعبدالملك بن حبيب الأندلسي، المتوفى سنة ٢٣٨هـ (المصدر السابق ص: ١٥٤).
ـ العتبيّة التي جمعها محمد بن أحمد بن عبدالعزيز العتبي الأندلسي، المتوفى سنة ٢٥٤هـ وتسمى أيضاً المستخرجة من الأسمعة (الديباج ص: ٢٣٦).

مثال توضيحي:

وحتى يتضح منهج الإمام الباجي في شرح الموطأ نورد المثال الآتي:

ص: مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبدالرحمٰن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لو يعلم الناس ما في النداء والصفّ الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»**[1].

ش: قوله: لو يعلم الناس ما في النداء والصفّ الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، يريد ﷺ تعظيم أمر الثواب على النداء والصفّ الأول، فإن الناس لو يعلمون مقدار ذلك لتبادروا ثوابه كلهم، ولم يجدوا إلا أن يستهموا عليه تشاحاً فيه ورغبة في ثوابه. وقد اختلف في الصف الأول، فقيل معناه: السابق إلى المسجد، وقيل: معناه الصف الذي يلي الإمام إن لم يكن في المسجد مقصورة يمنع من دخولها بعض الناس، فإن كان ذلك فالصف الأول الذي يلي المقصورة.

(فصل): وقوله: لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه: التهجير هو التبكير إلى الصلاة في الهاجرة وذلك لا يكون إلا للظهر أو الجمعة، وهذا يدلّ على جواز التنقّل ذلك الوقت لأنه لا خلاف أنه من دخل المسجد ذلك الوقت تنقّل.

(فصل): وقوله ﷺ: **«لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»**: خصّ هاتين الصلاتين بذلك لأن السعي إليهما أشقّ من السعي إلى غيرهما لما في أوقاتهما من مشقّة الخروج والتصرّف، فأخبر ﷺ عن عظيم الأجر على إتيانهما حضا للناس عليهما، وأن المشي إليهما لو لم يكن إلا حبواً لاستسهله من يعلم مقدار الثواب عليهما[2].

---

(١) الموطأ كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في النداء للصلاة حديث رقم: ٣ ص: ٤/١.

(٢) المنتقى للباجي ص: ١٣٢/١.

إضافة إلى ذلك فإن منهج الباجي في شرحه لأحاديث الموطأ يتميّز بعمق الفهم لمدلولات النصوص، وواقعية ومنطقية التأويلات والاستنباطات منها.

فمثلا عند شرحه لحديث زينب بنت أبي سلمة[1]، الذي تقول فيه أنها سمعت أمّها، أمّ سلمة[2]، زوج النبي ﷺ تقول: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّ ابنتي تَوفّيَ عنها زوجها وقد اشتكت عينيها أفتكحلهما؟

فقال رسول الله ﷺ: **«لا»**، مرّتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول لا، ثم قال: **«إنما هي أربعة أشهر وعشراً، وقد كانت إحداكنّ في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول»**[3].

يورد الباجي عدّة احتمالات لفهم جواب الرسول ﷺ ولا يأخذه على ظاهره فيقول:

ـ يحتمل أن تريد، أنها اشتكت عينيها، وقد برئت، أفتتمادى على الاكتحال؟

ـ ويحتمل أن تريد اشتكت عينيها وهي الآن على ذلك، إلا أنها استأذنت في كحل زينة، ولم تستأذن فيما تداوى به العين مما لا زينة فيه... فمنعها ﷺ من ذلك لمّا رأى أنها سالمة عمّا لا ضرورة بها إليه.

---

(١) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومية، ربيبة النبي ﷺ ماتت سنة ٧٣هـ (تقريب التهذيب ص: ٧٤٧ رقم: ٨٥٩٥).

(٢) أم سلمة: أم المؤمنين اسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، المخزومية، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة، سنة أربع وقيل سنة ثلاث، ماتت ـ رضي الله عنها سنة ٦٢هـ (تقريب التهذيب ص: ٧٥٤ رقم: ٨٦٩٤).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الطلاق ـ باب تحدّ المتوفى عنها أربعة أشهر وعشرا حديث رقم: ٥٣٣٦، وفي باب الكحل للحادة حديث رقم: ٥٣٣٨. وأخرجه مسلم في كتاب الطلاق باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة، حديث رقم: ٢٧٣٢. والموطأ كتاب الطلاق باب ما جاء في الإحداد حديث رقم ١٠٣ ص: ٥٩٧/٢.

ـ ويحتمل أن يكون النبي ﷺ قد فهم منه خفّة المرض ويسارة الصبر عليه وأنه يرجى بُرؤه وتوقّفه من غير كحل، ولذلك قالت أم سلمة لامرأة حادّ على زوجها اشتكت عينيها: اكتحلي بكحل الجلاء بالليل وامسحيه بالنهار[1].

ب ـ اقتباسات العلماء من كتاب المنتقى للباجي:

يعتبر كتاب المنتقى في شرح موطأ الإمام مالك، لأبي الوليد الباجي ـ رحمه الله ـ من أهم شروح الموطأ، ومرجعاً مهماً في فقه الحديث اقتبس منه العلماء من بعده واستشهدوا بآرائه، وفيما يلي نماذج من ذلك:

١ ـ اقتباسات الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم:

عند شرحه لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «... وإذا تقرّب منّي ذراعاً تقرّبت منه باعاً...»[2]، قال: قال الباجي: (الباع) هو قدر أربع أذرع[3].

وعند شرحه لحديث أم سلمة قالت جاءت أم سُلَيْم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّ الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة غسلٍ إذا احتلمت، فقال رسول الله ﷺ: «نعم إذا رأيت الماء» وفي رواية قالت عائشة: فقلت لها: أُفٍّ لك أترى المرأة ذلك[4].

قال النووي: «أُفٍّ لك» معناه استحقارا لها ولما تكلّمت به وهي كلمة

(١) المنتقى ص: ٤/١٤٦.

(٢) الحديث رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله عزّ وجلّ إذا تقرّب عبدي منّي شبراً تقرّبت منه ذراعاً، وإذا تقرّب مني ذراعاً تقرّبت منه باعاً أو: بوعاً وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة» (صحيح مسلم بشرح النووي ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى وحسن الظن به ص: ١١/١٧).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص: ١٢/١٧.

(٤) المصدر السابق (ص: ٣/٢٢٣ ـ ٢٢٤) كتاب الحيض باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها.

تستعمل في الاحتقار والاستقذار والإنكار، قال الباجي: والمراد بها هنا الإنكار[1].

٢ ـ نماذج من الاقتباسات الواردة في فتح الباري لابن حجر العسقلاني:

ـ عند شرحه لحديث أبي قتادة الأنصاري[2]، أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ قال: وقال الباجي: إن وجد من يكفيه أمرها جاز في النافلة دون الفريضة، وإن لم يجد جاز فيهما[3].

ـ وعند شرحه لعبارة الرسول ﷺ: «... وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[4]، وأنه لا تعارض بينها وبين قوله ﷺ: «لا يقولن أحدكم خبثت نفسي»[5]، قال: وقال الباجي: «ليس بين الحديثين اختلاف، لأنه نهى عن إضافة ذلك إلى النفس».

(١) المصدر السابق ص: ٣/٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) أبو قتادة الأنصاري هو الحارث ويقال عمرو أو النعمان بن ربعي بن بُلْدُمة السلمي المدني شهد أُحداً وما بعدها ـ مات سنة ٥٤هـ (تقريب التهذيب ص: ٦٦٦ رقم: ٨٣١١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ـ باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة (حديث رقم: ٥١٦).

(٤) الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» انظر صحيح البخاري حديث رقم: ١١٤٢ كتاب التهجد باب عقد الشيطان علي قافية الرأس إذا لم يصل بالليل.

(٥) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي» (التمهيد ٤٧/١٩ ـ ٤٨) والبخاري كتاب الأدب، باب لا يقل خبثت نفسي حديث رقم: ٥٧١١ ـ ٥٧١٣.

ـ لكون الخبث بمعنى فساد الدين ووصف بعض الأفعال بذلك تحذيراً منها وتنفيراً»[1].

٣ ـ نماذج من الاقتباسات الواردة في عمدة القاري لبدر الدين العيني[2]:

ـ عند شرحه لقول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها: «كان يكون عليّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان» قال: قال الباجي: والظاهر أنه ليس للزوج جبرها على تأخير القضاء إلى شعبان بخلاف صوم التطوع[3].

وقد يتعقب العيني بعض أقوال الباجي بالرد، لكونها غير موفّقة فعند تناوله لباب [صيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة] قال: وقال القاضي أبو الوليد الباجي: «في صيام البيض قد رُوي في إباحة تعمدها بالصوم أحاديث لا تثبت»، ويتعقبه العيني: بأن في التعيين أحاديث صحيحة، ذكرها أبو العباس القرطبي في المفهم[4].

٤ ـ نماذج من الاقتباسات الواردة في «تنوير الحوالك» للسيوطي:

عند شرحه لقول عبدالله بن عمر: «يُصلّى على الجنازة بعد العصر وبعد الصبح إذا صُليتا لِوَقْتِهما» قال: قال الباجي: أي لوقت الصلاتين

(١) انظر فتح الباري ص: ٢٧/٣، (وانظر كذلك فتح الباري ص: ٢٦٤/١، ٢٩/٢، ١٦٢/٩، ٧٦/٤).

(٢) هو أبو الثناء ـ وأبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى العيتابي الحنفي الملقب ببدر الدين ولد سنة ٧٦٢هـ نشأ في بيت علم وصلاح ـ سمع ببلدته (عين تاب من أعمال حلب) ثم رحل وأخذ عن شيوخ عصره وتقلّد الحسبة عدّة مرّات. له عدّة مؤلفات منها: البناية في شرح الهداية ـ وعمدة القاري في شرح الجامع الصحيح للبخاري ـ توفي سنة ٨٥٥هـ (انظر الضوء اللامع ص: ١٣٣/١٠).

(٣) عمدة القاري لبدر الدين العيني ص: ٥٦/١١ (كتاب الصوم باب متى يقضي قضاء رمضان؟ حديث رقم: ١٩٥٠).

(٤) عمدة القاري ص: ٩٧/١١ كتاب الصوم (باب صيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة).

المختار، وهو في العصر إلى الإصفار وفي الصبح إلى الإسفار[1].

ـ وعند شرحه لقول كعب الأحبار[2]، أنه قال: «إذا أحببتم أن تعلموا ما للعبد عند ربّه فانظروا ماذا يتبعه من حسن الثناء» قال: قال الباجي: «يريد ما يجري على ألسنة الناس من ذكره في حياته وبعد موته، والمراد ما يذكر به أهل الدين والخير دون أهل الضلال والفسق، لأنه قد يكون للإنسان العدو فيتبعه بالذّكر القبيح»[3].

٥ ـ نماذج من الاقتباسات الواردة في شرح الزرقاني على الموطا:

ـ عند شرحه لحديث مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتحرّ أحدكم فيصلي عند طلوع الشمس ولا عند غروبها». قال: قال الباجي: يحتمل أن يريد به المنع من النافلة في هذين الوقتين أو المنع من تأخير الفرض إليه[4].

ـ وعند شرحه لحديث مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ غُسّل في قميص» قال: وقال الباجي: يحتمل أن يكون ذلك خاصا به ﷺ لأن السنّة عند مالك وأبي حنيفة والجمهور أن يجرّد الميّت ولا يغسّل في قميصه[5].

(١) تنوير الحوالك ـ (للسيوطي ص: ٢٢٨/١ كتاب الجنائز ـ باب الصلاة على الجنائز بعد الصبح إلى الإسفار وبعد العصر إلى الإصفار) وانظر كذلك شرح الزرقاني على الموطأ ٦٣/٢.

(٢) هو كعب بن ماتع أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، ثقة، مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان، وقد زاد على المائة. (تقريب التهذيب ص: ٤٦١ رقم: ٥٦٤٨).

(٣) تنوير الحوالك ص: ٩٦/٣.

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ ص: ٤٨/٢ باب النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر ـ كتاب القرآن حديث ٤٧.

(٥) المصدر السابق ص: ٥٠/٢ كتاب الجنائز باب غسل الميّت. وانظر كذلك الاقتباسات في ٨٠/١ ـ ٨٣ ـ ٨٥ ـ ٨٦، ٣٥٣ و ٢٣٦/٣، ٢٤٧، ٣٤١، ٤٨/٤، ٣١٢.

بعد هذا العرض الموجز لمنهج الحافظ أبي الوليد الباجي في كتابه المنتقى، وذكر نماذج من اقتباسات العلماء منه، يمكننا اعتبار الطابع الفقهي من أهم ما تميّز به كتاب المنتقى.

ولا غرو في ذلك فالإمام الباجي يعدّ من أعلام المذهب المالكي، قال أبو محمد ابن حزم الظاهري: «لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبدالوهاب[1]، إلا أبو الوليد الباجي لكفاهم»[2].

ج - منزلة الباجي العلمية وثناء العلماء عليه:

إن تبحّر الإمام الباجي في علوم الشريعة وتفنّنه فيها، وتفوّقه في فنّ المناظرة وإقامة الحجاج، بوّأه مكاناً مرموقاً بين علماء عصره.

قال عنه الحافظ ابن كثير: «سليمان بن خلف الباجي الفقيه المالكي أحد الحفاظ المكثرين في الفقه والحديث»[3].

وقال عنه الإمام الذهبي: «الحافظ العلامة ذو الفنون أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي صاحب التصانيف... ألّف كتاب المعاني في شرح الموطأ في عشرين مجلداً عديم النظير»[4].

كما كان الإمام الباجي يتمتّع بتقدير تلاميذه ومن جاء بعدهم. فهذا أبو علي بن سكّرة السرقسطي[5]، يقول: ما رأيت مثل أبي الوليد الباجي وما

(١) عبدالوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي القاضي أبو محمد أحد أئمة المذهب المالكي ثقة حجة. ألّف في المذهب والخلاف والأصول تآليف كثيرة، توفي بمصر سنة ٤٢٢هـ وكان مولده سنة ٣٦٢هـ (الديباج المذهب ص: ١٥٩).

(٢) انظر نفح الطيب ص: ٣٦٠/١. والديباج المذهب ص: ١٢١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ص: ١٢٢/١٢.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ص: ١١٨٠/٣.

(٥) هو الحسن بن محمد بن حيوة السرقسطي (مرت ترجمته).

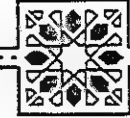
رأيت أحداً على سمته وهيئته وتوقير مجلسه»[1].

ولعل ما زاد في شهرة الباجي وذيوع صيته. مناظرته لابن حزم الظاهري، فقد نقل ابن فرحون «أن أبا الوليد لما ورد إلى الأندلس، وجد بها ابن حزم الظاهري، ولم يكن في الأندلس من يشتغل بعلمه، فقصرت ألسنة فقهائها عن مجادلته، واتبعه جماعة على رأيه، واحتل بجزيرة ميورقة فرأس بها واتبعه أهلها، فلما وصل أبو الوليد تكلّم في ذلك فرحل إليه وناظره وأبطل كلامه وله معه مجالس كثيرة قيّدت بأيد الناس»[2].



(١) تذكرة الحفاظ ص: ١١٨٢/٣، والصلة لابن بشكوال ص: ١٩٧/١.

(٢) الديباج المذهب لابن فرحون ص: ١٢١.



المبحث الخامس: كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ

للإمام أبي بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد المعافري، المعروف بابن العربي الإشبيلي، المتوفى سنة ٥٤٣هـ.

وهو من أجلّ كتب فقه السنّة، متميّز في بابه، شامل للفقه والحديث، اتّبع فيه المؤلف أسلوباً سهلاً ومنهجاً مبتكراً.

وقد ضمّنه ـ إضافة إلى فقه الحديث ـ علوم الحديث، التي انتقد على الباجي التقصير فيها.

قال ابن العربي في كتابه المسالك: «وأما الباجي فقد أشبع القول في هذا الفنّ (أي: الفقه) وأغفل كثيراً من علم الحديث الذي يتضمّنه الموطأ»[١].

منهج ابن العربي في كتابه القبس:

اتبع الإمام ابن العربي في شرحه للموطأ أسلوباً سهلاً ومنهجاً مبتكراً، نلخص عناصره في الآتي:

(١) كتاب المسالك لابن العربي: ل ٤ (أ). (نسخة بمركز البحث العلمي بأم القرى) وانظر في ذلك: القبس ٧١/١ تحقيق د. محمد عبدالله ولد كريم (دار الغرب الإسلامي ط١ ـ ١٩٩٢ ـ لبنان).

١ ـ قسم المؤلّف الكتاب إلى كتب وأبواب، وفقا لترتيب الموطأ، ليسهل على الطالب الوصول إلى المسائل المرادة من غير عناء.

٢ ـ اتبع المؤلف في افتتاحه للأبواب ثلاث طرق:

أ ـ يذكر الباب الذي ترجم به مالك، ويشرح معنى الترجمة، بعد ذلك يذكر الأحاديث الواردة في الباب مجرّدة من الأسانيد. فعند شرحه «لباب صلاة العيد» قال: «العيد اسم الفعل من عاد عوداً، سمي به تفاؤلاً لأن يعود، كما سميت القافلة في ابتداء خروجها إلى السفر بذلك تفاؤلا لعودتها، وهو يوم ينشر الله فيه على العباد رحمته ويوفّيهم أجرتهم ويتقبّل منهم طاعتهم. وهي سنّة. ثم ذكر بعد ذلك أحاديث الباب»[١].

ب ـ يبدأ بذكر الأحاديث مباشرة قبل شرحه للترجمة: فعند تناوله لباب السترة، قال: فيها أحاديث كثيرة المعوّل منها على ثمانية، فذكرها، ثم قال: والسترة من محاسن الصلاة ومكمّلاتها وفائدتها قبض الخواطر عن الإشارة وكفّ النظر عن الاسترسال حتى يكون العبد مجتمعاً للمناجاة التي حضرها والتزمها، وبه قال عامة الفقهاء[٢]. ثم استرسل في شرح مسائل الباب.

جـ ـ بعد ذكره لترجمة الباب، يشرع مباشرة في شرح مسائل الباب دون ذكره لأحاديث الباب.

فعند تناوله «لباب التأمين» بدأ مباشرة بقوله: قوله: «إذا أمّن الإمام[٣]...» الحديث. قيل معنى «إذا أمّن» إذا بلغ موضع التأمين، كقولهم أحرم إذا بلغ موضع الحرم. وأنجد إذا بلغ موضع العلو[٤].

(١) القبس ص: ٣٧١/١.

(٢) نفس المصدر ص: ٣٣٩/١.

(٣) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الأذان ـ باب جهر الإمام بالتأمين، ومسلم في كتاب الصلاة باب التسميع والتحميد والتأمين. والموطأ ص: ٨٧/١ كلهم من طريق أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمّن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٤) القبس ص: ٢٣٦/١.

٣ ـ رتّب الشرح ترتيباً متميّزاً، حسناً، حيث قسّم المسائل إلى عناوين بارزة، مشيراً إلى ما تضمّنه الموطأ من نكت وقضايا تحت عناوين خاصة مثل:

إلحاق ـ كشف وإيضاح ـ تفصيل ـ استلحاق ـ تكملة تنبيه على قصد ـ استدراك ـ تحقيق لغوي وتحقيق شرعي ـ فائدة ـ تنبيه على وهم ـ نكتة أصولية ـ توحيد ـ مزلّة قدم ـ تأسيس ـ تفسير ـ تعليق ـ تتميم ـ عارضة ـ عطف ـ مزيد إيضاح ـ حكمة وحقيقة وتوحيد ـ بديعة ـ تبيين مشكل، إلى غير ذلك مما تقتضيه طبيعة المسألة المراد شرحها.

٤ ـ وابن العربي رغم كونه من أعلام المذهب المالكي إلا أنه عند مناقشته للمسائل الخلافية، يبيّن الآراء المختلفة للعلماء، ويعلّق عليها بكل نزاهة، فهو في أغلب الأحيان يرجّح المذهب المالكي، إلا أن ذلك لم يثنه عن الأخذ بغيره، إذا ظهر له الحق فيه.

ـ فعند مناقشته لمسألة «هل كان النبي ﷺ مفرداً أو قارناً أو متمتّعاً في الحج» خالف قول مالك والشافعي بأنه ﷺ كان مفرداً، وذهب إلى أنه ﷺ كان قارناً، وقال: «وأما المعاني التي تعلّق بها مالك ـ رضي الله عنه، والشافعي، ففعل النبي ﷺ يسقطها، وقد كان قارنا، فوجب امتثال فعله وإسقاط الاعتراضات عليه، والحق أحق أن يتبع»[1].

ـ وعند تناوله لباب الوضوء من مسّ الذكر ـ قال: روى الوضوء من مسّ الذكر عن النبي ﷺ جماعة منهم بسرة[2]. وهو أصحّ حديث فيه، وأعرض عنه الإمامان الجعفي والقشيري، والعجب لإمامنا ـ رضي الله عنه ـ يرويه في كتابه ويدرّسه مدى عمره ثم لا يقول به، وتختلف فيه فتواه، فتارة يضعّفه، وتارة يقوّيه وتارة يعتبر فيه الشهوة، وتارة يسقطها. ونحن نقبل روايته فنقول الحديث صحيح، ولا نقبل تفريعه فنقول: ينتقض الوضوء

(١) القبس ٦٥٩/٢ ـ ٦٦٠.
(٢) مرّ تخريج الحديث.

من مسّه بقصد أو بغير قصد، اتّباعاً لظاهر الحديث وأخذا بمطلق الرواية فيه[1].

٥ ـ وعندما تمرّ مسألة قد تكلّم عليها قبل، فإنه لا يكرّر الكلام، ويحيل عليها، سواء كانت في نفس مباحث الكتاب، أو في كتاب آخر له.

٦ ـ ينبّه على الأخطاء الواردة في بعض روايات الموطأ، ويبيّن وجه الصواب في ذلك: فعند تناوله لأحاديث العمل في الوضوء[2]، قال: وهم وتنبيه وقع في الموطأ:

مالك بن أنس عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أنه قال لعبدالله بن زيد بن عاصم: وهو جدّ عمرو بن يحيى[3]. وهذا وهم قبيح من يحيى بن يحيى وغيره، وأعجب منه أنه سئل عنه ابن وضّاح، وكان من الأئمة، فقال: هو جدّه لأمه، ورحم الله من انتهى إلى ما سمع ووقف دون ما لا يعلم، وكيف جاز هذا على ابن وضّاح، والصواب في المدونة التي كان يقريها ويرويها عن سحنون، وهي بين يديه ينظر في كل حين فيها، وصواب الحديث: مالك عن عمرو بن يحيى المازني[4]، عن أبيه[5]، أن رجلاً قال لعبدالله بن زيد:

(١) القبس: ص: ١٦٢/١ (باب الوضوء من مسّ الذكر).
(٢) المصدر السابق ١٦٢/١.
(٣) الحديث هو: مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أنه قال لعبدالله بن زيد بن عاصم وهو جد عمرو بن يحيى المازني وكان من أصحاب رسول الله ﷺ هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ فقال عبدالله بن زيد بن عاصم نعم، فدعا بوَضوء فأفرغ على يده مرتين مرتين ثم تمضمض واستنثر ثلاثاً ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدّم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه ثم غسل رجليه. (الموطأ كتاب الطهارة ـ باب العمل في الوضوء) حديث ٣١. انظر التمهيد لابن عبدالبر ص: ١١٣/٢٠ وشرح الزرقاني على الموطأ ص: ٤٢/١. وفتح الباري ص: ٢٨٩/١.
(٤) عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي حسن المازني المدني ثقة مات بعد ١٣٠هـ (التقريب ص: ٤٢٨ رقم: ٥١٣٩).
(٥) يحيى بن عمارة بن أبي حسن الأنصاري المدني ـ ثقة ـ من الثالثة ـ أخرج له الجماعة (تقريب التهذيب ص: ٥٩٤ رقم: ٧٦١٢).

وهذا الرجل هو عمارة بن أبي حسن المازني جدّ عمرو بن يحيى[1].

بعد هذا العرض الموجز لأهم عناصر منهج الإمام ابن العربي في كتابه القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، الذي اتضح لنا من خلاله مدى دقّة المؤلف في المسائل واستنباط الأحكام منها، ومعالجته لمختلف جوانبها الفقهية والحديثية والعقدية وغيرها، وحتى تتضح هذه المنهجية أكثر في معالجته للباب الواحد ضمن وحدة موضوعية محدودة، نورد المثال التوضيحي الآتي:

مثال توضيحي:

باب تيمّم الجنب[2]:

١ ـ ذكر أقوال الصحابة:

قال الإمام ابن العربي ـ رحمه الله ـ: هذه المسألة اختلف الصحابة فيها:

(١) القبس ص: ١/١١٨.
قال الحافظ ابن حجر: وقد اختلف رواة الموطأ في تعيين هذا السائل، وأما أكثرهم فأبهمه، قال معن بن عيسى في روايته: عن عمرو عن أبيه يحيى: إنه سمع أبا حسن ـ وهو جد عمرو بن يحيى ـ قال لعبدالله بن زيد وكان من الصحابة.. فذكر الحديث. وقال محمد بن الحسن الشيباني عن مالك: حدثنا عمرو عن أبيه يحيى أنه سمع جدّه أبا حسن يسأل عبدالله بن زيد، وكذا ساقه سحنون في المدونة، وقال الشافعي في الأم: عن مالك عن عمرو عن أبيه أنه قال لعبدالله بن زيد. ومثله رواية الإسماعيلي عن أبي خليفة عن القعنبي عن مالك عن عمرو عن أبيه قال: قلت.. والذي يجمع هذا الاختلاف أن يقال: اجتمع عند عبدالله بن زيد: أبو حسن الأنصاري وابنه عمرو وابن ابنه يحيى بن عمارة بن أبي حسن، فسألوه عن صفة وضوء النبي ﷺ وتولى السؤال منهم له: عمرو بن أبي حسن، فحيث نسب إليه السؤال كان على الحقيقة، ويؤيده رواية سليمان بن بلال عند البخاري في باب الوضوء من التور قال: حدثني عمرو بن يحيى عن أبيه قال: كان عمّي يعني عمرو بن أبي حسن يكثر الوضوء، فقال لعبدالله بن زيد، أخبرني... فذكره. وحيث نسب السؤال إلى أبي حسن فعلى المجاز لكونه كان الأكبر وكان حاضراً. وحيث نسب السؤال ليحيى بن عمارة فعلى المجاز أيضاً لكونه ناقل الحديث وقد حضر السؤال. ووقع في رواية مسلم عن محمد بن الصباح عن خالد الواسطي عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن عبدالله بن زيد قال «قيل له توضأ لنا» فذكره مبهماً. (انظر فتح الباري ص: ١/٢٨٩ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٢) القبس ص: ١/١٨٠ ـ ١٨١.

ـ فكان ابن مسعود ـ رضي الله عنه يرى ألا يتيمّم الجنب، ويقول: لو رخصنا لهم في ذلك لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يدعوه ويتيمّموا[1]. وهذا ردّ للنص بالذريعة، وذلك لا يجوز، وإنما علينا أن نُنزل الشرع منازله، ونضعه مواضعه، فمن تعداها، فقد ظلم نفسه.

ـ وقد سأل رجل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه، عن الجنب هل يتيمّم؟ فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: لا يتيمّم، فقال له عمّار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ كنّا في سريّة، فأجنبنا فلم نجد الماء، فأما أنا فتمّرغت في التراب كما تتمرّغ الدابة، فأتينا النبي ﷺ فقال: «إنما كان يكفيك ضربة للوجه وضربة للكفين»، فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: اتق الله يا عمّار، فقال عمّار: إن شئت يا أمير المؤمنين لم أحدّث به، فقال له: بل نوليك من ذلك ما توليت[2].

٢ ـ رأي ابن العربي في المسألة، وإحالته القارئ على مراجع أخرى:

قال الإمام ابن العربي ـ رحمه الله ـ: «وهذا كله ينبني على أصل، وهو الكلام على آية الوضوء، وترتيبها والأحكام فيها، وكيف مساقها».

وقد سمعت أصحابنا بالمشرق يقولون إن فيها ألف سؤال وحشدوا واجتهدوا، فكيف، حتى بلغوها ثمانمائة ولكن بزوائد ومعان يستغنى عنها. وقد بيّناها في كتاب الأحكام في نحو من عشرين فصلاً[3]، اخترت تلك الفصول بآفاق الكلام وسحبت ذيلها على جميع المقصود ولا شك.

إلا أن قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم ـ باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش يتيمّم، حديث رقم: ٣٤٥ ـ ٣٤٦، ص: ١/٩٥ ـ ٩٦ ـ انظر فتح الباري ص: ١/٤٥٥ ـ ٤٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التيمم ـ باب التيمم للوجه والكفين ص: ١/٩٢ وفي باب التيمم ضربة ١/٩٦، حديث رقم: ٣٤٧. وأخرجه مسلم في كتاب الحيض ـ باب الوضوء من لحوم الإبل ص: ١/٢٧٦.

(٣) انظر أحكام القرآن لابن العربي ص: ٢/٥٥٦.

سَفَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾[1]، إن هذا الجواب يرجع إلى جميع ما تقدّم من الكلام، لا تردّه لغة، ولا يدفعه نظام قول، والشريعة تعضّده والآثار الصحيحة تشهد له.

ـ ذكره لما يؤيد رأيه: قال رحمه الله:

ففي الصحيح عن عمران بن حصين[2] ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ «فرغ من صلاة فنظر إلى رجل لم يصلّ معهم فقال له: **«ما منعك أن تصلي معنا؟»** فقال له: إني كنت جنباً، فقال له: **«عليك بالصعيد»**[3]، وهذا نصّ».

٣ ـ اللطائف الحديثية:

قال رحمه الله: فإن قيل فكيف قال عمار لعمر ـ رضي الله عنه: إن شئت يا أمير المؤمنين لم أحدّث به[4]؟ قلنا: عن ذلك جوابان:

أحدهما: أن عماراً ذكر أنه: جرى ذلك بحضرتك يا عمر، فردّه، رضي الله عنه ولم يذكره، فتعارض الخبران، وصار ذلك كشهادتين متعارضتين في وقت واحد، فإحداهما تردّ الأخرى، فاستيذان عمار لعمر ـ رضي الله عنه، في ذكر ذلك لأنه الحاكم، فإن ردّها، لم يُفد شيئاً ولا كان لذكرها معنى، وإن جوّزها فحينئذ يدفعها وينشرها.

الثاني: ما قدّمنا قبل من أن الراوي إذا كان عنده عن النبي ﷺ حديث

(١) سورة المائدة، آية: ٦.

(٢) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نُجيد، أسلم عام خيبر، وصحب وكان فاضلاً، وقضى بالكوفة، مات سنة ٥٢ بالبصرة (التقريب ص: ٤٢٩ رقم: ٥١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التيمم ـ حديث رقم: ٣٤٨.

(٤) البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ص: ٢٣٢/٤ وفي كتاب التيمم باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء ص: ٩٣/١ وانظر فتح الباري ص: ٤٤٦/١ حديث ٣٤٤ وكذلك ص: ٤٥٧/١ حديث ٣٤٨ وص: ٥٨٠/٦ حديث ٣٤٤. ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة ص: ٤٧٤/١.

لم يلزمه أن يذكره، ولذلك كان أعيان الصحابة وكبارهم، رضي الله عنهم، لا يذكرون شيئاً مما سمعوا لأن تبليغ الأحاديث فرض على الكفاية.

هذا وقد انتقد بعض العلماء على الإمام ابن العربي قسوته في الردّ على مخالفيه، كما مرّ بنا في بعض الأمثلة السابقة.

ويعتبر كتاب القبس لابن العربي من أشهر الشروح الأندلسية لموطأ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ تجنّب فيه تقصير من سبقه من الشراح، فكان على صغر حجمه، شرحاً شاملاً جامعاً لفقه الحديث وعلومه، أخذه الناس عنه، واستشهد فطاحل العلماء بآرائه في شروحهم كالإمام النووي والحافظ ابن حجر وغيرهما، وفيما يلي نماذج من ذلك:

١ ـ نموذج من الاقتباسات الواردة في صحيح مسلم بشرح النووي:

عند شرحه لقوله ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر»**[1]، قال: وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال: لله تعالى ألف اسم، قال ابن العربي، وهذا قليل فيها، والله أعلم.

٢ ـ نماذج من الاقتباسات الواردة في كتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر:

ـ عند شرحه لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«كان الفضل رديف النبي ﷺ فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: إن فريضة الله أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم» وذلك في حجة الوداع»**[2]. قال ابن حجر: وقال ابن العربي حديث

(١) مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب أسماء الله وفضل من أحصاها، حديث: ٢٦٧٧ بترتيب محمد فؤاد عبدالباقي.

(٢) فتح الباري لابن حجر، كتاب جزاء الصيد ـ باب حجّ المرأة عن الرجل ص: ٦٧/٤ ـ ٧٠ حديث: ١٨٥٥.

الخثعمية أصل متفق على صحته في الحج، خارج عن القاعدة المستقرة في الشريعة من أن ليس للإنسان إلا ما سعى، رفقاً من الله في استدراك ما فرّط فيه المرء بولده وماله.

ـ عند شرحه لأحاديث باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجّة الوداع قال: واستدل به على أن أبا موسى كان عالماً فطناً حاذقاً ... ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي، وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه ونسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين، قال ابن العربي وغيره: والحق أنه لم يصدر منه ما يقتضي وصفه بذلك، وغاية ما وقع منه أن اجتهاده أداه إلى أن يجعل الأمر شورى بين من بقي من أكابر الصحابة من أهل بدر ونحوهم[1].

ـ عند شرحه لقول النبي ﷺ: **«أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»** قال: وقال أبو بكر بن العربي: ليست هذه السبعة متعينة الجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش وغيرهم، فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم[2].

٣ ـ نماذج من الاقتباسات الواردة في شرح الزرقاني على الموطأ:

ـ عند شرحه لحديث أم عطية الأنصارية قالت: «دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته فقال: **«أغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتنّ ذلك بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور فإذا فرغتنّ فآذنني»**، قالت: فلما فرغنا آذناه فأعطانا حَقْوَهُ فقال: **«أشعرنها إياه»**، تعني بحقوه إزاره». قال: قال ابن العربي في قوله أو خمساً إشارة إلى الإيتار لأنه نقلهن من الثلاث إلى الخمس، وسكت عن الأربع[3].

(١) فتح الباري ـ كتاب المغازي ـ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ـ ص: ٥٨/٨ ـ ٦٠ حديث: ٤٣٤١.

(٢) المصدر السابق ٢٣/٩ ـ ٣٠ (كتاب فضائل القرآن ـ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث: ٤٩٩١).

(٣) شرح الزرقاني على الموطأ ص: ٥٠/٢ ـ ٥١ (كتاب الجنائز باب غسل الميت حديث رقم: ٢).

ـ وعند شرحه لحديث مالك عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما يلبس المحرم من الثياب فقال رسول الله ﷺ: **«لا تلبسوا القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف إلا أحداً لا يجدُ نعلين فليلبس خفّين وليقطعهما أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا من الثياب شيئاً مسّه الزعفران أو الورس»**.

قال: قال ابن العربي: إن صارا كالنعلين، جاز وإلا فمتى ستراً من ظاهر الرجل شيئاً لم يجز، إلا للفاقد، وهو من لا يقدر على تحصيله لفقده، أو ترك بذل المالك له، أو عجزه عن الثمن إن وجد معه أو عن الأجرة، ولو بيع بغبن لم يلزمه شراؤه، أو وهب له لم يلزمه قبوله، إلا إن أعير له.

قال: وقال ابن العربي: ليس الورس بطيب لكنه نبّه به على اجتناب الطيب وما يشبهه في ملايمة الشمّ، فيؤخذ منه تحريم أنواع الطيب عن المحرم، وهو مجمع عليه فيما يقصد به التطيّب، وهذا الحكم شامل للنساء[1].

ونكتفي بهذه الأمثلة تجنباً للإطالة.

وقد قام الدكتور محمد عبدالله ولد كريم بتحقيق ودراسة كتاب القبس، وطبع بدار الغرب الإسلامي بيروت سنة ١٩٩٢هـ.

وتوجد نسخ مخطوطة من كتاب القبس، في كثير من مكتبات العالم نذكر منها على الخصوص[2]:

ـ نسخة في الخزانة العامة بالرباط رقم (٢٥) ج.

ـ نسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: ك ١٩١٦.

(١) المصدر السابق ص: ٢٢٧/٢ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ و(الموطأ كتاب الحج، باب ما ينهى عنه من لبس الثياب في الإحرام حديث: ٨).

(٢) انظر مقدمة كتاب القبس بتحقيق محمد عبدالله ولد كريم.

ـ نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم ٤٢٧.

ـ نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم ٨٠٠٩.

وقد ألّف الإمام أبن العربي ـ رحمه الله ـ كتاباً آخر في شرح الموطأ أسماه «المسالك في شرح موطأ مالك»[١].



(١) انظر الديباج المذهب لابن فرحون ص: ٢٨٢.



المبحث السادس:
الشروح الأندلسية الأخرى على الموطأ

كتب الأندلسيون شروحاً عديدة على الموطأ نذكر منها:

١ ـ تفسير الموطأ: لعبدالملك بن حبيب، المتوفى سنة: ٢٣٩هـ[١]، وتفسير الموطأ ليحيى بن إبراهيم بن مزين، المتوفى سنة ٢٦٠هـ[٢].

٢ ـ اختصار شرح ابن مزين للموطأ لمحمد بن عبدالله بن يحيى بن أبي زمنين، المتوفى سنة ٣٥٩هـ[٣].

٣ ـ كتاب الاستنباط لمعاني السنن والأحكام من أحاديث الموطأ في ثمانين جزءاً لمحمد بن يحيى بن محمد بن الحذاء التميمي، المتوفى سنة ٤١٠هـ، وله أيضاً كتاب التعريف برجال الموطأ في أربعة أسفار[٤].

٤ ـ تفسير الموطأ لعبدالرحمٰن بن مروان القنازعي أبو المطرّف، المتوفى سنة ٤١٣هـ[٥].

٥ ـ تفسير الموطأ لأبي عبدالملك مروان بن محمد الأسدي الأندلسي

(١) الديباج المذهب ص: ١٥٤.
(٢) بغية الملتمس ص: ٤٨٢ رقم: ١٤٥٧ والديباج المذهب ص: ٣٥٤.
(٣) الديباج المذهب ص: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٤) نفس المصدر السابق ص: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.
(٥) بغية الملتمس ص: ٣٥٨ رقم: ١٠٤٢.

الأصل، المتوفى قبل ٤٤٠هـ[1].

٦ ـ الموعب في تفسير الموطأ لأبي الوليد يونس بن عبدالله بن محمد بن مغيث المعروف بابن الصفّار، المتوفى سنة ٥٣١هـ[2].

٧ ـ مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح البخاري لمحمد بن خلف بن موسى[3]، المتوفى سنة ٥٣٧هـ.

٨ ـ كتاب الأنوار لمحمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن زرقون، المتوفى سنة ٥٨٦هـ جمع فيه بين المنتقى والاستذكار[4].

توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الأزهرية تحت رقم (حديث ٤٢)، ونسخة مصورة من الجزء الثالث من الكتاب كتبت في القرن السابع يبتدئ من كتاب الخلع وينتهي بكتاب القضاء ـ موجودة في معهد إحياء المخطوطات العربية تحت رقم ٢٣٧[5].



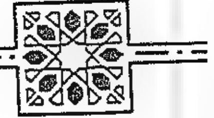
(١) نفس المصدر السابق ص: ٤٤٦ رقم: ١٣٤١.
(٢) بغية الملتمس ص: ٤٩٩ رقم: ١٥٠٠ والديباج المذهب ص: ٣٦٠.
(٣) الديباج المذهب ص: ٣١٣.
(٤) الديباج المذهب ص: ٢٨٥.
(٥) فهرس المخطوطات المصورة لفؤاد سيد ص: ٧٨ (دار الرياض ـ القاهرة ١٩٥٤م).

الفصل الثاني

جهود علماء الأندلس في شرح الصحيحين

المبحث الأول: الشروح الأندلسية لصحيح البخاري واختصاراته.

المبحث الثاني: الشروح الأندلسية لصحيح مسلم واختصاراته.



المبحث الأول:
الشروح الأندلسية لصحيح الإمام البخاري

لقد انصبّ اهتمام علماء الأندلس على دراسة موطأ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ دراسة معمّقة، فعنوا بتحقيق سماعاته وشرح معانيه والتعريف برجاله. ولم تكن عنايتهم بالجامع الصحيح للإمام البخاري، تقلّ أهمية عن عنايتهم بالموطأ، فقد عرف صحيح البخاري طريقه للأندلس بروايات مختلفة أقدمها رواية عبدالله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي، المتوفى سنة ٣٩٢هـ.

ومن أوائل الذين عنوا بالجامع الصحيح: أبو الوليد هشام بن عبدالرحمٰن بن عبدالله المعروف بابن الصابوني، المتوفى سنة ٤٢٣هـ، الذي كتب: تفسير البخاري ثم شرح غريب كتاب البخاري. وتلاه أبو القاسم المهلّب بن أبي صفرة وأحمد بن رشيق وابن بطال وغيرهم.

وفي هذا المبحث نتعرّف على أهم الشروح والمختصرات الأندلسية للجامع الصحيح للإمام البخاري، فنذكر المطبوع منها ونشير إلى مكان وجود المخطوط، وننبّه على من ذكر المفقود، ثم ندرس مناهج ثلاثة نماذج من ذلك هي:

- شرح صحيح البخاري للمهلب بن أبي صفرة.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال.

ـ ومشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض.

ـ أهمّ الشروح والمختصرات الأندلسية لصحيح البخاري:

١ ـ تفسير البخاري لهشام بن عبدالرحمٰن بن عبدالله المعروف بابن الصابوني أبو الوليد، المتوفى سنة ٤٢٣هـ ذكره ابن خير في فهرسته[١]، وابن بشكوال في الصلة[٢].

٢ ـ شرح غريب كتاب البخاري لهشام بن عبدالرحمٰن بن الصابوني أيضاً[٣].

٣ ـ شرح المهلّب بن أبي صفرة على البخاري: لأبي القاسم المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة وهو ما سنتناوله بشيء من التفصيل عند دراسة النماذج.

وقد اختصر هذا الشرح تلميذه، أبو عبدالله محمد بن خلف بن المرابط الأندلسي[٤]، الصدفي المتوفى بالمرية سنة ٤٨٥هـ[٥].

٤ ـ كلام مدوّن على تراجم كتاب صحيح البخاري ومعاني ما أشكل من ذلك لأحمد بن رشيق[٦]، المتوفى بعد ٤٤٠هـ.

(١) فهرسة ابن خير ص: ١٩٨.
(٢) الصلة لابن بشكوال ص: ٦٥٠/٢.
(٣) فهرسة ابن خير ص: ١٩٨ وهدية العارفين ص: ٨٠٣/٢.
(٤) انظر بغية الملتمس ص: ٦٣ رقم: ١٠٣.
(٥) انظر كشف الظنون ٥٤٥/١.
(٦) هو أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب ـ نشأ في مرسية وانتقل إلى قرطبة وطلب الأدب فبرز فيه، وشارك في سائر العلوم ومال إلى الفقه والحديث، قال الحميدي: وما رأينا من أهل الرياسة من يجري مجراه مع همّة مفرطة وتواضع وحلم عرف به مع القدرة، مات بعد الأربعين وأربعمائة عن سنّ عالية، له كلام مدوّن على تراجم كتاب الصحيح لأبي عبدالله البخاري، ومعاني ما أشكل من ذلك. (بغية الملتمس ص: ١٦٦ رقم: ٤٠٠).

٥ ـ شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف بن عبدالملك المعروف بابن بطال القرطبي المالكي[1]، المتوفى سنة ٤٤٤هـ.

٦ ـ ولابن بطال أيضاً «معونة القاري» في شرح البخاري توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة القرويين بفاس تحت رقم ٤٥١[2].

٧ ـ كتاب «أجوبة على الصحيح (صحيح البخاري)»، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي، المتوفى سنة ٤٥٦هـ[3].

٨ ـ شرح صحيح البخاري لأبي حفص عمر بن الحسن بن عمر الهوزني الإشبيلي، المتوفى سنة ٤٦٠هـ[4].

٩ ـ الأجوبة الموعبة على المسائل المستغربة في كتاب البخاري: للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، توجد منه نسخة مخطوطة في تركيا، نسخت في أوائل القرن السابع الهجري[5].

١٠ ـ شرح صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن خلف بن سعيد بن وهب بن المرابط، قاضي المرية المتوفى بها في شوال سنة ٤٨٥هـ[6].

---

(١) أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري يعرف بابن اللجام أصلهم من قرطبة وأخرجتهم الفتنة إلى بلنسية، روى عن الطلمنكي وأبي المطرّف القنازعي وأبي الوليد بن يونس، والمهلّب بن أبي صفرة ـ كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، عني بالحديث العناية التامة ـ حدّث عنه جماعة من العلماء وألّف شرح البخاري ـ توفي سنة ٤٤٤هـ (الديباج المذهب ص: ٢٠٣ ـ ٢٠٤). وانظر ترجمته أيضاً في كتاب الصلة ٤١٤/١.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ص: ١٧٤/٣ وهدية العارفين ٦٩٨/٥.

(٣) انظر كشف الظنون ٥٤٥/١ ـ ٥٤٦، ومدرسة الإمام البخاري في المغرب ص: ٥٩٥/٢.

(٤) ذكره القسطلاني في الإرشاد ص: ١٤/١، وانظر كذلك كشف الظنون ٥٤١/١.

(٥) انظر نوادر المخطوطات العربية في المكتبات التركية لرمضان شيشن (طبعة بيروت ـ ١٩٧٥). وسير أعلام النبلاء ١٥٩/١٨.

(٦) انظر بغية الملتمس ص: ٦٣ رقم: ١٠٣ وشذرات الذهب ٣٧٥/٣ والديباج المذهب ص: ٢٧٤.

١١ ـ شرح البخاري لعيسى بن سهل بن عبدالله الأسدي[1]، المتوفى بغرناطة سنة ٤٨٦هـ[2].

١٢ ـ تفسير غريب ما في الصحيحين لأبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح الأندلسي، المتوفى سنة ٤٨٨هـ، توجد منه نسخة في مكتبة أحمد تيمور[3]، وصورة من المخطوطة في معهد إحياء المخطوطات العربية تحت رقم ١٥١[4].

١٣ ـ شرح البخاري المسمى «المجالس» لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المتوفى سنة ٧٩٠هـ، شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري، فيه من الفوائد والتحقيقات ما لا يعلمه إلا الله، كذا قاله صاحب نيل الابتهاج[5].

١٤ ـ التنبيه على الأوهام الواردة في الصحيحين لأبي علي حسين بن محمد بن أحمد الجياني الغساني القرطبي الأصل، المتوفى سنة ٤٩٨هـ، وهو يتناول المتون والأسانيد[6]، منه نسخة بدار إحياء المخطوطات العربية تحت رقم ١٦٦، كتبت سنة ٦٢٨هـ، نقلاً عن خط المؤلف[7].

١٥ ـ شرح الجامع الصحيح للبخاري مؤلفه: أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمي المعروف بابن ورد التميمي، المتوفى سنة

---

(١) عيسى بن سهل بن عبدالله، أبو الأصبغ القاضي، فقيه محدّث مشهور عارف يروي عنه جماعة منهم أبو الحسن أحمد بن أحمد الأزدي (انظر بغية الملتمس ص: ٣٩٠ رقم: ١١٤٥).

(٢) انظر كشف الظنون ص: ٥٤٦/١.

(٣) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ص: ١٦٨/٣ وتاريخ التراث العربي لسزكين ٢٥٥/١.

(٤) انظر فهرس المخطوطات المصورة بدار الكتب المصرية الجزء الأول ص: ٦٨ جمع وتصنيف: فؤاد سيد (القاهرة ـ دار الرياض للطبع والنشر ١٩٥٤).

(٥) انظر نيل الابتهاج ص: ٤٨.

(٦) انظر تاريخ التراث العربي لسزكين ص: ٢١٩/١.

(٧) انظر فهرس المخطوطات المصورة ص: ٧٠.

٥٤٠هـ[1]، قال الضبيّ: ألف في شرح كتاب البخاري كتاباً كبيراً ظهر علمه فيه، وقال القسطلاني: بأنه شرح واسع جداً[2].

١٦ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، المتوفى سنة ٥٤٤هـ، وسيكون هذا الكتاب موضوع النموذج الثالث الذي سندرسه.

١٧ ـ شرح مشكل الصحيحين للقاضي عياض بن موسى اليحصبي أيضاً، توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة كوبريلي باسطنبول تحت رقم ٣٣٤[3].

١٨ ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار: للحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي المعروف بابن قرقول المولود بالمرية سنة ٥٠٥هـ، والمتوفى بفاس سنة ٥٦٩هـ منه نسخ في: جامعة القرويين بفاس رقم: ٥٩٤ ـ ٦٢٤ ـ ١٦٤١. القاهرة ثان: ١٤٩/١[4].

١٩ ـ مختصر صحيح البخاري لأبي محمد عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسين بن سعيد بن إبراهيم الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط، المتوفى ببجاية سنة ٥٨١هـ وهو مرتّب على المسانيد، توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة بطرسبرج ـ رابع ـ رقم ٩٣٥[5].

(١) هو أحمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي أبو القاسم، حافظ مشهور محدّث، مولده في جمادى الآخرة عام ٤٦٥هـ، يروي عن أبي علي الغساني وأبي بكر بن سكرة وغيرهما. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٥٤٠هـ (انظر بغية الملتمس ص: ١٥٥ رقم: ٣٦٢).

(٢) انظر الإرشاد للقسطلاني ص: ٤٢/١، وهدية العارفين ص: ٨٤/٥.

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٨٤/٣.

(٤) انظر المصدر السابق ٢٧٧/٦.

(٥) انظر المصدر السابق ١٦٧/٣ ـ ١٧٥.

٢٠ ـ أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين، لأبي الخطاب عمر بن دحية الكلبي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٣هـ[1].

٢١ ـ اختصار صحيح البخاري وشرح غريبه لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، المتوفى سنة ٦٥٦هـ[2]. توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة القرويين بفاس تحت رقم ٤٤١[3].

٢٢ ـ كتاب «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» مؤلفه جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك النحوي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٧٢هـ، توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الأوقاف العامة في بغداد[4]. وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٩٥٨ بتحقيق الشيخ أحمد فؤاد عبدالباقي، وطبع أيضاً سنة ١٣١٩هـ.

٢٣ ـ كتاب «جمع النهاية» لعبدالله بن سعيد بن أبي جمرة الأندلسي، المتوفى سنة ٦٩٩هـ، ويسمى مختصر ابن أبي جمرة. وهو ثلاثمائة حديث، يوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٦٢١، مكتوباً بخط مغربي جميل، ونسخة أخرى منه تحت رقم ٣٧/(٢٦٣د)، ونسخة بخزانة المسجد الكبير بطنجة[5].

٢٤ ـ كتاب «بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها» لابن

(١) الحافظ الكبير أبو الخطاب عمر بن حسّان بن علي بن محمد بن فرج بن خلف الأندلسي الداني الأصل السبتي، يقال أنه من ولد دحيه الكلبيّ ـ كان بصيراً بالحديث معروفاً بالضبط ولي قضاء دانية ـ مات سنة ٦٣٣هـ (طبقات الحفاظ ص: ٥٠١ رقم: ١١٠٢) وانظر كذلك مدرسة الإمام البخاري في المغرب ص: ٦٠٩/٢.

(٢) الديباج المذهب لابن فرحون ص: ٦٨.

(٣) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ص: ١٧٦/٣.

(٤) انظر فهرسة المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، الجزء الأول ص: ٢٦٧.

(٥) انظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ص: ٣٧٢/١ وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٣٧٢/١، ٤٧٨ ـ ٤٨٠.

أبي جمرة أيضاً، وهو شرح على مختصره للصحيح المسمى (جمع النهاية) آنف الذكر. توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة القرويين بفاس، في جزأين، تحت رقم ١٤٠/٤٠[1]، وقد طبع بمطابع الصدى الخيرية سنة ١٣٤٨هـ.

٢٥ ـ شرح ثلاثيات البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن خروف الحضرمي المولود في أواخر العقد الأول من القرن الثامن الهجري، وكان حيّاً في العقد الثامن منه، وذكر الأستاذ عبدالله المرابط الترغي أن العلامة الباحث البوعبدلّي وقعت بيده نسختان خطيتان من شرح ثلاثيات البخاري[2].

٢٦ ـ ترجمان التراجم على أبواب البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن رشيد، المتوفى سنة ٧٢١هـ[3].

قال الحافظ ابن حجر: ألّف «ترجمان التراجم على أبواب البخاري» أطال فيه النفس ولم يكمل[4]. يوجد مخطوطاً بمكتبة الأسكوريال تحت رقم ١٧٣٢ ـ ١٧٨٥[5].

بعد هذا العرض لأهمّ الشروح الأندلسية لصحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري التي أُلّفت عبر العصور نتناول في المبحث القادم دراسة لمناهج بعض من تلك الشروح.

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣٧٢/١ وتاريخ التراث العربي لسزكين ص: ٣٣٣.

(٢) انظر: جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، لأحمد بن القاضي المكناسي ١٨٨/١، (دار المنصور، الرباط) وانظر كذلك مجلة دعوة الحق العدد ٢٥٩ سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ ـ ص: ١١٣.

(٣) انظر الديباج المذهب ص: ٣١٠.

(٤) انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص: ٥٢٨ رقم: ١١٥٢.

(٥) انظر فهرس الفهارس للكتاني ٣٣٢/١ وكشف الظنون ص: ٥٥١/١، ومدرسة الإمام البخاري في المغرب ص: ٥٧٣/٢.

النموذج الأول:

شرح صحيح البخاري للمهلّب بن أبي صفرة: الذي يعتبر من أقدم الشروح الأندلسية للجامع الصحيح للإمام البخاري، توجد منه قطعة مخطوطة بخزانة ابن يوسف بمراكش وقد حاولت جاهداً الحصول على صورة منها، وطلبت من بعض أهل العلم بمراكش المساعدة في ذلك ولكن دون جدوى، إلى أن اطلعت على دراسة قام بها الأستاذ محمد رستم ـ حفظه الله ـ المدرس بكلية الآداب ببني ملّال بالمغرب ـ حول المخطوطة المذكورة فاستفدت منها، ومن الاقتباسات الكثيرة الواردة في كتاب «فتح الباري» لابن حجر من شرح المهلّب في تحديد منهج المؤلف.

١ ـ التعريف بالمؤلف:

هو أبو القاسم المهلّب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة التميمي الأندلسي، سكن المرية، من أهل العلم الراسخين المتفنّنين في الفقه والحديث والعبادة والنظر.

صحب الأصيلي وتفقّه معه وكان صهره، وسمع القابسي[1]، وأبا ذر الهروي، وولي قضاء مالقة. قال أبو الأصبغ بن سهل: كان أبو القاسم من كبار أصحاب الأصيلي وبه حيي كتاب البخاري بالأندلس لأنه قرأه تفقّهاً أيام قراءته، وشرحه، واختصره اختصاراً مشهوراً سمّاه: النصيح في اختصار الصحيح، وعلّق تعليقاً حسناً على البخاري، وسمع منه ابن المرابط وأبو عمرو بن الحذاء وغيرهما. قال ابن فرحون، توفي سنة ٤٣٣هـ[2]. وذكر الضبيّ أنه مات بعد ٤٢٠هـ[3]، وذهب ابن بشكوال إلى أنه توفي سنة ٤٣٥هـ[4].

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي كان حافظاً للحديث والعلل بصيراً بالرجال له تصانيف بديعة توفي سنة ٤٠٣هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤١٩ رقم: ٩٤٧).

(٢) الديباج المذهب ص: ٣٤٨.

(٣) بغية الملتمس ص: ٤٥٧ رقم: ١٣٧٧.

(٤) الصلة ص: ٦٢٧/٢.

٢ ـ حجم ومحتوى المخطوطة:

تقع القطعة المذكورة في ١٢٣ لوحة خطيّة مسطرة ٢١ سطراً مكتوبة بخط مغربي جيّد، وتحتوي على الكتب الآتية:

١ ـ كتاب الجهاد.

٢ ـ كتاب فرض الخمس.

٣ ـ كتاب الجزية والموادعة.

٤ ـ كتاب العقيقة.

٥ ـ كتاب الصيد والذبائح[١].

٣ ـ منهج المهلّب بن أبي صفرة في شرحه لصحيح البخاري:

أ ـ ترتيب الكتاب:

رتّب المهلّب بن أبي صفرة كتابه على نسق ترتيب الجامع الصحيح للإمام البخاري، من حيث الكتب والأبواب.

فهو يذكر أحاديث الباب جملة واحدة، كاملة دون اختصار وتارة يذكر بعض الأحاديث مختصرة أو يذكر طرفاً منها ويحيل على بقيتها.

ب ـ شرح غريب الحديث:

أولى المهلّب بن أبي صفرة هذا الجانب عناية خاصة في كتابه، لأهمية ذلك في تقريب معنى الحديث للقارئ، مستعيناً بأقوال أهل الاختصاص:

فعند شرحه لحديث سعيد بن ميناء[٢]، قال: سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «قلت: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً

---

(١) مجلة دعوة الحق العدد ٣١٧ السنة ٣٤ شوال ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٢) سعيد بن ميناء مولى البختري بن أبي ذباب الحجازي، يكنى: أبا الوليد، ثقة من الثالثة (تقريب التهذيب ص: ٢٤١ رقم: ٢٤٠٣).

من شعير فتعال أنت ونفر، فصاح النبي ﷺ فقال: **يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سؤراً، فحي هلا بكم**»[١].

قال المهلّب: وقوله: «**فحي هلا بكم**» قال الفراء «معنى (حيّ) عند العرب: «هلم وأقبل» أي هلمّوا إلى طعام جابر، وأقبلوا إليه ... ومنه قول ابن مسعود: «إذا ذكر الصالحون فحي هلا لعمر»، معناه أقبلوا على ذكر عمر ...»[٢].

جـ ـ الاستنباطات الفقهية:

تميّز شرح المهلب بن أبي صفرة ـ رحمه الله ـ بكثرة الاستنباطات الفقهية واستخراج الأحكام الشرعية من الأحاديث المشروحة.

ـ فعند شرحه لحديث المرأة التي عرضت نفسها على النبي ﷺ[٣] ـ قال المهلّب: «فيه أن على الرجل أن لا ينكحها إلا إذا وجد في نفسه رغبة فيها، ولذلك صعّد النظر فيها وصوّبه» ... وفيه جواز سكوت العالم ومن سئل حاجة إذا لم يرد الإسعاف، وأن ذلك ألين في صرف السائل وأأدب من الردّ بالقول[٤].

ـ وعند شرحه لقول الرسول ﷺ: «**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدّموني، وإن كانت غير**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ـ باب من تكلم بالفارسية والرطانة، حديث رقم: ٣٠٧٠، وأطرافه في كتاب المغازي ـ باب غزوة الخندق وهي الأحزاب أحاديث رقم: ٤١٠١ و ٤١٠٢.

(٢) شرح المهلّب بن أبي صفرة (لوحة ٤٢) نقلاً عن مجلة دعوة الحق ص: ١٣٨ عدد ١٣٧ شوال ١٤١٦هـ.

(٣) الحديث عن سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعّد النظر إليها وصوّبه ثم طأطأ رأسه... الحديث» أخرجه البخاري في كتاب النكاح ـ باب: النظر إلى المرأة قبل التزويج، حديث رقم: ٥١٢٦.

(٤) انظر فتح الباري ١٧٥/٩ كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح.

صالحة، قالت لأهلها: يا ويلها. أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق»[1].

قال المهلّب: الحكمة في أن الله يُسْمِعُ الجنّ قول الميّت: قدّموني، ولا يسمعهم صوته إذا عُذّب، بأن كلامه قبل الدفن متعلّق بأحكام الدنيا، وصوته إذا عُذّب في القبر متعلّق بأحكام الآخرة، وقد أخفى الله على المكلّفين أحوال الآخرة إلا من شاء الله[2].

د ـ <u>شرح تراجم البخاري ومناسبتها لأحاديث الباب:</u>

ففي باب ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ والنهْد[3]، والاجتماع على الطعام.

أورد البخاري حديث: «سويد بن النعمان[4]، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فلما كنّا بالصهباء، دعا رسول الله ﷺ بطعام، فما أُتي إلا بسويق، فلكنّاه فأكلنا منه، ثم دعا بماء فمضمض ومضمضنا، فصلى بنا المغرب ولم يتوضأ»[5].

قال المهلّب: مناسبة الآية لحديث سويد ما ذكره أهل التفسير، أنهم كانوا إذا اجتمعوا للأكل عزل الأعمى على حدة والأعرج على حدة والمريض على حدة لتقصيرهم عن أكل الأصحاء، فكانوا يتحرّجون أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول الميّت وهو على الجنازة: قدّموني. حديث رقم: ١٣١٦ ـ وفي باب حمل الرجال الجنائز دون النساء حديث رقم: ١٣١٤.

(٢) انظر فتح الباري ص: ٢٤٠/٣ كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في عذاب القبر.

(٣) النهد: هو النفقة بالسوية في السفر وغيره (انظر فتح الباري ص: ١٢٩/٥).

(٤) هو سويد بن النعمان بن مالك الأنصاري ـ صحابي شهد أُحداً وما بعدها، ما روى عنه سوى بشير بن يسار ـ أخرج له البخاري والنسائي وابن ماجه (التقريب ص: ٢٦٠ رقم: ٢٧٠٠).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ـ باب ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ...﴾ حديث رقم: ٥٣٨٤.

يتفضلوا عليهم، وهذا عن ابن الكلبي[1]، وقال عطاء بن يزيد[2]: كان الأعمى يتحرّج أن يأكل طعام غيره، لجعله يده في غير موضعها، والأعرج كذلك لاتساعه في موضع الأكل، والمريض لرائحته، فنزلت هذه الآية، فأباح لهم الأكل مع غيرهم. وفي حديث سويد معنى الآية، لأنهم جعلوا أيديهم فيما حضر من الزاد سواء، مع أنه لا يمكن أن يكون أكلهم بالسواء لاختلاف أحوال الناس في ذلك، وقد سوّغ لهم الشارع ذلك مع ما فيه من الزيادة والنقصان، فكان مباحاً، والله أعلم[3].

هـ ـ <u>اعتراضات المهلّب على البخاري في عدم إيراده لحديث معين في أحد الأبواب:</u>

ففي باب متى يصحّ سماع الصغير؟. أورد البخاري حديث محمود بن الربيع[4]، قال: عقلت من النبي ﷺ مجّة مجّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو[5].

قال ابن حجر: وقد اعترض المهلّب على البخاري لكونه لم يذكر هنا حديث[6]، ابن الزبير في رؤية والده يوم بني قريظة ومراجعته له في ذلك،

---

(١) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسّابة المفسّر ـ متهم بالكذب ورُمي بالرفض ـ مات سنة ١٤٦ (التقريب ص: ٤٧٩ رقم: ٥٩٠١).

(٢) عطاء بن يزيد الليثي المدني ـ نزيل الشام، ثقة ـ مات سنة ١٠٥ ـ أو ـ ١٠٧ وقد جاوز الثمانين (التقريب ص: ٣٩٢ رقم: ٤٦٠٤).

(٣) انظر فتح الباري ص: ٥٢٩/٩.

(٤) محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو الخزرجي، أبو نعيم أو أبو محمد، المدني ـ صحابي صغير وجلّ روايته عن الصحابة، أخرج له الجماعة (التقريب ص: ٥٢٢ رقم: ٦٥١٢).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب العلم ـ باب متى يصح سماع الصغير حديث رقم: ٧٧.

(٦) الحديث: عن عبدالله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جُعلتُ أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «فداك أبي وأمي». (كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب الزبير بن العوام ـ حديث رقم: ٣٧٢٠).

ففيه السماع منه، وكان سنه إذ ذاك ثلاث سنين أو أربعاً، فهو أصغر من محمود. وليس في قصة محمود ضبطه لسماع شيء فكان ذكر حديث ابن الزبير أولى لهذين المعنيين[١].

و ـ شرح المسائل العقائدية:

عند شرحه لحديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خلق كل شيء فمن خلق الله»[٢].

وفي رواية: «فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»[٣]

وفي رواية أخرى: «ذلك صريح الإيمان»[٤].

قال المهلّب: «قوله صريح الإيمان، يعني الانقطاع في إخراج الأمر إلى ما لا نهاية له، فلا بدَّ عند ذلك، من إيجاد خالق لا خالق له لأن المتفكّر العاقل يجد للمخلوقات كلها خالقاً لأثر الصنعة فيها والحدث الجاري عليها، والخالق بخلاف هذه الصفة، فوجب أن يكون لكل منها خالق لا خالق له، فهذا صريح الإيمان، لا البحث الذي هو من كيد الشيطان المؤدي إلى الحيرة»[٥].

وعند شرحه لحديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحرّم فحرّم من أجل مسألته»[٦]، قال المهلّب: «ظاهر الحديث يتمسك به القدرية في أن الله يفعل شيئاً من أجل

(١) انظر فتح الباري ص: ١/١٧٣.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ـ باب ما يكره من كثرة السؤال حديث رقم: ٧٢٩٦.
(٣) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده ـ حديث رقم: ٣٢٧٦.
(٤) انظر فتح الباري ص: ١٣/٢٧٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ـ باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلّف ما لا يعنيه، وقوله تعالى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.
(٥) نفسه المصدر السابق.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة حديث رقم: ٧٢٨٩.

شيء، وليس كذلك، بل هو على كل شيء قدير، فهو فاعل السبب والمسبّب كل ذلك بتقديره، ولكن الحديث محمول على التحذير ممّا ذكر فعظم جرم من فعل ذلك لكثرة الكارهين لفعله[١].

ز ـ الصناعة الحديثية:

حظي هذا الموضوع في شرح المهلّب بن أبي صفرة بنصيب وافر، حيث نراه ينتقد الرّواة ويبيّن أوهام بعضهم، ويناقش مناسبات تراجم البخاري.

فعند شرحه لحديث مجاهد قال: «كنّا عند ابن عبّاس رضي الله عنهما، فذكروا الدجّال أنه قال: مكتوب بين عينيه: كافر. فقال ابن عباس: لم أسمعه. ولكنه قال: أمّا موسى كأنني أنظر إليه إذا انحدر في الوادي يلبّي»[٢].

قال المهلّب: هذا وهم من بعض رواته لأنه لم يأت أثر ولا خبر أن موسى حيّ وأنه سيحجّ، وإنما أتى ذلك عن عيسى فاشتبه على الراوي، ويدلّ عنه قوله في الحديث الآخر: «ليهلنّ ابن مريم بفجّ الروحاء» انتهى. وتعقبه ابن حجر بقوله: وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم[٣]. وتعقبه كذلك ابن المنير في الحاشية بقوله: «توهيم المهلّب للراوي وهم منه»[٤].

٤ ـ اهتمام العلماء بشرح المهلّب بن أبي صفرة:

ترجع أهمية شرح المهلّب بن أبي صفرة إلى:

(١) انظر فتح الباري ص: ١٣/٢٦٨.
(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحج باب التلبية إذا انحدر في الوادي، حديث رقم: ١٥٥٥.
(٣) انظر فتح الباري ٣/٤١٤.
(٤) انظر فتح الباري ٣/٤١٥. وابن المنير هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر بن علي المعروف بابن المنير الجروي الجذامي الإسكندري، المتوفى سنة ٦٨٣هـ (الديباج المذهب ص: ٧١).

كونه من أقدم الشروح لصحيح الإمام البخاري، حيث اقتبس منه الأئمة الشراح الذين جاؤوا من بعده خاصة:

١ ـ أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك المعروف بابن بطال القرطبي المالكي، المتوفى سنة ٤٤٩هـ، تلميذ المهلّب بن أبي صفرة، الذي نقل في شرحه للصحيح كثيراً من أقوال وآراء شيخه المهلّب، ورغم أن كتاب ابن بطال لا يزال مخطوطاً، إلا أن الحافظ ابن حجر نقل لنا في «الفتح» جملة وافرة من سؤالات ابن بطال لشيخه المهلّب حول أحاديث البخاري.

٢ ـ الحافظ محمد بن يوسف بن علي الكرماني في كتابه «الكواكب الدراري».

٣ ـ الحافظ ابن حجر الذي نقل من شرح المهلّب جملة وافرة من أقواله وشروحه واستنباطاته.

٤ ـ بدر الدين العيني: الذي نقل هو الآخر جملة من أقوال وشروح المهلّب لأحاديث البخاري في كتابه «عمدة القاري».

٥ ـ الحافظ أحمد بن محمد القسطلاني[1]، في كتابه «إرشاد الساري».

إن اهتمام جهابذة المحدّثين والشرّاح بكتاب المهلّب بن أبي صفرة، هو دليل على المكانة المرموقة التي احتلها هذا الشرح بين شروح البخاري الأخرى، وذلك لتنوع مصادره، وكثرة استنباطاته، وغزارة فوائده ولطائفه.

وحتى تعمّ الفائدة من هذا الكنز العظيم، أسأل الله أن ييسر جمع قطعه المخطوطة وتحقيقها وإخراجها لتثري المكتبة الإسلامية ويستفيد منها طلبة العلم والباحثون.

(١) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالله القسطلاني ـ أبو العباس القاهري الشافعي ولد سنة ٨٥١هـ أخذ عن الحافظ السخاوي وغيره ـ شرح البخاري ومسلم ـ توفي رحمه الله سنة ٩٢٣هـ.

النموذج الثاني:

شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف بن بطال البكري المعروف بابن اللجام، وهو من أشهر الشروح الأندلسية للجامع الصحيح.

توجد منه نسخ مخطوطة في مكتبات المملكة المغربية، منها نسخة في مكتبة القرويين بفاس تحت رقم ٤٢٣، وأخرى في مكتبة ابن يوسف بمراكش تحت رقم ٤٨٥[1]، وقطعة في مكتبة القرويين تحت رقم ١٢٧، وأخرى في الخزانة العامة بالرباط برقم ٢٣٩، وقطعة ثالثة في خزانة الجامع الكبير بمكناس تحت رقم ٣٣[2].

كما توجد نسخة من كتاب «معونة القاري» في شرح البخاري لابن بطال أيضاً بمكتبة القرويين بفاس تحت رقم ٤٥١[3].

ولا أستبعد أن يكونا كتاباً واحداً، إذ لم تشر المصادر التي ترجمت لابن بطال أن له شرحين لصحيح البخاري، والظاهر أن بعض المخطوطات أثبت عليها عنوان الكتاب ولم يثبت في غيرها، مما يوهم أنهما كتابان، والله أعلم.

ـ منهج ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري:

إن النسخ المخطوطة لهذا الشرح لم تر النور بعد، ولم تمتد إليها يد المحققين ليستفيد منها طلبة العلم، وعليه فالكلام على منهج ابن بطال في شرح البخاري لا يكون كاملاً.

وقد حاولت الاستفادة في تحديد ملامح هذا المنهج من الاقتباسات الكثيرة الواردة في شروح كتب السنّة مثل: شرح النووي على صحيح

(١) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ص: ١٧٤/٣ ـ وتاريخ التراث العربي لسزكين ص: ٢٢٩/١ ومجلة دعوة الحق رقم: ٣١٧ سنة ١٩٩٦ ص: ١٤٢.
(٢) انظر: الإلماع للقاضي عياض ـ هامش صفحة ١١٥ (تحقيق الأستاذ أحمد صقر).
(٣) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ص: ١٧٤/٣ ـ وهدية العارفين ص: ٦٩٨/٥.

مسلم، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني، وعمدة القاري لبدر الدين العيني، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك.

وبعد جمع ودراسة ما تيسّر لي من تلك الاقتباسات أمكنني حصر المعالم الرئيسية للمنهج الذي سلكه ابن بطال أثناء شرحه في الآتي:

١ ـ ترتيب الكتاب:

يبدو أن الإمام ابن بطال ـ رحمه الله ـ حافظ في شرحه على ترتيب صحيح البخاري من حيث تقسيمه إلى كتب وأبواب. فهو يتناول بالشرح والتعليق التراجم وما تحتويه من أحاديث معلقة إضافة إلى أحاديث الأبواب التي هي صلب الكتاب.

٢ ـ الاستنباطات الفقهية:

يتميّز شرح ابن بطال لصحيح البخاري بكثرة الاستنباطات الفقهية، فهو في غالبه في فقه الإمام مالك، دون كثير تعرّض لعلوم الحديث التي حفل بها الجامع الصحيح، ولتوضيح ذلك نورد الأمثلة الآتية:

أ ـ بيان تراجم البخاري ومناسبتها للحديث:

عند شرحه لباب «نزل القرآن بلسان قريش والعرب» ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾، ذكر حديث صفوان بن يعلى بن أمية أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي، فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلّ عليه ومعه الناس من أصحابه، إذ جاء رجل متضمّخ بطيب فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم في جبّة بعدما تضمّخ بطيب، فنظر النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى ـ أي تعالى ـ، فجاء يعلى فأدخل رأسه، فإذا هو محمّر الوجه يغط كذلك ساعة، ثم سرّي عنه فقال: **«أين الذي يسألني عن العمرة آنفاً؟»** فالتمس الرجل فجيء به إلى النبي ﷺ فقال: **«أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبّة فانزعها، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في**

حجّك»(١). قال ابن بطال: «مناسبة الحديث للترجمة أن الوحي كله متلواً كان أو غير متلو إنما نزل بلسان العرب، ولا يُرَدّ على هذا كونه ﷺ بعث إلى الناس كافة عرباً وعجماً وغيرهم لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي، وهو يبلغه إلى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم»(٢).

ب ـ اعتراض ابن بطال على بعض تراجم البخاري:

ـ عند تناوله لباب «تزويج الصغار من الكبار».

قال ابن بطال: «يجوز تزويج الصغيرة بالكبير إجماعاً ولو كانت في المهد، لكن لا يُمَكَّن منها حتى تصلح للوطء» قال ابن حجر: فرمز بهذا إلى أن لا فائدة للترجمة لأنه أمر مجمع عليه(٣).

وعند تناوله لباب: الشهادة سبع سوى القتل وذكره لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله»** قال ابن بطال: «لا تخرج هذه الترجمة مع الحديث أصلاً..وهذا يدل على أنه مات قبل أن يهذّب كتابه»(٤).

جـ ـ استخراج الأحكام الشرعية من الأدلة:

احتل هذا الجانب حظاً وافراً وحيزاً كبيراً من شرح ابن بطال. والأمثلة على ذلك يزخر بها الشرح كله وحسبنا هنا أن نسوق الأمثلة الآتية:

ـ عند شرحه لحديث جمع سيدنا عثمان رضي الله عنه ـ القرآن في مصحف واحد «وأمر بما سواه من القرآن في كل صفحة أو مصحف أن

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب، حديث رقم: ٤٩٨٥.

(٢) انظر فتح الباري ص: ١٠/٩.

(٣) المصدر السابق ص: ١٢٤/٩.

(٤) نفس المصدر السابق ص: ٤٣/٦ والحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد حديث رقم: ٢٨٢٩.

يحرق»[1]. قال ابن بطال: «في هذا الحديث جواز تحريق الكتب التي فيها اسم الله بالنار وأن ذلك إكرام لها وصون عن وطئها بالأقدام»[2].

وعند شرحه لحديث زينب بنت أبي سلمة: قالت زينب دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مسحت بعارضيها ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث ليالٍ إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً**»[3].

قال ابن بطال: أباح الشارع للمرأة أن تحدّ على غير الزوج ثلاثة أيام لما يغلب من لوعة الحزن ويهجم من أليم الوجد، وليس ذلك واجباً للاتفاق على أن الزوج لو طالبها بالجماع لم يحل لها منعه في تلك الحالة[4].

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال: حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليكِ. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

(٢) انظر فتح الباري ص: ٢١/٩.

(٣) انظر موطأ الإمام مالك كتاب الطلاق ـ باب ما جاء في الإحداد حديث رقم: ١٣٠٦ والبخاري في الجنائز باب إحداد المرأة حديث رقم: ١٢٠١.

(٤) انظر شرح الزرقاني على الموطأ ص: ٢٣٢/٣.

وعند شرحه لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**»[1].

قال ابن بطال: في هذا الحديث تفضيل بعض المخلوقات على بعض، وفيه إخبار المرء عن نفسه بما فضّله الله به على سبيل التحدّث بالنعمة لا على الفخر. وفيه الإخبارُ عن الأمم الماضية وإهلاكها[2].

د ـ التركيز على ذكر مذهب إمام دار الهجرة وعلماء المذهب في المسائل الفقهية:

احتل هذا الجانب من شرح الإمام أبي الحسن بن بطال ـ رحمه الله ـ حيّزاً واسعاً، فهو يورد ـ إضافة إلى أقوال الإمام مالك، رحمه الله ـ أقوال وآراء كبار علماء المذهب كابن وهب وابن القاسم وغيرهما، وفيما يلي نماذج من ذلك.

ـ عند شرحه ترجمة البخاري لـ: «باب الأضحى والنحر بالمصلى»[3]. قال ابن بطال: «**هو سنّة للإمام خاصة عند مالك، قال مالك فيما رواه ابن وهب: إنما يفعل ذلك لئلا يذبح أحد قبله**»[4].

ـ عند شرحه لقول الرسول ﷺ: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عزَّ وجلَّ والصلاة وقراءة القرآن**»[5]، نقل الإمام أبو الحسن ابن بطال المالكي إباحة الوضوء في المسجد عن ابن

(١) انظر صحيح البخاري ـ كتاب بدء الخلق ـ باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ حديث رقم: ٣٢٠٥ (والصبا: ريح مهبها جهة الشرق، ويقابلها: الدبور، أي الريح الغربية) مختار الصحاح ص: ١٩٧.

(٢) انظر فتح الباري ص: ٣٠١/٦.

(٣) انظر فتح الباري ص: ٩/١٠ كتاب الأضاحي ـ باب الأضحى والنحر بالمصلّى.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم عن أنس بن مالك كتاب الطهارة ـ باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد حديث رقم: ٢٨٥ ص: ٢٣٧/١.

عمر وابن عباس وعطاء وطاووس[1]، وابن القاسم المالكي وأكثر أهل العلم، وعن ابن سيرين[2]، ومالك وسحنون أنهم كرهوه تنزيهاً للمسجد[3].

٣ ـ شرح المسائل العقائدية:

لم يهمل الإمام ابن بطال هذا الجانب، فقد عني بشرح وتوضيح المسائل العقائدية الواردة في الأحاديث والردّ على الفرق المخالفة وبيان ما يراه صوابا فيها، من ذلك:

ـ عند شرحه لحديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟»[4] قال ابن بطال: «فإن قال الموسوس فما المانع أن يخلق الخالق نفسه؟ قيل له: هذا ينقض بعضه بعضاً، لأنك أثبت خالقاً وأوجبت وجوده ثمّ قلت: يخلق نفسه فأوجبت عدمه، والجمع بين كونه موجوداً معدوماً فاسد لتناقضه، لأن الفاعل يتقدم وجوده على وجود فعله، فيستحيل كون نفسه فعلاً له»[5].

ـ وعند شرحه لترجمة البخاري «باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾» قال ابن بطال في هذه الآية إثبات يدين لله، وهما صفتان من صفات ذاته وليستا بجارحتين خلافاً للمشبهة من المثبتة، وللجهمية من المعطلة، ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة، أنهم أجمعوا

(١) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبدالرحمٰن الحميري مولاهم الفارسي ـ يقال اسمه ذكوان. وطاووس لقب، ثقة فقيه فاضل، من الثالثة مات سنة ١٠٦هـ أو بعدها (التقريب ص: ٢٨١ رقم: ٣٠٠٩).

(٢) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد، كبير القدر مات سنة ١١٠هـ (تقريب التهذيب ص: ٤٨٣ رقم: ٥٩٤٧).

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ص: ١٩٢/٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلّف ما لا يعنيه ـ حديث رقم: ٧٢٩٦.

(٥) انظر فتح الباري ص: ٢٧٣/١٣.

على أنه له قدرة واحدة في قول المثبتة، ولا قدرة له في قول النفاة، لأنهم يقولون إنه قادر لذاته، ويدلّ على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1]. إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود. فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته، ولقال إبليس وأي فضيلة له عليّ وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك، فلما قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[2]، دلّ على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه، قال: ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان، لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق، لأن النعم مخلوقة ولا يلزم من كونهما صفتي ذات أن يكونا جارحتين[3].

٤ ـ الشرح اللغوي:

اهتم الإمام ابن بطال بهذا الجانب في كتابه، وعني بشرح غريب الحديث وتبسيطه، مستعيناً في ذلك بالنقول عن أهل اللغة.

ـ فعند شرحه لحديث أنس رضي الله عنه «كان النبي ﷺ شثن القدمين والكفين»[4].

قال ابن بطال: «كانت كفّه ﷺ ممتلئة لحما، غير أنها مع ضخامتها كانت ليّنة. قال: وأما قول الأصمعي الشثن غلظ الكف مع خشونتها. فلم يوافق على تفسيره بالخشونة، ... وعلى تقدير تسليم ما فسّر الأصمعي به الشثن، يحتمل أن يكون أنس وصف حالتي كفّ النبي ﷺ، فكان إذا عمل بكفّه في الجهاد أو في مهنة أهله صار كفّه خشناً للعارض المذكور، وإذا ترك ذلك رجع كفّه إلى أصل جبلّته من النعومة، والله أعلم»[5].

(١) سورة ص، آية: ٧٥.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٢.

(٣) انظر فتح الباري ص: ٣٩٣/١٣ ـ ٣٩٤.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب اللباس ـ باب الجعد، حديث رقم: ٥٩١٠.

(٥) انظر فتح الباري ص: ٣٥٩/١٠.

وعند شرحه لحديث عبدالله بن عمر قال: (سمعت عمر رضي الله عنه يقول: من ضفر فليحلق، ولا تشبهوا بالتلبيد، وكان ابن عمر يقول: لقد رأيت رسول الله ﷺ ملبّداً)[1].

قال ابن حجر: «وأما قوله: «تشبهوا» فحكى ابن بطال أنه بفتح أوله والأصل لا تتشبهوا فحذفت إحدى التاءين، قال: ويجوز ضم أوله وكسر الموحدة، والأول أظهر»[2].

٥ ـ تعقبات العلماء لابن بطال في شرحه لصحيح البخاري:

لقد استفاد الأئمة الشرّاح من شرح ابن بطال واقتبسوا منه في كتبهم، واستشهدوا بآرائه، مع ذلك فقد تناولوه بالنقد والاعتراض في جوانب منها:

ـ في الاستنباطات الفقهية:

عند شرحه لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم...»**[3]، ومناقشته لترجمة البخاري للحديث بقوله: «باب وجوب صلاة الجماعة» قال ابن بطال وغيره: «لو كانت فرضاً لقال: حين توعد بالإحراق من تخلّف عن الجماعة، لم تجزئه صلاته، لأنه وقت البيان وتعقّبه ابن دقيق العيد بأن البيان قد يكون بالتنصيص، وقد يكون بالدلالة، فلما قال ﷺ: «لقد

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب اللباس ـ باب التلبيد. حديث رقم: ٥٩١٤.

(2) انظر فتح الباري ص: ٣٦١/١٠.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب وجوب صلاة الجماعة حديث رقم: ٦٤٤، وفي باب فضل العشاء في جماعة حديث رقم: ٦٥٧، وفي كتاب الخصومات باب إخراج أهل المعاصي والخصوم من البيوت بعد المعرفة حديث رقم: ٢٤٢٠ ـ وفي كتاب الأحكام ـ باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة حديث رقم: ٧٢٢٤.

هممت... إلخ» دلّ على وجوب الحضور وهو كاف في البيان[1].

ـ في ادعاء الإجماع على أمر من الأمور:

عند تناوله لأحاديث باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ذهب ابن بطال إلى اتفاق العلماء على أنه لا يستحب الزيادة فوق المرفق والكعب في الوضوء. وتعقّبه الإمام النووي بقوله: «وأما دعوى الإمام أبي الحسن بن بطال المالكي والقاضي عياض اتفاق العلماء على أنه لا يستحب الزيادة فوق المرفق والكعب فباطلة، وكيف تصح دعواهما وقد ثبت فعل ذلك عن رسول الله ﷺ وأبي هريرة رضي الله عنه، وهو مذهبنا لا خلاف فيه عندنا كما ذكرناه ولو خالف فيه مخالف كان محجوجاً بهذه السنن الصحيحة الصريحة، وأما احتجاجهما بقوله ﷺ: **«من زاد على هذه أو نقص فقد أساء وظلم»** فلا يصح، لأن المراد من زاد في عدد المرات، والله أعلم»[2].

ـ في الاعتراض على البخاري في عدم إيراد حديثاً في باب معيّن:

عند تناوله لأحاديث باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[3]. وهي أربعة أحاديث تتعلق بتحريم الخمر قال ابن بطال: «وإنما أدخل البخاري هذه الأحاديث المشتملة على الوعيد الشديد في هذا الباب ليكون عوضاً عن حديث ابن عمر: «كل مسكر حرام»[4]، وإنما لم يذكره في هذا الباب لكونه روي موقوفاً»، قال ابن حجر: «وفيه نظر لأن في الوعيد قدراً زائداً على مطلق التحريم، وقد ذكر البخاري ما يؤدي معنى حديث ابن عمر»[5].

(1) انظر فتح الباري ص: ١٢٦/٢.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الطهارة ـ باب استحباب إطالة الغرّة والتحجيل في الوضوء ص: ١٣٤/٣.

(3) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(4) مسند الإمام أحمد ٢٧٤/١ ـ ٢٧٩، عن ابن عباس وفتح الباري ٦٢/٨ ـ ٣٤/١٥ والتمهيد ٢٥٢/١.

(5) انظر فتح الباري ص: ٣٤/١٠ كتاب الأشربة.

٢ ـ مصادر ابن بطال في شرح البخاري:

تنوّعت مصادر الإمام أبي الحسن ابن بطال، في شتى فنون الحديث والتفسير والفقه واللغة، والحقيقة أن تحديد تلك المصادر من الصعوبة بمكان خاصة وأن المؤلف قد يذكر اسم المصنِّف ولا يذكر اسم الكتاب الذي أخذ منه، وبالعكس، مع ذلك فقد أمكنني حصر بعض تلك المصادر التي منها ما هو في التفسير كالنقول من تفسير بقي بن مخلد[1].

- ومنها ما هو في شرح الحديث كالنقول الكثيرة من شرح شيخه المهلّب بن أبي صفرة لصحيح البخاري[2].

- ومنها ما هو في اللغة وشرح الغريب كالنقول عن الخليل بن أحمد الفراهيدي[3]، في كتاب العين، وأبي عبيد القاسم بن سلام، والأصمعي[4].

- ومنها مصادر في الفقه كالنقول عن عبدالله بن وهب[5]، وعبدالرحمٰن بن القاسم[6]، المالكي.

٣ ـ اهتمام العلماء بشرح ابن بطال:

تظهر أهمية شرح أبي الحسن بن بطال وأثره في شروح كتب السنّة

---

(١) انظر في ذلك فتح الباري ص: ٩/٣.

(٢) انظر المصدر السابق ص: ١١/٣، ٢٦٨/١٣، ١٣/٩، ٢٤٢/١٢.

(٣) الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي أبو عبدالرحمٰن البصري اللغوي صاحب العروض والنحو، صدوق عالم عابد مات بعد ١٦٠هـ وقيل سنة ١٧٠هـ (التقريب ص: ١٩٥ رقم: ١٧٥٠).

(٤) هو عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع أبو سعيد الباهلي الأصمعي، البصري صدوق سنّي ـ له تآليف منها: كتاب الممدود والمقصور ـ كتاب اشتقاق الأسماء، وكتاب لحن العامة ـ توفي رحمه الله ـ سنة ١١٦هـ وقد قارب التسعين. (انظر فهرسة ابن خير ص: ٣٧٤ وتقريب التهذيب ص: ٣٦٤ رقم: ٤٢٠٥ وميزان الاعتدال ص: ٦٦٢/٢).

(٥) انظر فتح الباري ص: ٩/١٠.

(٦) المصدر السابق ص: ١٩٢/٣.

جليّة من خلال الاقتباسات الكثيرة التي استقاها الأئمة الشرّاح منه وضمّنوها كتبهم خاصة منهم:

١ ـ الإمام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ ـ في شرحه لصحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري.

٢ ـ الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، المتوفى سنة ٨٥٢هـ في كتابه فتح الباري.

٣ ـ الإمام بدر الدين محمود بن أحمد بن أحمد العيني، المتوفى سنة ٨٥٥هـ، الذي ضمّن كتابه عمدة القاري في شرح الجامع الصحيح للبخاري عدة اقتباسات من شرح الإمام ابن بطال لصحيح البخاري.

٤ ـ الإمام العلامة محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني المالكي، المتوفى سنة ١١٢٢هـ الذي كثيراً ما يورد أقوال وآراء ابن بطال، في شرحه لموطأ الإمام مالك ـ رحمه الله.

بعد هذا العرض المقتضب لمنهج الإمام أبي الحسن بن بطال ـ رحمه الله ـ في شرحه لصحيح البخاري، يبقى أن نشير إلى أن الدراسة الحقيقية لهذا المنهج لا تكون كاملة إلا بالرجوع إلى أصل المخطوطة، الأمر الذي تعذّر علينا الآن.

النموذج الثالث:

كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار للإمام الشهير القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، المتوفى سنة ٥٤٤هـ.

موضوعه: ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان غريب الحديث الواقع في الموطأ والصحيحين.

قال الكتاني[1]: «لو وزن بالجوهر أو كتب بالذهب كان قليلاً فيه».

---

(١) الرسالة المستطرفة ص: ١١٨.

١ ـ الباعث على تأليفه:

هو أنه رحمه الله ـ لما رأى كثرة التغيير والتحريف الذي شمل كثيراً من المتون والأسانيد، وشاع التصحيف وتعدى ذلك منثور الروايات إلى مجموعها وعمّ أصول الدواوين وفروعها ... وكثيراً ما يُنبّه بالخطأ على الصواب، وكثرت الإشكالات والإهمالات في بعض أمهات الكتب، وأنّ الحاجة ماسّة إلى «كتاب يجمع شواردها ويسدد مقاصدها ويبيّن مشكل معناها وينصّ اختلاف الروايات فيها ويظهر أحقّها بالحقّ وأولاها».

قال رحمه الله: «فأجمعت على تحصيل ما وقع من ذلك في الأمهات الثلاثة الجامعة لصحيح الآثار التي أجمع على تقديمها في الأعصار وقبلها العلماء في سائر الأمصار كتب الأئمة الثلاثة الموطأ لأبي عبدالله مالك بن أنس المدني، والجامع الصحيح لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، والمسند الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري»[1].

٢ ـ منهج المؤلف في ترتيب الكتاب وشرح غريبه ومبهمه:

ـ رتّب المؤلف الكلمات المراد شرحها ورفع إشكالها، على حروف المعجم وفق الألفباء المغربية الأندلسية[2]، بحيث إذا وقف القارئ على كلمة مشكلة أو لفظة مهملة فزع إلى الحرف الذي في أولها وطلبه في بابه.

ـ رتّب كذلك الحرفين الثاني والثالث للكلمة على نفس النسق ليسهل ذلك على الطالب.

ـ يبدأ في أول كل حرف بضبط الألفاظ الواقعة في المتون بحيث لا يلحقها تصحيف ولا يبقى بها إهمال يبهمها، يبدأ ذلك بما وقع في الموطأ

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ص: ٥ (طبع ونشر المكتبة العتيقة ودار التراث ـ بدون تاريخ).

(٢) حروف الهجاء بترتيب أهل المغرب هي: أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ ـ د ـ ذ ـ ر ـ ز ـ ط ـ ظ ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ ص ـ ض ـ ع ـ غ ـ ف ـ ق ـ س ـ ش ـ هـ ـ و ـ لا ـ ي. (انظر التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ص: ٢٢٧/١) هامش رقم: ١.

ثم ما وقع في البخاري ويختم بما وقع في صحيح مسلم.

ـ إذا كان اللفظ مما اختلفت فيه الروايات ينبّه على ذلك ويشير إلى الأرجح والصواب بحكم ما يوجد في حديث آخر رافع للاختلاف أو يكون هو المعروف في كلام العرب أو الأليق بمساق الكلام، أو نبّه عليه أحد العلماء السابقين.

ـ خصّص المؤلف فصلاً في كل حرف لضبط أسماء الأماكن والبلدان التي يشكل تقييدها، ويقع فيها لكثير من الرواة تصحيف، منبّها على شرح أشباهها. كقوله: (ضجنان): بفتح الضاد وسكون الجيم ونونين: جُبَيْلٌ على بريد من مكة[1].

ـ ينبه بعد ذلك على ما يشكل في الإسناد من أسماء وألقاب وكنى مبهمة وأنساب، قال: جاء ذكر زينب بنت أبي سلمة ولبعضهم بنت أم سلمة وكلاهما صحيح هي بنت أم سلمة وأبوها أبو سلمة[2].

ـ لم يتطرّق لذكر كنى وأنساب من لم يذكر في الكتاب إلا اسمه، ولا اسم من لم يذكر في الكتاب إلا كنيته أو نسبه، إذ اعتبر ذلك خارجاً عن غرض هذا الكتاب.

ـ عند ذكره لألفاظ المتون، يشرح غريبها ويبيّن شيئاً من معانيها ومفهومها دون توسّع في ذلك إلا عند الحاجة.

ـ هناك جمل وعبارات لم يمكن إدراجها ضمن أبواب الحروف التي رُتّب عليها الكتاب، وكان لا بدّ من رفع ما دخلها من التغيير والإبهام أو التقديم والتأخير، أو سقوط بعض ألفاظها أو تركه على وجه الاختصار ولا يفهم الحديث إلا به فأفرد لها ثلاثة أبواب:

(١) مشارق الأنوار ص: ٦٣/٢.

(٢) المصدر السابق ص: ١٥/١.

الباب الأول: في الجمل التي وقع فيها التصحيف، أو طَمَسَ معناها التغيير والتلفيف.

من ذلك قوله: «وفي باب الحرص على الحديث، عن أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك» كذا لأبي ذر وهو وهم، وصوابه بسقوط «قيل» لم يكن عند الأصيلي والقابسي، لأن السائل هو أبو هريرة نفسه بدليل قوله آخر الحديث: «لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا أحد أول منك»[(١)].

وخصص فصلاً في هذا الباب لتصحيح ما جاء من الوهم في حرف من القرآن.

مثال ذلك: ما جاء في صحيح البخاري في باب الغسل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: [«غفوراً رحيماً»]، قال المؤلف: كذا عند الأصيلي والنسفي وغيرهما، «والتلاوة ﴿عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾»[(٢)].

الباب الثاني: في تقويم ضبط جمل في المتون والأسانيد وتصحيح إعرابها وتحقيق هجاء كتابها وشكل كلماتها وتبيين التقديم والتأخير اللاحق لها ليستبين وجه صوابها.

مثال ذلك ما في البخاري في الجنائز في حديث والد جابر: «فإذا هو كيوم وضعته هنية غير أذنه» كذا للمروزي والهروي. وفيه تقديم وتأخير

(١) مشارق الأنوار ص: ٣١١/٢ (المكتبة العتيقة ـ بدون تاريخ). الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم ـ باب الحرص على الحديث عن أبي هريرة أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت ـ يا أبا هريرة ـ أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوّل منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه، أو نفسه». (حديث رقم: ٩٩ ـ صحيح البخاري ٤٩/١ ط٣ ـ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ـ ضبط وتعليق الدكتور مصطفى البغا ـ دار ابن كثير ـ دمشق). وأخرجه أيضاً في كتاب الرقائق باب صفة الجنّة والنّار: دون ذكر كلمة «قيل» حديث رقم: ٦٢٠١.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٣.

ونقص، وصواب الكلام: غير هُنَيّة[(١)]، في أذنه، وكذا رواه النسفي والجرجاني على الصواب[(٢)].

الباب الثالث: في إلحاق ما بتر من الحديث أو بيّض للشك فيه أو لعلة أو نقص منه وهما مما لا يتم الكلام إلا به.

مثال ذلك في باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين، وقال عمر والحسن فيمن احتجم ليس عليه غسل محاجمة، كذا لرواة الفربري إلا من طريق المستملي فعنده إلا غسل محاجمة، وبه تصح المسألة[(٣)].

هذه باختصار بعض النماذج من الشروح الأندلسية لصحيح الإمام البخاري، اخترتها لتوضيح وإبراز الجهود المتميّزة التي قام بها محدّثو الأندلس لخدمة هذا الكنز العظيم.

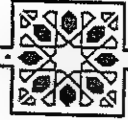
إن هذا الكمّ الوافر من الشروح الأندلسية للجامع الصحيح، دليل آخر على أن المغاربة، لم يفضّلوا صحيح مسلم عليه، بل أخذ كل منها ما يستحقّه من العناية عندهم. وسألقي الضوء أكثر على هذه المسألة في المبحث القادم إن شاء الله.



(١) هنيّة في أذنه بضم الهاء وفتح النون، تصغير هنة: أي شيئاً قليلاً وأثره يسير (مشارق الأنوار ص: ٢٧١/٢).

(٢) مشارق الأنوار ص: ٣٧٧/٢، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز «باب هل يخرج الميت من القبر واللحد بعلّة» رقم: ١٢٦٤، عن جابر رضي الله عنه قال: «لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ فإنّ عليَّ ديناً فاقض واستوص بإخوانك خيراً، فأصبحنا فكان أول قتيل ودفن معه آخر في قبرٍ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته، هُنَيّة غير إذنه».

(٣) مشارق الأنوار ص: ٣٨٢/٢ والحديث في البخاري كتاب الوضوء. باب (من لم ير الوضوء إلا من المخرجين) ص: ٥٥/١ (طبعة دار الجيل بيروت) وانظر فتح الباري ص: ٢٨٠/١.



المبحث الثاني:
الشروح الأندلسية لصحيح الإمام مسلم

مدخل:

اتفق العلماء ـ رحمهم الله ـ على أن أصحّ الكتب بعد القرآن العزيز، الصحيحين البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحّهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة[١]. إلا أنه قد ظهر لكثير من العلماء أن لكتاب الإمام مسلم مزايا اختص بها عن كتاب البخاري فأولوه الأفضلية.

قال أبو علي الحسين بن علي النيسابوري: ما تحت أديم السماء أصحّ من كتاب مسلم[٢].

وقال أبو مروان الطيبي: كان من شيوخي من يفضّل كتاب مسلم على كتاب البخاري[٣].

وذهب طائفة من أهل المغرب إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح

(١) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ص: ١٤ (دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) تلخيص الإمام مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ص: ٣٢ (دار السلام للطباعة والنشر ط ١ ـ ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

البخاري منهم الحافظ علي بن أحمد بن حزم الظاهري[١] والإمام أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي الذي يقول: «إن هذا الكتاب أحسن الأحاديث مساقاً، وأكمل سياقا وأقل تكراراً وأتقن اعتباراً، وأيسر للحفظ وأسرع للضبط مع أنه ذكر صدراً من علوم الحديث وميّز طبقات المحدّثين في القديم والحديث»[٢].

والظاهر أن سبب تفضيل بعض العلماء لصحيح مسلم على كتاب البخاري يرجع إلى حسن سياقة كتاب مسلم وجودة ترتيبه، وسهولة النظر فيه والاستفادة منه، بخلاف البخاري، فإنه يقطّع الأحاديث ويوردها في أبواب مختلفة متباعدة، وكثير منها يذكره في غير بابه الذي يسبق إلى الفهم أنه أولى به، وذلك لدقيقة يفهمها البخاري[٣].

هذا وقد اعتنى الأندلسيون بصحيح مسلم منذ دخوله بلادهم، فعكفوا على دراسته وشرحه والكلام على رجاله، وسأتعرض خلال هذا المبحث للآتي:

أ ـ ذكر أهم المؤلفات الأندلسية حول صحيح مسلم مع التنبيه على المطبوع والمفقود، وأماكن وجود المخطوط منها.

ب ـ دراسة طرق ومناهج مؤلفي بعض تلك الكتب: حيث لا يمكننا تناول مناهج جميع تلك الكتب لعدم وقوع كثير منها في أيدينا، ورأيت أن أقتصر على دراسة مناهج ثلاثة منها، هي المتوفرة أو التي جمعت ما تيسّر لي من اقتباسات العلماء منها. وسبيلي في ذلك أن أعرّف بالمؤلف ثم أبين منهجه، وخصائص كل كتاب.

(١) كتاب شروط الأئمة الخمسة للحافظ محمد بن طاهر المقدسي ص: ٢٤ (دار الكتب العلمية بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
(٢) ملخص صحيح الإمام مسلم لأبي العباس القرطبي ص: ٣٣.
(٣) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ص: ١٥.

أ ـ أهم الشروح الأندلسية لصحيح مسلم:

١ ـ كتاب التنبيه على الأوهام الواردة في الصحيحين لأبي علي الحسين بن محمد الجياني الغساني الأندلسي المتوفى سنة ٤٩٨هـ وهو يتناول فيه الرواية والدراية[١].

٢ ـ الإيجاز والبيان لشرح خطبة كتاب مسلم مع كتاب الإيمان للقاضي محمد بن أحمد ابن الحاج التجيبي المتوفى سنة ٥٢٩هـ[٢].

٣ ـ كتاب النيرين على الصحيحين[٣] لأبي بكر ابن العربي، (محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد) المعافري المتوفى سنة ٥٤٣هـ.

٤ ـ إكمال المعلم في شرح مسلم[٤] للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة ٥٤٤هـ، أكمل به شرح شيخه الفقيه أبي عبدالله محمد بن علي المازري ثم المهدوي[٥].

توجد نسخ من كتاب الإكمال في مكتبة جامع الزيتونة تحت رقم ٣٣/٢ ونسخة في مكتبة القزويني بفاس رقمها ٤٧٤ ـ ٤٧٨[٦]، ونسخة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد[٧].

(١) انظر تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ص: ٢١٩/١.
(٢) هو محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي يعرف بابن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة. استشهد رحمه الله في الجامع بقرطبة في يوم الجمعة وهو ساجد سنة ٥٢٩هـ وكان مولده سنة ٤٥٨هـ (بغية الملتمس ص: ٤١ رقم ٢٥ وفهرسة ابن خير ١٩٦).
(٣) نفح الطيب ص: ٢٥/٢، وذكره مؤلفه في عارضة الأحوذي ص: ٨٠/١١ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط ١ ـ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
(٤) فهرسة ابن خير ص: ١٩٦.
(٥) أبو عبدالله محمد بن علي التميمي المازري المالكي الصقلي الأصل المتوفى سنة ٥٣٦هـ (ترجمته في الديباج المذهب ص: ٢٧٩).
(٦) انظر تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (١٨١/٣).
(٧) فهرسة المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد الجزء الأول ص: ١٩١ (مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٧٣م).

٥ ـ جمع الأحاديث التي زاد مسلم في تخريجها على البخاري لأبي بكر بييش بن محمد بن علي بن بييش العبدري ـ من أهل شاطبة ـ المتوفى سنة ٥٨٢هـ وكانت ولادته سنة ٥٢٤هـ[١].

٦ ـ شرح صحيح مسلم لأحمد بن محمد بن الحسن بن عتيق بن فرج أبو جعفر البلنسي المتوفى سنة ٦٠١هـ[٢].

٧ ـ اقتباس السراج في شرح مسلم بن الحجاج لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان الغساني المتوفى سنة ٦٠٩هـ وكان مولده سنة ٥٠٧هـ[٣].

٨ ـ نظم الدراري فيما تفرّد به مسلم على البخاري لأبي العباس أحمد بن محمد بن مفرّج بن عبدالله الأموي مولاهم الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الرومية المتوفى سنة ٦٣٧هـ[٤].

٩ ـ المفصح المفهم والموضح الملهم لمعاني صحيح مسلم لأبي عبدالله يحيى بن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٦٤٦هـ[٥].

١٠ ـ مختصر صحيح مسلم لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي الفضل المرسي المتوفى سنة ٦٥٥هـ[٦].

١١ ـ المفهم لما أشكل من كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦هـ.

سنعرّف بهذا الكتاب عند تناولنا للنماذج.

(١) التكملة لابن الأبار ص: ٢٢٨/١ رقم ٦١٠.
(٢) الديباج المذهب ص: ٥٢، وانظر الشروح المغربية على صحيح مسلم للدكتور عمر الجيدي (مجلة دعوة الحق ـ المغرب ـ ص: ١٢٠ ـ عدد أكتوبر ١٩٨٨).
(٣) الديباج المذهب ص: ٢١١.
(٤) تاريخ الأدب العربي ٢٨٢/٦ وانظر كذلك مجلة دعوة الحق عدد أكتوبر ١٩٨٨).
(٥) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ص: ٢٦٩/١.
(٦) طبقات المفسّرين للداودي ص: ١٦٨/٢ (دار الكتب العلمية بيروت).

١٢ ـ إكمال الإكمال للقاضي عياض تأليف: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن محمد البقوري الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٧هـ[1].

١٣ ـ وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم لمحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المتوفى سنة ٧٤١هـ[2].

ب ـ دراسة نماذج من الشروح والمختصرات الأندلسية لصحيح مسلم:

١ ـ كتاب إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة ٥٤٤هـ أكمل به شرح شيخه الفقيه أبي عبدالله محمد بن علي المازري المالكي المتوفى سنة ٥٣٦هـ.

أهمية هذا السفر العلمي الأصيل تكمن في قصد مؤلفه، استكمال ما بدأه شيخه أبو عبدالله المازري، في كتابه الحافل الموسوم بالمعلم.

كما تبرز هذه الأهمية في تلقي العلماء لهذا الكتاب بالقبول والاستحسان، كونه من أجود وأقدم الشروح لصحيح مسلم، اعتمد عليه واقتبس منه من جاء بعده من أئمة الحديث والفقه كأمثال: ابن الصلاح وأبو العباس القرطبي والنووي والعراقي وابن حجر والعيني في مؤلفاتهم وشروحهم.

وقد أكثر الإمام النووي في شرح صحيح مسلم من ذكر أقوال عياض والاستشهاد بها بحيث لا يخلو باب من ذلك، بل قد لا تجد في بعض الأبواب غير كلام القاضي عياض.

منهج القاضي عياض في كتابه إكمال المعلم:

ـ افتتح القاضي عياض ـ رحمه الله كتابه ـ كعادته في تآليفه ـ بمقدمة

(١) الديباج المذهب ص: ٣٢٢.

(٢) نفح الطيب ٥/٥١٥، والديباج المذهب ص: ٢٩٥.

أوضح فيها السبب الباعث له على كتابة هذا الشرح، ثمّ أوضح ما ذكره الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، من أنه قسّم الأحاديث إلى ثلاثة أقسام[1]، الأول ما رواه الحفّاظ المتقنون، والثاني ما رواه المستورون في الحفظ والإتقان، والثالث ما رواه الضعفاء والمتروكون، وأنه إذا فرغ من القسم الأول أتبعه الثاني وأما الثالث فلا يعرّج عليه. ورد القاضي عياض على أبي عبدالله الحاكم وصاحبه أبي بكر البيهقي في دعواهما أن المنيّة اخترمت مسلما قبل إخراج القسم الثاني، وأنه إنما ذكر القسم الأول.

قال القاضي عياض[2] ـ رحمه الله ـ وهذا مما قبله الشيوخ والناس من الحاكم أبي عبدالله وتابعوه عليه، وليس الأمر على ذلك لمن حقّق نظره ولم يتقيّد بالتقليد فإنك إذا نظرت تقسيم مسلم في كتابة الحديث على ثلاث طبقات من الناس كما قال، وذكر أن القسم الأول حديث الحفّاظ وأنه إذا انقضى هذا أتبعه بأحاديث من لم يوصف بالحذق والإتقان مع كونهم من أهل الستر والصدق وتعاطي العلم، ثم أشار إلى ترك حديث من أجمع العلماء أو اتفق الأكثر منهم على تهمته، وبقي من اتهمه بعضهم وصحّحه بعضهم فلم يذكره هنا. ووجدته ـ رحمه الله ـ ذكر في أبواب كتابه وتصنيف أحاديثه حديث الطبقتين الأوليين التي ذكر في أبوابه وجاء بأسانيد الطبقة الثانية التي سماها، وحديثها كما جاء بالأولى على طريق الاتباع لحديث الأولى والاستشهاد بها أو حيث لم يجد في الكتاب للأول شيئاً، وذكر أقواماً تكلّم قوم فيهم وزكاهم آخرون وخرّج حديثهم ممن ضعّف أو اتّهم ببدعة وكذلك فعل البخاري ـ رحمه الله ـ، فعندي أنه ـ رحمه الله ـ قد أتى بطبقاته الثلاث في كتابه على ما ذكر، ورأيت في كتابه وتبيّنت في تقسيمه وطرح الرابعة كما نص عليه.

فتأوّل الحاكم أنه إنما أراد أن يفرد لكل طبقة كتابا ويأتي بأحاديثها خاصة مفردة، وليس ذلك مراده، بل إنما أراد بما ظهر من تأليفه وبان من

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض: ١/٨٣ ـ ٨٧.

(٢) المصدر السابق ١/٨٦.

غرضه أن يجمع ذلك في الأبواب ويأتي بأحاديث الطبقتين فيبدأ بالأولى ثم يأتي بالثانية على طريق الاستشهاد والاتباع، حتى استوفى جميع الأقسام الثلاثة، ويحتمل أن يكون أراد بالطبقات الثلاث من الناس: الحفّاظ ثم الذين يلونهم والثالثة التي طرح، والله أعلم بمراده، وكذلك أيضا عِلل الحديث التي ذكر ووعد أنه يأتي بها قد جاء بها في مواضعها من الأبواب، من اختلافهم في الأسانيد كالإرسال والإسناد والزيادة والنقص، وذكر تصاحيف المصحّفين، وهذا يدل على استيفائه غرضه في تأليفه وإدخاله في كتابه كلما وعد به[1].

- أما طريقة القاضي عياض في شرح صحيح مسلم فيمكن تقسيمها إلى العناصر الآتية:

١ - ضبط الروايات:

اهتم القاضي عياض - رحمه الله - بهذا الجانب كثيراً، فركز على ضبط ألفاظ المتون، وبيّن اختلاف الروايات، وصحّح أسماء الرواة وأنسابهم، وكتابه مشارق الأنوار على صحاح الآثار، شاهد على تبحّره في هذا الميدان.

ولتوضيح ذلك نورد الأمثلة الآتية:

- عند شرحه لحديث عائشة - رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلّى في خميصة لها أعلام وقال شغلتني أعلام هذه فاذهبوا بها إلى أبي جهم[2] وائتوني بأنبجانيه.

قال القاضي عياض «قوله بأنبجانيه»: رويناه بفتح الهمزة وكسرها وفتح الباء، ورويناه أيضا في غير مسلم، وبالوجهين ذكرها ثعلب، ورويناه بتشديد الياء في آخره وتخفيفها معا في غير مسلم إذ هو في مسلم في إحدى

(1) إكمال المعلم ص: ١/٨٦ - ٨٧.

(2) أبو جهم عامر بن حذيفة القرشي، أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ له صحبة، وروى عن أخته فقط (تقريب التهذيب ص: ٢٨٧ رقم ٣٠٨٦).

الروايات بأنبجانيّه مشدّد الياء مكسور على الإضافة إلى أبي جهم، على التذكير كما قال في الحديث الآخر «كساء له أنبجانيه»[1].

- وعند شرحه لحديث أبي قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلّي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ولأبي العاص ابن الربيع، فإذا قام حملها وإذا سجد وضعها.

قال القاضي عياض: وقال الأصيلي هو ابن الربيع بن ربيعة فنسبه مالك إلى جدّه قال القاضي: وهذا الذي قاله غير معلوم، ونسبه عند أهل النسب والخبر بغير خلاف: أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، واسم أبي العاص لقيط وقيل مهشم[2].

٢ - الشرح اللغوي:

عند تناوله لقول عبدالله بن عمر: «إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب» وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أبرّ البرّ صلة الولد أهل ودّ أبيه»**. قال القاضي عياض: رويناه بالكسر والضم، يقال هو وِدّ (بالكسر) و«ود» بدل،أي ذو مودّة، مثل حبة وحبيبة، والوِدّ، والوّد كله مصدر، ووددت الرجل، ومثله مودّة مودودة، ووداداً[3].

- وعند شرحه لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله **خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة قال: نعم، أما ترضين أن أصِل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى، قال: فذلك لك...»**.

(1) إكمال المعلم كتاب المساجد باب: كراهة الصلاة في ثوب له أعلام (حديث رقم: ٥٥٦ ص: ٢/٤٨٩).

(2) المصدر السابق كتاب الصلاة - باب جواز حمل الصبيان في الصلاة حديث ٥٤٣ ص: ٢/٤٧٤ - ٤٧٦.

(3) المصدر السابق ص: ١٥/٨ كتاب البرّ والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما (حديث رقم: ٢٥٥٢).

قال القاضي عياض: «اعلم أنّ الرحم التي توصل وتقطع ويتوجه فيها البرّ والإثم، إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم وإنما هي القرابة والنسب واتصال مخصوص تجمعه رحم والدة، فسمى ذلك الاتصال رحماً، والمعاني لا توصف بقيام ولا كلام، ولا تصح منها.

وذكر مقامها وتعلّقها هنا ضَرْبُ مَثَلٍ وحسن استعارة على مجارات كلام العرب لتعظيم شأن حقها، وصلة المتصفين بها المتواصلين بسببها، وعظم إثم مقاطعتهم وعقوقهم، ولذلك سمى عقوقها قطعا وهو معنى العقوق، والعقّ الشقّ، كأنه قطع ذلك السبب الذي يصلهم به، أو قيام ملك من ملائكة الله تعالى وتشبثه بالعرش وكلامه عنها ذلك الكلام بأمر الله تعالى»[1].

٣ ـ الاستنباطات الفقهية:

أولى القاضي عياض هذا الجانب مكاناً واسعاً في شرحه، ويتجلى ذلك في الآتي:

أ ـ استخراج الأحكام من الأحاديث وذكر مذهب الإمام مالك: فعند شرحه لقوله ﷺ عند ذبح الأضحية: «**باسم الله اللهم تقبّل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد**»[2].

قال القاضي عياض: «وَضَبْطُ مَنْ يصحّ أن يُدْخِله الرجل عندنا ثلاث صفات:

أحدها: أن يكونوا من قرابته، وحكم الزوجين وأم الولد ضمّهم عند مالك والكافة، وأباه الشافعي في أم الولد وقال: لا أجيز لها ولا للمكاتب والمدين والعبد أن يضحوا.

(١) المصدر السابق كتاب البرّ والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها حديث رقم: ٢٥٥٤ ص: ١٩/٨، ٢٠.

(٢) إكمال المعلم كتاب الأضاحي باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل، والتسمية والتكبير، حديث رقم: ١٩٦٧ ص: ٤١٢/٦.

والثاني: أن يكونوا في نفقته، وجبت عليه أو تطوّع بها.

والثالث: أن يكونوا في بيته، ومساكنه غير بائنين أو (نائيين) عنه، فإن انخرم شيء من هذه الشروط لم يصحّ إشراكهم في ضحيّته .. قال ولا يجوز عند جميعهم شركة جماعة في ضحيّة يشترونها ويذبحونها عن أنفسهم أو في هدي إذا كانوا أكثر من سبعة، واختلفوا فيما دونها، فذهب الليث ومالك إلى أن الشركة لا تجوز بوجه فيها، كانت بدنة أو بقرة أو شاة، أهدوا أوضحوا، وذهب جمهور الفقهاء من الحجازيين والكوفيين والشاميين، إلى جواز اشتراك السبعة فما دون ذلك في البقرة والبدنة في الهدي والضحية، ولا تجزي شاة إلا عن واحد»[1].

ب ـ الاستفادة من الزيادات الواردة في بعض الروايات لتوضيح المعنى: فعند شرحه لحديث ابن عباس أنه بات ليلة عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته قال فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل... الحديث[2].

قال القاضي عياض «وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث، قال ابن عبّاس بتّ عند خالتي في ليلة كانت فيها حائضاً».

قال القاضي: وهذه الكلمة وإن لم تصح طريقاً، فهي حسنة المعنى جداً إذ لم يكن ابن عباس يطلب المبيت عند النبيّ ﷺ في ليلة خالية، ولا يرسله أبوه على ما جاء في الحديث، إلا في وقت يعلم أنه لا حاجة للنبي ﷺ فيها إذا كان لا يمكنه ذلك مع مبيته معها في وساد واحد، ولا يتعرض هو لأذاه بمنعه مما يحتاج إليه من ذلك[3].

(١) المصدر السابق نفس الكتاب والباب ص: ٤١٤/٦.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه حديث رقم ٧٦٣ ص: ٥٢٥/١.

(٣) إكمال المعلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه حديث رقم ٧٦٣ ص: ١١٧/٣.

جـ - ردّه على العلماء وأدبه في ذلك:

- ردّه على الإمام الخطابي:

عند شرحه لحديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا. قالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا لله»، قال أنس: فكان فيه ما أقول: كان فيه نخل وقبور المشركين وخَرِبٌ فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع وبقبور المشركين فنُبشت وبالخِرَبِ فسوّيت، قال القاضي عياض: رويناه بفتح الخاء وكسر الراء، جمع خربة، مثل: كلم وكلمة، وبكسر الخاء وفتح الراء، جمع خربة بكسر الراء، وكلاهما ما تخرب من البناء، والثانية لغة تميم وحدها. قال الخطابي: لعل الصواب خُرَب بالضم، جمع خُربة بالضم، وهي الخروق في الأرض...

قال القاضي: لا أدري ما اضطره إلى هذا؟ وكما قطع عليه السلام النخل المثمر، كذلك سوّى بقايا الخرب وأطلال حيطانها وأذهب رسومها كما فعل بالقبور، والرواية صحيحة اللفظ والمعنى، لا حاجة إلى تغييرها ولا إلى تكلف شيء في تأويلها[1].

٤ - شرحه للمسائل العقائدية:

احتل هذا الجانب من شرح القاضي عياض - رحمه الله - مكاناً واسعاً، حيث يتوقّف عند أغلب المسائل العقائدية ويناقشها ويردّ على الفرق المخالفة، من ذلك:

أ - مناقشته لمسألة الفوقية لله تعالى:

- عند شرحه لحديث معاوية بن الحكم السُّلمي قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوّانيّة فأطلت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكنّي صككتها صكّة فأتيت رسول الله ﷺ فعظّم ذلك عليّ، قلت: يا رسول الله أفلا

(١) المصدر السابق كتاب المساجد باب ابتناء مسجد النبي ﷺ ٢/٢٤٤.

أعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء قال: «من أنا؟» قالت: رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[1].

قال القاضي عياض:

«لا خلاف بين المسلمين قاطبة محدّثهم وفقيههم ومتكلّمهم ومقلدهم ونظّارهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى في السماء كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[2] أنها ليست على ظاهرها وأنها متأوّلة عند جميعهم، أما من قال منهم بإثبات جهة فوق لله تعالى من غير تحديد ولا تكييف من دهماء المحدّثين والفقهاء وبعض المتكلّمين منهم، فتأول «في السماء» بمعنى على وأما دهماء النظّار والمتكلّمين وأصحاب الإثبات والتنزيه المحيلين أن يختص بجهة أو يحيط به حدّ، فلهم فيها تأويلات بحسب مقتضاها ... قال: ويا ليت شعري ما الذي جمع آراء كافة أهل السنة والحقّ على تصويب القول بوجوب الوقوف عن التفكر في الذات كما أمروا، وسكتوا لحيرة العقل هناك وسلموا وأطبقوا على تحريم التكييف والتخييل والتشكيل وأن ذلك من وقوفهم وحيرتهم غير شاك في الوجود أو الجهل بالموجود وغير قادح في التوحيد بل هو حقيقة عندهم، ثم تسامح بعضهم في فصل منه بالكلام في إثبات جهة تخصه أو يشار إليه بحيّز يحاذيه. وهل بين التكييف من فرق أو بين التحديد في الذات والجهة بون؟ لكن إطلاق ما أطلقه الشرع من أنه (القاهر فوق عباده) وأنه (استوى على العرش) مع التمثيل بالآية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصحّ في المعقول سواه من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾[3] عصمة لمن وفّقه الله تعالى وهداه[4].

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب تحريم الكلام في الصلاة حديث رقم ٥٣٧ ص: ١/٣٨١.

(٢) سورة الملك، آية: ١٦.

(٣) سورة الشورى، آية: ١١.

(٤) إكمال المعلم ص: ٢/٤٦٥. كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة.

ب ـ توضيحه لمسألة رؤية الرسول ﷺ في المنام وكذلك رؤية الله تعالى في المنام:

ـ عند شرحه لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثّل بي».

قال القاضي عياض: ويحتمل معنى قوله ﷺ: (قد رآني) أو (فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتمثّل بي) إذا رؤي على الصفة التي كان عليها في حياته، لا على صفة مضادة لحاله فإن رؤي على غيرها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة، فإن من الرؤيا ما يخرج وجهه، ومنها ما يحتاج إلى تأويل وعبارة.

قال القاضي: قال بعضهم خصّ الله تعالى نبيه ﷺ بعموم صدق رؤياه كلها ومنع الشيطان أن يتمثل في صورته لئلا يتذرع بالكذب على لسانه في النوم وكما خرق الله تعالى العادة للأنبياء دليلاً على صحة حالهم في اليقظة، واستحالة تصوّر الشيطان على صورته في اليقظة، ولا على صفة مضادة لحاله وإذ لو كان ذلك لدخل اللبس بين الحق والباطل، ولم يوثق بما جاء من جهة النبوة مخافة هذا التصور، فحمى الله حماها لذلك من الشيطان وتصوره ونزغه وإلقائه وكيده على الأنبياء[1].

قال القاضي: ولم يختلف العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام، وإذا رئي على صفة لا تليق بجلاله من صفات الأجسام للتحقيق أن ذلك المرئي غير ذات الله تعالى، إذ لا يجوز عليه التجسيم ولا اختلاف في الحالات، بخلاف رؤية النبي ﷺ في النوم، فكانت رؤيته تعالى في النوم من أنواع الرؤيا من التمثيل والتخييل[2].

---

(١) المصدر السابق ص: ٢١٩/٧ كتاب الرؤيا باب قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني»، حديث رقم: ٢٢٦٦.

(٢) المصدر السابق نفس الكتاب والباب ص: ٢١٩/٧، ٢٢٠.

جـ ـ توضيحه لمسألة الضحك في حقّ الله تعالى:

عند شرحه لحديث أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنّة»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «يُقتَلُ هذا فيلجُ الجنة ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد».

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: الضحك هنا استعارة في حقّ الله تعالى ولا يجوز عليه سبحانه الضحك المعلوم، لأنه إنما يصحّ من الأجسام وممن يجوز عليه تغيّر الحالات، والله تعالى منزّه عن ذلك، وإنما يرجع إلى الرضا بفعلهما والثواب عليه، والإحسان إليهما، أو حمد فعلهما ومحبته، وتلقي رسل الله لهما بذلك، لأن الضحك إنما يكون من أحدنا عند موافقته ما يراه وسروره به وبرّه لمن يلقاه. قال: وقد يكون الضحك هنا على وجه المعلوم، والمراد به ملائكة الله ورسله الذين يوجّههم للقائه وقبض روحه وإدخاله الجنّة، كما يقال نادى الأمير في البلد، وقتل السلطان فلاناً: رجاله وأمر[1].

هذا وقد لاحظت أن القاضي عياض ـ رحمه الله ـ يعمد إلى تأويل الصفات عن ظاهرها فعند شرحه لقوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده» قال: اليد هنا القدرة والملك[2].

٥ ـ الصناعة الحديثية:

أخذت الصنعة الحديثية حيّزاً بارزاً في شرح القاضي عياض، فهو يقف عند أقوال المحدّثين ويعلّق عليها، ويوضح الأسباب الموجبة لردّه بعض الروايات، كما يحرص على الجمع بين الروايات المختلفة رفعاً لما يظهر من تعارض بينها، إضافة إلى إيراده لكثير من اللطائف الحديثية التي تدلّ على تبحّره وتضلّعه في هذه الصنعة.

---

(١) إكمال المعلم ـ كتاب الإمارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، حديث رقم: ١٨٩٠ ص: ٣١٢/٦.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٥/٦، كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

ولتوضيح ذلك نورد النماذج الآتية:

أ ـ تعقبه لشيخه أبي عبدالله المازري في مصطلح الحديث:

عند تناوله لحديث مسلم قال: حدثنا عدّة من أصحابنا عن سعد بن أبي مريم أخبرنا أبو غسان، وهو محمد بن مطرّف، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتتبعنّ سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضبّ لاتبعتموهم» قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»**.

قال القاضي: قال المازري: وهذا آخر الأحاديث المقطوعة التي نبه عليها (يعني مسلم) وهي أربعة عشر حديثاً، هذا آخرها.

قال القاضي: قد تقدم عنده في المقطوع مثل هذا، وإنما قلّد فيه (أبا علي الغساني) الجياني وليس هذا صحيحاً عند أهل الصنعة، وإنما يعدّ هذا في المجهول وفيما لم يسم راويه وأبهم، وإنما المقطوع[1] لو قال الإمام مسلم: وقال سعيد بن أبي مريم، أو عن سعيد بن أبي مريم[2].

ب ـ ردّه لقصة الغرانيق[3]:

عند شرحه لحديث عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قرأ والنجم

(١) المقطوع هو الموقوف على التابعي قولاً أو فعلاً، وأطلق بعض العلماء، المقطوع على منقطع الإسناد غير الموصول (انظر التمهيد لابن عبد البر ص: ٢٥/١).

(٢) إكمال المعلم كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث رقم: ٢٦٦٩. ص: ١٦٣/٨.

(٣) قال ابن حجر في الفتح ص: ٤٣٩/٨ أن قصة الغرانيق وردت من طريقين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين أحدهما ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني أبو بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام ـ والثاني ما أخرجه أيضاً من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة فرقهما، عن داود بن أبي هند عن أبي العالية «قرأ رسول الله ﷺ بمكة والنجم، فلما بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: آية ٥٢].

فسجد فيها وسجد من كان معه، غير أن شيخا أخذ كفّاً من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته، وقال يكفيني هذا، قال عبدالله لقد رأيته بعدُ قُتِلَ كافراً.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ:

وكان سبب سجودهم فيما قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنها كانت أول سورة نزلت فيها سجدة، وروى أصحاب الأخبار والمفسرون أن سبب ذلك ما جاء على لسان النبي ﷺ من ذكر الثناء على آلهة المشركين في سورة النجم، ولا يصح هذا في شيء من طريق النقل، ولا من طريق العقل، لأن مدح آلهة غير الله تعالى كفر ولا أن يقول النبي ﷺ ذلك من قبل نفسه مدارات لهم، ولا أن يقوله الشيطان على لسانه،إذ لا يصحّ أن يقول عليه السلام شيئا خلاف ما هُوِيَهُ فكيف في طريق القرآن وما هو كفر ولا يسلط الشيطان على ذلك،لأنه داعية إلى الشك في المعجزة، وصدق النبي وكل هذا لا يصح، قال وذكرنا تخريج التأويلات في القصة لو صح نقلها وهو لم يصح، ولا نقل فيه من طريق صحيح ولا مسند متصل[1].

جـ ـ كلامه في الرجال والجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض:

ـ عند شرحه لحديث عبدالله بن عَمْرو أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجّلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تمّ لهم أجرهم»**.

أشار القاضي عياض:

إلى قول بعضهم: إن هذا الحديث ليس بصحيح ولا يجوز أن ينقص ثوابهم بالغنيمة كما لم ينقص ثواب أهل بدر وهم أفضل المجاهدين، وهي أفضل غنيمة، قال: وزعم بعض هؤلاء أن أبا هانئ حميد بن هانئ[2] راويه

(١) إكمال المعلم كتاب المساجد باب سجود التلاوة ص: ٥٢٥/٢.

(٢) حميد بن هانئ أبو هانئ الخولاني المصري لا بأس به، من الخامسة،وهو أكبر شيخ لابن وهب ـ مات سنة ١٤٢هـ أخرج له مسلم والأربعة في سننهم، والبخاري في الأدب المفرد. (تقريب التهذيب ١٨٢ رقم: ١٥٦٢).

مجهول ورجّحوا الحديث السابق في أن المجاهد يرجع بما نال من أجر وغنيمة[1] فرجحوه على هذا الحديث لشهرته وشهرة رجاله ولأنه في الصحيحين، وهذا في مسلم خاصة. وأكد بأن قولهم أبو هانئ مجهول، فغلط فاحش بل هو ثقة مشهور روى عنه الليث بن سعد وحيوة وابن وهب، وخلائق من الأئمة، ويكفي في توثيقه احتجاج مسلم به في صحيحه.

قال القاضي: وأصح ما يجمع فيه بين الحديثين أن الأول قال فيه: «لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته»، فهذا الذي ضمن له الجنة، أو يردّ إلى بيته مع ما نال من أجر أو غنيمة. وهذا الحديث الآخر لم يشترط فيه هذا الشرط. وأما قولهم في غنيمة بدر، فليس في غنيمة بدر نصّ أنهم لو لم يغنموا لكان أجرهم على قدر أجرهم وقد غنموا فقط، وكونهم مغفور لهم مرضي عنهم ومن أهل الجنة لا يلزم أن لا تكون وراء هذا مرتبة أخرى هي أفضل منه مع أنه شديد الفضل عظيم القدر[2].

بعد هذا العرض لأهم عناصر منهج القاضي عياض في كتابه: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، يمكننا القول بأن هذا الشرح يُعدّ عمدة المتأخرين من الشراح حيث لا يكاد يخلو شرح منها من الاستشهاد والاستدلال بما قاله القاضي عياض. كما يعدّ مرجعاً مهماً من مراجع الفقه المالكي لمكانة مؤلفه بين علماء المذهب ومجتهديه.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ـ باب فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: تكفّل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهادا في سبيله وتصديق كلمته، بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة (حديث رقم ١٨٧٦ ص: ١٤٩٦/٣).

وأخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس ـ باب قول النبي ﷺ: «أحِلّت لكم الغنائم» وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: آية ٢٠] حديث رقم: ٣١٢٣ بنفس اللفظ.

(٢) إكمال المعلم كتاب الإمارة باب: قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم ص: ٣٣٠/٦، وانظر: مسلم بشرح النووي ٥٢/١٣، ٥٣.

٢ ـ تلخيص صحيح الإمام مسلم.

أ ـ مؤلفه: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي الفقيه، يعرف بابن المزين ويلقب بضياء الدين.

من أعيان فقهاء المالكية، كان من الأئمة المشهورين والعلماء المعروفين جامعاً لعدة علوم، منها علم الحديث والفقه والعربية وغير ذلك، وله على كتاب صحيح مسلم، شرح أحسن فيه وأجاد سماه المفهم، رحل أبو العباس مع أبيه من الأندلس في سنّ الصغر، فسمع كثيراً بمكة والمدينة والقدس ومصر والإسكندرية وغيرها من البلاد، وكان يشار إليه بالبلاغة والعلم والتقدم في علم الحديث والفضل التام، وأخذ عنه الناس من أهل المشرق والمغرب. مولده سنة ٥٩٨هـ وتوفي بالإسكندرية في ذي القعدة سنة ٦٢٦هـ وفي كتاب الذيل والتكملة للقاضي أبي عبدالله محمد بن عبد الملك المراكشي أنه توفي سنة ٦٥٦هـ، وهو الراجح[1].

ب ـ منهج أبي العباس القرطبي في اختصار صحيح مسلم:

لقد اختصر الإمام القرطبي صحيح مسلم بطريقة مبتكرة جعلته ينتفع به العام والخاص، وذلك لسهولة تناوله واستيعابه المادة المختصرة وتقديمها بغير إخلال بها[2]، ويمكن تلخيص طريقة الإمام القرطبي في اختصار صحيح مسلم في العناصر الآتية:

١ ـ افتتح الإمام القرطبي ملخّصه بمقدمة أفصح فيها عن السبب الباعث له على اختصار صحيح مسلم، والمنهج الذي اتبعه في ذلك فقال: «ولما تقاصرت الهمم في هذا الزمان عن بلوغ الغايات من حفظ جميع هذا الكتاب بما اشتمل عليه من الأسانيد والروايات، أشار من إشارته غنم، وطاعته حتم، إلى تقريبه إلى المتحفظ وتيسيره على المتفقه، بأن نختصر

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون ص: ٦٨.

(٢) انظر تعليق الأستاذين: د.رفعت فوزي، وأحمد محمود الخولي اللذان قاما بتحقيق الكتاب (مقدمة التحقيق ص: ٨).

أسانيده، ونحذف تكراره، وننبّه على ما تضمّنته أحاديثه بتراجم تسفر عن معناها، وتدلّ الطالب على موضوعها وفحواها ... فاقتصرت من الأسانيد على ذكر الصاحب، إلا أن تدعو الحاجة إلى ذكر غيره فأذكره لزيادة وحصول فائدة، ومن تكرار المتون على أكملها مساقاً، وأحسنها سياقاً، ملحقاً به ما في غيره من الروايات، وربما قدّمت بعض الأحاديث وأخّرت حيثما إليه اضطررت، حرصاً على ضم الشيء لمشاكله، وتقريباً له على تناوله»[1].

٢ ـ يختار من روايات الباب أتمّها وأكملها من حيث أداء المعنى، ثم يستعرض ما كان في جميع الروايات الأخرى من زيادات على الزواية المذكورة، بحيث تؤدي معنى ما أورده الإمام مسلم في الباب. مثال ذلك: «باب في أكل الدباء والقديد».

قال: عن أنس بن مالك، قال: إن خيّاطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دبّاء[2] وقديد. قال أنس: فرأيت النبي ﷺ يتتبّع الدباء من حوالي الصحفة. قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ.

ـ وفي رواية: فجعل رسول الله ﷺ يأكل من ذلك الدباء ويعجبه، قال: فلمّا رأيت ذلك جعلت ألقيه ولا أطعمه، قال أنس: فما زلت يعجبني الدباء.

ـ وفي أخرى: قال أنس: فما صنع لي طعام بعد أقدر على أن يصنع فيه دباء إلا صنع[3].

(١) تلخيص صحيح مسلم ص: ٣٤/١ ـ ٣٥ (دار السلام للطباعة والنشر ط١ ـ ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م مصر).
(٢) الدباء هو اليقطين، القرع، والواحدة: دبّاءة، (مختار الصحاح: ١٩٨).
(٣) تلخيص صحيح مسلم ـ للقرطبي ص: ٨٨٣/٢ ـ ٨٨٤ ـ كتاب آداب الأطعمة، باب في أكل الدباء والقديد، حديث رقم: ١٩.

٣ ـ درج الإمام مسلم في صحيحه على جمع الروايات المتشابهة في موضع واحد، دون تكرار، إلا في حالات معدودة[1]، فقام الإمام القرطبي بجمع تلك الأحاديث المكرّرة، ووضعها في المواضع المناسبة لها، من دون تكرار، وينبّه على مواضع ذِكرها في صحيح مسلم، والأمثلة على ذلك كثير، منها:

ـ في «باب فضل صوم ثلاثة أيام من كل شهر وسرر شعبان وصوم المحرّم وستة أيام من شوال»[2] قال الإمام القرطبي:

وقد تقدم قوله عليه السلام: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، صيام الدهر[3].

ـ وفي «باب الفتن التي تموج موج البحر، وفي ثلاث فتن لا يكدن يذرن شيئاً»[4] قال الإمام القرطبي: وقد تقدّم في كتاب الإيمان حديث حذيفة في التي تموج موج البحر[5].

٤ ـ جرّد الإمام القرطبي الروايات التي ضمّنها مختصره، من أسانيدها، واكتفى بسرد المتون مع ذكر الصحابي راوي الحديث، وقد يذكر من قبله إذا دعت الحاجة لذلك.

٥ ـ قام الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ بوضع تراجم وافية ودقيقة لكل

(١) أحصاها ونبّه عليها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لصحيح الإمام مسلم وهي حوالي مائة وسبعة وثلاثين حديثاً (١٣٧) كررت في أكثر من موضع. انظر (صحيح مسلم بتحقيقه ص: ٢١٢/٥ ـ ٢٢٢).
(٢) تلخيص صحيح مسلم ص: ٤٠٥/١ ـ كتاب الصوم.
(٣) المصدر السابق، كتاب الصوم ـ باب كراهية سرد الصوم وبيان أفضل الصوم ص: ٤٤٨/١ حديث رقم: ٧٦.
(٤) المصدر السابق ص: ١٢٧٧/٢ كتاب الفتن وأشراط الساعة.
(٥) حديث حذيفة ذكره في كتاب الإيمان ـ باب رفع الأمانة حديث رقم ١٠٦ انظر المصدر السابق ص: ٩٥/١.
ولمزيد من الأمثلة انظر: ص: ١٣٠٠/٢ ـ ١٣١٣ ـ ١٣٢٤ ـ ١٣٢٧ ـ ١٣٢٨ ـ ١٣٢٩.

كتب وأبواب تلخيصه لصحيح مسلم، تسفر عن معناها وتدل الطالب على موضوعها وفحواها، وقد نال قصب السبق في ذلك.

٦ ـ التزم الإمام القرطبي إلى حدّ ما، بترتيب صحيح مسلم، الأمر الذي يسهّل على القارئ، العودة إلى الأصل لمعرفة مزيد تفصيل عن الروايات المختلفة وأسانيدها، ولم يحد على ذلك إلا في مواضع محدودة، حيث نقل كتاب الجهاد والسير من موضعه في صحيح مسلم بعد كتاب اللقطة، فجعله بعد كتاب الحج. وقدم كتاب الأشربة على كتاب الأضاحي.

٧ ـ درج الإمام القرطبي في تلخيصه على دمج بعض الكتب التي تتناول مواضيع متقاربة، مع بعض، بحيث أصبح عدد كتب التلخيص (٤٣) بدل (٥٤) كتاباً في تقسيم الأصل. مثال ذلك:

ـ دمج كتاب اللعان في كتاب الطلاق.

ـ ودمج كتاب الحيض في كتاب الطهارة.

ـ ودمج كتابي المساجد ومواضع الصلاة، وصلاة المسافرين وقصرها في كتاب الصلاة.

ـ ودمج اللقطة في كتاب الأقضية.

ـ ودمج كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم في كتاب الفضائل.

٨ ـ يعلّق على الأحاديث المنقطعة في صحيح مسلم ويذكر من وصلها. فعند ذكره لحديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا نهض من الركعة الثانية، استفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يسكت قال الشيخ الفقيه أبو العباس:

ذكره مسلم منقطعاً. فقال: وحُدِّثْتُ عن يحيى بن حسان[1]، قلت:

(١) هو يحيى بن حسان التّنيسي، أصله من البصرة، ثقة، من التاسعة، مات سنة ٢٠٨هـ وله ٦٤ سنة، أخرج له الخمسة (التقريب ص: ٥٨٩ رقم ٧٥٢٩).

وهو أحد الأربعة عشر حديثاً المنقطعة الواقعة في كتابه، وقد وصلها أبو بكر البزار[1].

هذا وقد بذل العلماء جهوداً كثيرة في اختصار صحيح مسلم، من ذلك: المختصر الذي أعدّه الإمام عبد العظيم المنذري[2] المتوفى سنة ٦٥٦هـ إلا أن ملخّص الإمام القرطبي تميّز بأمور، نوجزها في الموازنة الآتية بين التلخيصين:

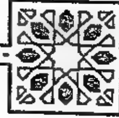
الموضوع	تلخيص صحيح مسلم للقرطبي	تلخيص صحيح مسلم للمنذري
عدد الكتب.	٤٣ كتاباً، بحيث دمج بعض الكتب التي تتناول مواضيع متقاربة مع بعض.	٦٧ كتاباً، زاد كتباً لم ترد في الأصل كعناوين من ذلك: قسّم كتاب الطهارة إلى كتابين هما: ـ كتاب الوضوء وكتاب الغسل وعقد بعد كتاب الطلاق عدة كتب لم ترد في الأصل كعناوين فقال: كتاب العدة كتاب النفقات ـ كتاب الوقف وغيرها.
عدد الأبواب.	١٠٠٨.	١٧٦٧.
عدد الأحاديث.	(٣٧٣٤) حديثاً بما في ذلك الزيادات الواردة في بعض الروايات.	٢١٧٩.

(١) انظر تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ٢٣٤ ـ ٢٣٥ كتاب الصلاة، باب، السكوت بين التكبيرة والقراءة في الركعة الأولى وما يقال فيه، حديث رقم: ١٩٢.

(٢) هو الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله بن سلامة أبو محمد المنذري الدمشقي الأصل المصري المولد والدار والوفاة. له مؤلفات كثيرة منها (الترغيب والترهيب) و(مختصر صحيح مسلم) و(مختصر سنن أبي داود) وغيرها توفي رحمه الله سنة ٦٥٦هـ وهي السنة التي توفي فيها الإمام القرطبي رحمه الله. (طبقات الحفاظ ص: ٥٠٤ رقم ١١١٠).

الموضوع	تلخيص صحيح مسلم للقرطبي	تلخيص صحيح مسلم للمنذري
طريقة التلخيص.	يختار أتمّ الروايات وأكملها من حيث أداء المعنى فيذكرها، يضيف إليها جميع ما كان في الروايات الأخرى من الزيادات ـ مع التزامه إلى حد كبير بنفس ترتيب صحيح مسلم مع حذف الأسانيد.	حذف الأسانيد، ويختار من الروايات ما يراه يغطي معنى الترجمة التي يضعها للباب دون ذكر الزيادات الواردة في الروايات الأخرى ـ مع عدم التزامه بترتيب الأصل.
تراجم الكتب والأبواب.	ترجم للكتب والأبواب بتراجم تفصح عن معناها وفحواها.	وكذلك فعل الإمام المنذري.
التنبيه على مواضع الأحاديث المكررة.	تتبّعها الإمام القرطبي ونبّه على مواضعها، دون تكرار لها.	لم ينبه عليها الإمام المنذري.





المبحث الثالث: كتاب المفهم بما أشكل من تلخيص كتاب الإمام مسلم[١]

وهو شرح لما أشكل من الكتاب الذي تناولناه في النموذج السابق لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦هـ.

وصف المخطوطة:

توجد منه صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية في مكتبة مركز البحوث الإسلامية بإسلام آباد تحت رقم عكسيات ٧٦١ ـ ٧٦٧ تاريخ نسخها يوم الاثنين الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة عام سبعة وعشرين وسبعمائة، أما اسم الناسخ فأغلبه غير واضح ما عدا كلمة... الطنجي، مما يدل على أنه مغربي من مدينة طنجة. وهو في ثلاثة أجزاء:

يبدأ الجزء الأول من كتاب الإيمان إلى آخر كتاب الصلاة وذكر المؤلف أن الجزء الثاني سيبدأ من «أوقات الصلاة» إلا أن الموجود في الجزء الثاني يبدأ من كتاب الحج إلى كتاب الأقضية. ويبدأ الجزء الثالث من كتاب الصيد إلى كتاب التفسير.

(١) هذه الدراسة أجريتها على لوحات المخطوطة المذكورة أعلاه.

الأجزاء الثلاثة مكتوبة في مجلدين:

المجلد الأول به ٢٩١ لوحة في كل لوحة صفحتان.

المجلد الثاني به ٢٩٢ لوحة.

- منهج أبي العباس القرطبي في كتابه المفهم:

١ - أوّل ما يلفت النظر في كتاب المفهم هو عدم ذكر المؤلف لمتون الأحاديث كاملة ويكتفي بذكر ما أشكل أو أبهم من عبارات الحديث بغية شرحها وتوضيحها، على اعتبار أن التلخيص والشرح متلازمان.

٢ - رغم أن عنوان الكتاب يوحي بأنه حول ما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، إلا أني وجدت المؤلف يفيض في الكلام على أغلب المواضيع، ويتوسّع في شرحها، الأمر الذي يجعل هذا الشرح من أشمل وأوسع الشروح لصحيح مسلم.

فعند شرحه لحديث عائشة رضي الله عنها: «أن أزواج رسول الله ﷺ كنّ يخرجن بالليل إذا تبرّزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله ﷺ: أحجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر، ألا قد عرفناك يا سودة، حرصا على أن يُنْزل الحجاب، قالت عائشة، فأنزل الحجاب».

وعنها قالت: «خرجت سودة بعد ما ضرب عليها الحجاب لبعض حاجتها، وكانت امرأة جسيمة، تَفْرَعُ النساء جسماً لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب. فقال: يا سودة، والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين. قالت فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عَرْقٌ، فدخلت، فقالت: يا رسول الله، إني خرجت فقال لي عمر كذا وكذا. قالت: فأوحي إليه ورُفع عنه وإنّ العرق في يده،

ما وضعه، فقال: «إنه قد أذِنَ لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ»[1].

قال المؤلف:

«قوله: كنّ يخرجن بالليل يتبرّزن، يخرجن إلى البراز بفتح الباء وهو الموضع الذي يبرّز فيه، أي يظهر، والبروز الظهور ومنه ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[2] أي ظاهرة مستوية لا يحجبها شيء، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾[3]. والمناصع، موضع خارج المدينة، وقوله: وهو صعيد أفيح، أي أرض مستوية متسعة، وذلك كناية عن خروجهن إلى الحرث إذ لم يكن لهنّ كُنُفٌ في البيوت، كانوا لا يتخذونها استقذاراً، فكانت النساء يخرجن بالليل إلى خارج البيوت ويبعدن عنها إلى هذا الموضع. ومن نصّتْ على هذا عائشة في حديث الإفك. وقول عمر - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ: أحجب نساءك مصلحة ظهرت لعمر - رضي الله عنه - فأشار بها، ولا يظنّ بالنبي ﷺ أن تلك المصلحة خفيت عليه، لكنّه كان ينتظر الوحي في ذلك، ولذلك لم يوافق عمر على ذلك حين أشار عليه به لا سيما وقد كانت عادة نساء العرب أن لا يحتجبن لكرم أخلاق رجالهم وعفاف نسائهم غالباً ولذلك قال عنترة:

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي حتّى يواري جارتي مأواها

فلمّا لم تكن هنالك ريبة، تركهم ولم ينههم استصحابا للعادة وكراهة ابتداء أمر أو نهي، فإنه كان يحبّ التخفيف على أمته»[4].

قال: وفيه من الفقه:

- الإشارة على الإمام بالرأي وإعادة ذلك إن احتاج إليه.

---

(١) تلخيص صحيح مسلم للإمام أبي العباس القرطبي ص: ٩٤٦/٢. (كتاب الأدب - باب احتجاب النساء وما يخفّف عنهنّ من ذلك).

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٧.

(٣) سورة طه، آية: ١٠٧.

(٤) المفهم بما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - لوحة - ٥٤.

- وجواز إشارة المفضول على الفاضل.

- وجواز إعراض المشار إليه، وتأخير الجواب إلى أن يتبيّن له وجه يرتضيه[1].

٣ ـ الاستنباطات الفقهية:

مما تميّز به منهج الإمام القرطبي في كتابه المفهم، اهتمامه الكبير باستنباط الأحكام الفقهية.

فقد لاحظت أن المؤلف يتوسّع في الكلام على الأحكام الفقهية عند تناوله لأحاديث الأحكام. فهو يذكر أقوال العلماء والخلافات والأدلة، ويتعرّض للمسائل من جميع نواحيها، وإذا أراد التركيز على جزئية من ذلك، يُعَنْوِنُ لذلك بقوله (تفريع). ثم يخوض في شرحها، ويتوسّع على الخصوص في بيان مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ ويسرد أدلته، كما يعرض أقوال العلماء في المسألة ومذاهبهم وأدلتهم.

- فعند شرحه لما أشكل من أحاديث باب «للإمام أن يخصّ القاتل بالسلب»[2] قال:

تفريع: لا شك في أن من كان مذهبه أن السلب للقاتل. لا يخمسّه وإنما يملكه بنفس القتل المشهود عليه.

وأما من صار إلى أن ذلك للإمام يرى فيه رأيه فاختلفوا هل يخمّس أو لا يخمّس. فقال مالك والأوزاعي ومكحول يخمّس، وقاله إسحاق إذا كثر، ونحوه عن عمر رضي الله عنه، وحكى ابن خواز منداذ عن مالك أن الإمام يخيّر في ذلك، نقله القاضي إسماعيل، ثم اختلفوا في السلب يستحقه القاتل. فذهب الأوزاعي وابن حبيب من أصحابنا إلى أنه: فرسه الذي يركبه وكل شيء كان عليه من لبوس وسلاح وآلة وحلية له ولفرسه، غير أن ابن

(١) المصدر السابق ـ لوحة ٥٥ ـ أ.

(٢) المفهم، لوحة ٢٤٢ ـ كتاب الجهاد.

حبيب قال: إن المنطقة التي فيها دنانير ودراهم، نفقة داخلة في السلب. ولم ير ذلك الأوزاعي، وقد عمل بقولهما جماعة من الصحابة، ونحوه مذهب الشافعي، غير أنه تردّد في (السراديق) والحلية وما في معناهما من غير حلية الحرب. وذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنه الفرس والسلاح، وهو معنى مذهب مالك.

وشذّ أحمد فلم ير الفرس من السلب. ووقف في السيف، وللشافعي قولان فيما وجد في عسكر العدو من أموال المقتول. هل هو من السلب أم لا والصحيح العموم فيما كان معه، تمسكاً بالعموم، والله أعلم.

٤ ـ اهتمام الإمام القرطبي بغريب الحديث:

لاحظت خلال قراءتي لكتاب المفهم، أن الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ أولى هذا الجانب حيّزاً كبيرا في شرحه، فرأيته يتتبع الألفاظ الغريبة والغامضة في الحديث، ويشرحها شرحاً لغوياً وافياً يسفر عن معناها ومدلولها في الحديث، ويستشهد في ذلك كله بآيات القرآن الكريم، وديوان الشعر القديم، وأقوال أئمة اللغة.

- فعند شرحه لحديث عبادة[1] بن الوليد[2] بن عبادة بن الصامت: قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن

(١) عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري، أبو الصامت، المدني، أخو يحيى بن الوليد، ويقال له عبدالله أيضا ـ روى عن جابر بن عبدالله وجده عبادة بن الصامت وعبدالله بن عمرو وغيرهم، قال أبو زرعة والنسائي ثقة روى له الجماعة سوى الترمذي (تهذيب الكمال ص: ٤٤٧/٩ رقم ٣٠٩٥ دار الفكر ببيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

(٢) الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري ـ أبو عبادة المدني ـ ولد في حياة النبي ﷺ روى عن أبيه عبادة بن الصامت توفي في خلافة عبد الملك بن مروان بالشام وكان ثقة قليل الحديث روى له الجماعة سوى أبي داود. (تهذيب الكمال ص: ٤٢٣/١٩ رقم: ٧٣٠٥).

يهلكوا، وكان أول من لقينا: أبا اليسر[1] صاحب رسول الله ﷺ، ومعه غلام له؛ ومعه ضِمَامة من صحف، وعلى أبي اليسر بردة ومعافري، وعلى غلامه بردة ومعافري، فقال له أبي: يا عم، إني أرى في وجهك سفعة من غضب، قال: أجل، كان لي على فلان بن فلان الحراميّ مال، فأتيت أهله فسلمت، فقلت: ثَمَّ هو؟ قالوا: لا، فخرج عليّ ابن له جفر، فقلت له: أين أبوك؟ قال: سمع صوتك فدخل أريكة أمّي، فقلت: أخرج إليّ فقد علمت أين أنت، فخرج، فقلت: ما حملك على أن اختبأت منّي؟ قال: أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك، خشيت والله ! أن أحدثك فأكذبك، وأن أعدك فأخلفك، وكنتَ صاحب رسول الله ﷺ، وكنت والله معسراً. قال: قلت: آلله! قال الله ـ قلت: آلله. قال الله. قلت آلله. قال الله. قال: فأتى بصحيفة فمحاها بيده، فقال: إن وجدت قضاء فاقضني؛ وإلا فأنت في حلٍّ، فأشهد بَصَرُ عينيَّ هاتين (ووضع إصبعه في عينيه) وسمع أُذنيَّ هاتين، ووعاه قلبي (وأشار إلى مناط قلبه)، رسول الله ﷺ وهو يقول: **«من أنظر مسلمًا أو وضع عنه، أظله الله في ظله»**[2].

قال القرطبي: بعد أن تكلّم على معناه العام، غريب هذا الحديث:

الحي: القبيل. وضمامة من صحف: هو بكسر الضاد بغير ألف. كذا وقع في كتاب مسلم، وصوابه: إضبامة وهي الإضبارة، وجمعها أضاميم، وكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فهو إضمامة.

والصحف جمع صحيفة، وهي الورقة من الكتب، وكل ما انبسط فهو صحيفة، ومنه صحيفة الطعام. والبردة[3]: الشملة المخططة، وجمعها: بُرد ـ و ـ بُرود. ومعافري: بفتح الميم، ثوب منسوب إلى معافر وهي محلة

(١) هو كعب بن عمرو بن عباد ـ أبو اليسر السلمي ـ صاحب رسول الله ﷺ شهد العقبة وبدرا وهو ابن عشرين سنة ـ مات بالمدينة سنة ٥٥هـ (تهذيب الكمال ص: ١٨٥/٢٤ رقم: ٤٩٧٨).

(٢) انظر تلخيص صحيح مسلم ـ للإمام القرطبي ص: ١٠٠١ ـ ١٠٠٢.

(٣) في الأصل: برد ـ وفي صحيح مسلم بردة بالتاء.

بالفسطاط، قاله أبو الفرج، وقيل هو رجل كان يعملها. والسفعة: تغيّر اللون بسواد مشرب بحمرة قاله الخليل. والجفر من الغلمان: الذي قوي منهم في نفسه وقوي في أكله، يقال منه استجفر الصبي إذا صار كذلك، وأصله في أولاد الغنم، فإذا أتى عليه أربعة أشهر وفُصل عن أمه وأخذ في الرعي قيل عليه جفر، والأنثى جفرة. والأريكة واحدة الأرائك وهي السرير الذي عليه كلّة وهي الحجلة[1].

ـ وعند شرحه لحديث جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه»[2].

قال المؤلف: والوسم الكي بالنار، وأصله العلامة، يقال: وَسَمَ الشيء يَسِمُهُ، إذا أعلمه بعلامة يعرف بها. ومنه السيما: العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[3].

ومعروف الرواية: الوسم بالسين المهملة، وقد رواه بعضهم بالشين المعجمة. وهو وهم، لأن الوشم إنما هو غرز الشفاه أو الأذرع بالإبرة وتسويدها بالنؤر وهو الكحل أو ما شابهه[4].

٥ ـ الصنعة الحديثية:

لم يقتصر الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في شرحه لصحيح مسلم، على الجانب الفقهي واللغوي فحسب، فقد أخذت الصنعة الحديثية مكانها من الشرح. ورغم أن المؤلف لم يذكر أسانيد الأحاديث المشروحة، إلا أنني رأيت أثناء قراءتي للمخطوطة، أنه يهتم بتصحيح ألفاظ الروايات والأسماء الواردة فيها، ويبيّن ناسخ الحديث من منسوخه. ويعلّق على الزيادات الواردة

(١) المفهم ـ (لوحة ٣٨٧ ـ أ).

(٢) انظر تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ٢/٩٢٧ ـ ٩٢٨ ـ كتاب اللباس ـ باب النهي عن وسم الوجه حديث رقم: ٥٦.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٤) المفهم (لوحة ٣٢٩).

في بعض الروايات بما يفصح عن درجتها من حيث القبول أو الرد.

أ ـ ضبط الألفاظ والأسماء:

فعند شرحه لحديث جابر، قال: رُمِي أُبي يوم الأحزاب على أكحله، قال: فكواه رسول الله ﷺ[1].

قال المؤلف: «قول جابر ـ رضي الله عنه رُمي أبي يوم الأحزاب على أكحله، صحيح هذه الرواية، بضمّ الهمزة وفتح الباء وبالتصغير، ورواها العذري والسمرقندي[2] بفتح الهمزة وكسر الباء على إضافته لياء المتكلّم، والأول هو الصحيح بدليل الرواية التي نصّ فيها على أنه أُبي بن كعب. وكان أبا جابر ـ رضي الله عنه لم يدرك يوم الأحزاب وإنما استشهد يوم أحد»[3].

ب ـ التنبيه على الناسخ والمنسوخ من الأحاديث:

عند شرحه لحديث عبدالله بن عمر «أن رسول الله ﷺ اصطنع خاتماً من ذهب وكان يجعل فصّه في باطن كفه إذا لبسه. فصنع الناس، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه فقال: «**إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من داخل**» فرمى به، ثم قال: «**والله لا ألبسه أبداً**»، فنبذ الناس خواتمهم»[4].

قال المؤلف: اصطناع النبي ﷺ خاتم الذهب ولبسه إياه، كان ذلك قبل التحريم، فهو من باب النسخ، كما يدل عليه سياق الحديث، وهو

(١) تلخيص كتاب مسلم ص: ٩٧٢/٢ كتاب الرقي والطب، باب التداوي بقطع العرق والكي والسعوط حديث رقم: ٢١.
(٢) أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن قاسم بن جعفر، له «بحر الأسانيد في صحاح المسانيد» مات في ذي القعدة سنة ٤٩١هـ (طبقات الحفاظ ص: ٤٤٩ رقم: ١٠١٢).
(٣) المفهم لوحة ٣٦٥.
(٤) تلخيص كتاب مسلم ـ كتاب اللباس ـ باب النهي عن التختم بالذهب، ص: ٩١٩/١ حديث رقم: ٢٧.

مُجمع على تحريمه للرجال، إلا ما رُوي عن أبي بكر بن عبدالرحمٰن[1] وخباب[2]، وهو خلاف شاذ مردود بالنصوص، وكل منهما لم يبلغه التحريم، والله أعلم»[3].

جـ ـ التوفيق بين الروايات المختلفة: حيث يعمد المؤلف كلما بدا أن هناك تعارض بين حديثين، إلى رفع ذلك التعارض وإزالة الإشكال:

ـ فبعد شرحه لحديثي عمر السابقين[4] قال القرطبي ـ رحمه الله: وقول عمر ـ رضي الله عنه ـ في هذا الحديث: ألا قد عرفناك يا سودة، يقتضي أن ذلك كان من عمر قبل نزول الحجاب، لأن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت فيه: حِرْصاً على أن ينزل الحجاب فنزل الحجاب.

ـ والرواية الأخرى تقتضي أن ذلك كان بعد نزول الحجاب. فالأولى أن يُحْمَلَ ذلك على أن عمر ـ رضي الله عنه ـ تكرّر منه هذا قبل نزول الحجاب وبعد. ولا بُعْدَ فيه، ويحتمل أن يُحمل ذلك على أن بعض الرواة ضمّ قصة إلى أخرى، والأول أولى، فإن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقع في قلبه نفرة عظيمة وأنفة شديدة من أن يطلع أحد على حرم النبي ﷺ حتى صرح له بقوله: أحجب نساءك فإنهن يراهن البر والفاجر، ولم يزل ذلك عنده حتى نزل الحجاب. وبعده، فإنه كان قصده ألا يخرجن

(١) أبو بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي ـ أحد الفقهاء السبعة ـ قيل اسمه محمد وقيل اسمه أبو بكر وكنيته أبو عبدالرحمن والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ـ ولد في خلافة عمر بن الخطاب ـ تابعي ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث مات سنة ٩٣هـ أو ٩٤هـ (تهذيب الكمال ١١٢/٣٣ رقم ٧٧٤٣).
(٢) خبّاب المدني ـ صاحب المقصورة ـ جدّ مسلم بن السائب بن خبّاب ـ روى عن أبي هريرة وعائشة ـ روى عنه عامر بن سعد بن أبي وقاص ـ روى له مسلم وأبو داود. (تهذيب الكمال ص: ٤٤٢/٥ رقم ١٦٥٧).
(٣) انظر المفهم ـ لوحة: ٣٢٥.
(٤) انظر الحديثين في تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ٩٤٦/٢ (كتاب الأدب ـ باب احتجاب النساء وما يخفّف عليهنّ من ذلك، حديث رقم: ٣٩).

أصلاً، فأفرط في ذلك، غير أنه مفض إلى الحرج والمشقّة والإضرار بهن، فإنهن محتاجات إلى الخروج، ولذلك قال النبي ﷺ لمّا تأذّت بذلك سودة: «قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن»[1].

هكذا أوضح الإمام القرطبي بأن لا تعارض ولا إشكال بين الروايتين.

د ـ تعليقه على بعض الزيادات الشاذة:

عند شرحه لقوله ﷺ: **«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام»**.

ـ قال القرطبي: «اختلف في استثناء المسجد الحرام هل ذلك لأن المسجد الحرام أفضل من مسجده ﷺ أو هو أن المسجد الحرام أفضل من سائر المساجد غير مسجده ﷺ فإنه أفضل المساجد كلها، وانجرّ مع هذا الخلاف الخلاف في أي البلدين أفضل مكة أو المدينة، فذهب عمر وبعض الصحابة رضي الله عنهم، ومالك وأكثر المدنين إلى تفضيل المدينة ... وذهب الكوفيون والمكيون وابن وهب وابن حبيب من أصحابنا إلى تفضيل مكة واحتجوا بما زاده قاسم بن أصبغ وغيره في هذا الحديث من رواية عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما بعد قوله: إلا المسجد الحرام، قال: وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة قال الشيخ ـ رحمه الله ـ: وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد[2]، وقال فيه: بمائة ألف صلاة، وهذه زيادة منكرة لم تشتهر عند الحفّاظ ولا خرّجه أهل الصحيح والمشهور المعلوم، الحديث من غير هذه الزيادة، فلا يُعوّل عليها وينبغي أن يجرّد النظر إلى الحديث المشهور وإلى لفظه»[3].

(١) المفهم لوحة: ٣٤٦.

(٢) عبد بن حميد بن نصر الكشي أبو محمد المعروف بالكِشّيّ، قيل: إن اسمه عبدالحميد. روى عنه مسلم والترمذي ـ ذكره ابن حبان في كتاب الثقات قال: وكان ممن جمع وصنّف مات سنة ٢٤٩هـ (تهذيب الكمال ص: ١٥٧/١٢ رقم ٤١٩٢).

(٣) المفهم ـ (لوحة ٢٣٤ ـ ب).

٦ ـ تعقّبات الإمام القرطبي للعلماء:

تتّسم تعقبات الإمام القرطبي لبعض العلماء في شروحهم؛ بالطابع العلمي المجرّد من القسوة على المخالفين، ومن التعصب المذهبي.

فقد رأيته كثيراً ما يتعقّب علماء المالكية في المسائل الخلافية ويدافع عن وجهة نظره بطريقة علمية تعتمد على وضوح الدليل وقوة الحجّة:

أ ـ تعقبه للإمام أبي عبدالله المازري:

عند شرحه لقوله ﷺ: **«لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم»**[1] وفي رواية: **«لا يقولنّ أحدكم الكرْم، فإن الكرم قلب المؤمن»**.

وإنما نهى النبي ﷺ عن تسمية العنب بالكرم لأنه لما حرّم الخمر عليهم، وكانت طباعهم تحثّهم على الكرم، كره ﷺ أن يسمى هذا المحرّم باسم يهيّج طباعهم إليه عند ذكره، فيكون ذلك كالمحرك على الوقوع في المحرّمات قاله أبو عبدالله المازري.

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ وفيه نظر لأن محلّ النهي إنما هو تسمية العنب بالكرم وليست العنب محرّمة، وإن المحرّمة الخمر، ولم يسم الخمر عنباً حتى ينهى عنه، وإنما العنب هو الذي يسمى خمراً باسم ما يؤول إليه من الخمرية، كما قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾[2].

وقول أبي عبدالله (المازري) كره رسول الله ﷺ أن يسمى هذا المحرّم باسم ما يهيّج الطباع إليه ليس بصحيح، لأن الرسول ﷺ لم ينه عن تسمية المحرم الذي هو الخمر بالعنب في هذا الحديث، بل عن تسمية العنب بالكرم فتأمله، وإنما يحمل الحديث عندي محمل قوله ﷺ ليس المسكين بالطوّاف عليكم، وليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب. أي الأحق باسم الكرم المسمى أو قلب المسمى وذلك لما حواه

(١) انظر تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ٩٥٩/٢ ـ كتاب الأدب ـ باب النهي عن تسمية العنب كرمًا حديث رقم: ٧٤.

(٢) سورة يوسف، آية رقم ٣٦.

من العلوم والفضل والأعمال الصالحات والمنافع العامة، فهو أحق باسم الكرم والكرم من العتب[1].

ب ـ تعقبه للقاضي عياض ـ رحمه الله:

عند شرحه لحديث أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه، فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فَدلّ على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملك في سورة آدمي فجعلوه بينهم. فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو له. فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة»[2].

- قال القاضي عياض: جعل الله قربه من القرية، علامة للملائكة عند اختلافهم مع عزمهم معرفة حقيقة باطنه التي اطلع الله عليها. ولو تحققوا توبته لم يختلفوا ولا احتاجوا للمقايسة.

- قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: وهذه غفلة منه عن قول ملائكة الرحمة جاءنا تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله عزّ وجلّ وهذا نصّ بأن ملائكة الرحمة علمت ما في قلبه، فلو علمت ملائكة العذاب من قلبه ما علمت ملائكة الرحمة لم يتنازعوا، لأن الملائكة كلهم لا يخفى عليهم أن التوبة إذا

(١) المفهم للقرطبي ـ لوحة (٣٥٦ ـ ٣٥٧).

(٢) انظر تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ١٢٢١/٢ ـ كتاب الرقاق ـ باب لا بأس من قبول التوبة ولو قتل مائة نفس حديث رقم: ١٥.

صحّت في القلب وعمل على مقتضاها بالجوارح بالقدر الممكن، مقبولة بفضل الله ووعده الصدق، والأحسن ما ذكرناه إن شاء الله، وإنما جعل الله تعالى قرب تلك الأرض سببًا مرجّحاً لحجة ملائكة الرحمة ومصدّقًا لصحة التوبة، وفيه دليل على أن أعمال الظاهر عنوان على الباطن[1].

٧ ـ تراجم الأبواب ومناسبتها للأحاديث:

اشتهر بين الكثير أن الإمام النووي ـ رحمه الله ـ هو الذي ترجم لأبواب صحيح مسلم، وأنه لم يسبق في ذلك، حتى قال الشيخ ـ محمد ناصر الدين الألباني: «وإنما هي من وضع النووي ـ رحمه الله تعالى ـ كما هو مشهور، وكما يدل عليه صنيعه في شرحه عليه، فإنك لا تجد في نسخة متنه أيّ باب، وإنما هي في شرحه فقط»[2].

والحقيقة أن هذه المقولة غير مسلم بها للأسباب الآتية:

١ ـ أن العديد من العلماء سبقوا الإمام في شرح صحيح مسلم، وضمنوا شروحهم تراجم للأبواب غير التي في شرح النووي.

٢ ـ كشف القاضي عياض ـ رحمه الله في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم (الذي اعتمد عليه الإمام النووي كثيراً في شرحه لصحيح مسلم) عما جاء في بعض النسخ لصحيح مسلم من ثبوت تبويب وتراجم، غابت عن كثير من الشراح الذين تناولوا النسخ غير المبوبة. ففي كتاب الحيض ـ باب التطيب بعد الغسل من الجنابة، قال القاضي عياض: ترجم البخاري على الحديث: «من بدأ بالحلاب والطيب»، قد وقع لمسلم في بعض تراجمه من بعض الروايات مثل ترجمة البخاري على هذا الحديث ونصه: «باب التطيب بعد الغسل من الجنابة»[3]، قال عقبه القاضي: «وبذلك بطل من ادعى أن

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم ـ (لوحة ٥٢٣ ـ أ).

(٢) انظر مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ص: ٩ ـ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (المكتب الإسلامي ـ ط٤ ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ـ بيروت).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض تحقيق د. يحيى إسماعيل ١٦٠/٢ دار الوفاء مصر ١٩٩٧م/ ٢٠٠٤م.

مسلماً لم يبوب كتابه»[1].

والحقيقة أن الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ المتوفى قبل الإمام النووي بعشرين عاماً، قد أحرز قصب السبق في هذا المجال، حيث انتهى من تلخيص صحيح مسلم ووضع تراجم أبوابه قبل سنة ٦٤١هـ[2].

ويدرك من أمعن النظر في التراجم التي وضعها الإمام القرطبي لأبواب صحيح مسلم أنها اختيرت بدقّة متناهية، ووضعت لتسفر عن مضمون أحاديث الأبواب وتدل الطالب على فحواها، في عبارات بسيطة خالية من الغموض إلا فيما ندر. وتزداد معاني التراجم ومناسبتها لأحاديث الباب وضوحا بالرجوع إلى الشرح.

وقد تنوّعت وتعدّدت صيَغ التراجم بحسب موضوع الباب، وما يظهر للشارح من أوجه في ذلك. ومن خلال مطالعتي للتلخيص وللشرح أمكنني رصد العديد من تلك الصيغ فيما يلي نماذج منها:

١ ـ التراجم الظاهرة:

وهي التي تدل دلالة واضحة ومطابقة لما تضمنه الباب من مسائل، وهي الأكثر، كقول القرطبي:

ـ «باب الإيمان بالله أفضل الأعمال»[3]، كأنه يقول باب ذكر الدليل على أن الإيمان بالله أفضل الأعمال.

وقوله: «باب ركوب الكبائر غير مخرج المؤمن من إيمانه»، سرد فيه الأدلة على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من دائرة الإيمان، وفيه ردّ على الخوارج الذين يكفّرون مرتكب الكبيرة.

ـ وقوله: «باب فضائل عمر بن الخطاب» أي ذكر فضائل ومناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) المرجع السابق (قسم الدراسة) ٢٤/١.

(٢) انظر تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ١٣٦٢/٢ تحقيق الدكتور ـ رفعت فوزي.

(٣) تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ٧٤/١ ـ كتاب الإيمان.

٢ ـ قد تكون الترجمة بلفظ الاستفهام كقوله:

«باب كم كان سنّ رسول الله ﷺ يوم قبض وكم أقام بمكة»؟[1].

ـ يلجأ الإمام القرطبي لمثل هذه الصيغ، عند ما لا يتجه له الجزم في الموضوع، حيث وردت في هذا الباب روايات متباينة في السنّ التي بُعث فيها الرسول الله ﷺ وكم بقي في مكة وكم كان سنّه عند وفاته ﷺ[2].

ـ أو للتنبيه على اختلاف العلماء وتباين آرائهم في الموضوع.

٣ ـ قد تكون الترجمة بمعنى المترجم له: حيث يختار العبارة المناسبة الدالة على معنى حديث أو أحاديث الباب، كقوله:

«باب ظلم دون ظلم» فهذه العبارة ليست جزءاً من أحاديث الباب وإنما اختارها للتعبير عن مضمون أحاديث الباب والتدليل على أن الظلم درجات وأن أبشعه الشرك بالله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾[3].

٤ ـ وقد تكون الترجمة بآية من القرآن ورد ذكرها في حديث الباب هي لب موضوعه كقوله:

ـ باب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[4]، وردت في حديث الرجل استمتع بامرأة ولم يمسّها فاستفتى الرسول ﷺ في ذلك فتلا عليه هذه الآية[5].

---

(١) المصدر السابق ص: ١٠٣٠/٢ كتاب النبوات.

(٢) رجح الإمام القرطبي رواية أنه ﷺ توفي وسنه ثلاث وستين سنة، قال في المفهم قوله وتوفاه الله على رأس ستين سنة، هذا أحد قولي أنس، وفي الرواية الأخرى ثلاث وستين، ووافقه على ذلك عبدالله بن عباس ومعاوية وعائشة، وهو أصح الأقوال وأصح الروايات على ما ذكره البخاري (انظر المفهم لوحة ٤٠١ ـ أ).

(٣) تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ٨٨/١ كتاب الإيمان، (والآية من سورة لقمان، رقم: ١٣).

(٤) سورة هود، آية: ١١٤.

(٥) تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ١٢٢١/٢ كتاب الرقاق حديث رقم: ١٣.

- باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[1].

- باب في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2] وردت في حديث إلحاح رسول الله ﷺ على عمّه أبي طالب أن يشهد أن لا إله إلا الله.

٥ ـ كثيراً ما تكون الترجمة تعبّر عمّا يختاره الشارح في موضوع الباب والردّ على من لا يرى ذلك كقوله:

- باب صلاة الفذ جائزة والجماعة أفضل[3]: ذكر بعدها الأحاديث الواردة في جواز صلاة الفذّ، ويردّ على الظاهرية الذين يعتبرون صلاة الجماعة واجبة.

- «باب الانصراف من الصلاة عن اليمين والشمال»[4] أي أن كلا الحالتين جائزة.

٦ ـ موافقة الإمام القرطبي للإمام البخاري في بعض التراجم:

لقد وافق الإمام القرطبي الإمام البخاري في كثير من التراجم واستحسنها وأثبتها بلفظها في كتابه، من ذلك:

- «باب كفران العشير وكفر دون كفر»، وهو نفس اللفظ الذي ترجم به الإمام البخاري للباب رقم (١٩) من كتاب الإيمان.

- «باب ظلم دون ظلم» وهي نفس عبارة الإمام البخاري التي ترجم بها للباب رقم(٢١) من كتاب الإيمان.

بعد هذا العرض لأهم صيغ تراجم تلخيصه صحيح مسلم للإمام أبي

(١) المصدر السابق ص: ١/١٩٣ كتاب الصلاة، والآية هي من [الإسراء، آية: ١١٠].
(٢) سورة القصص، آية: ٥٦.
(٣) تلخيص صحيح مسلم للقرطبي ص: ١/٥٨ ـ كتاب الإيمان.
(٤) المصدر السابق ص: ١/٢٤٩ ـ كتاب الصلاة.

العباس القرطبي يمكننا القول بأنه انتقى لكتب وأبواب تلخيصه، تراجم وافية ودقيقة أحرز بها قصب السبق في هذا المجال.

هذا وقد بذلت جهود كثيرة ـ خلال القرن السابع الهجري ـ لشرح صحيح الإمام مسلم، أشهرها شرح الإمام النووي ـ رحمه الله.

ولما كان الإمامان القرطبي والنووي متعاصرين رأيت من المناسب إجراء الموازنة التالية بين شرحيهما:

الموضوع	المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي	شرح النووي على صحيح مسلم
موضوع الكتاب.	كما يظهر من العنوان، فإن المؤلف ركّز على توضيح ما أشكل من تلخيصه لصحيح مسلم.	شرح لصحيح مسلم كاملاً.
عدد الكتب.	تمشياً مع أسلوب الاختصار، دمج القرطبي بعض الأبواب مع بعض حتى أصبح عدد الكتب هو ٤٣ كتاباً.	أضاف بعض الكتب لم تكن موجودة في الأصل كعناوين مستقلة، مثل كتاب قتل الحيّات ونحوها. وقسّم كتاب الزهد إلى كتابين: كتاب الزهد وكتاب الرقاق وبذلك أصبح عدد الكتب في شرح النووي ٥٧ كتاباً.
ذكر أقوال الشرّاح المتقدمين.	نقل عن كثير من الشراح المتقدمين لكنه لم يقتصر في أي من الأبواب على كلام أحد من العلماء.	أكثر مِنْ سَرْدِ أقوال القاضي عياض ومن سبقه من الشرّاح ـ حتى أنه في بعض الأبواب يقتصر على كلام القاضي عياض فحسب. انظر مثلاً: كتاب الصلاة باب استحباب يمين الإمام ص: ٥/٢٢١.

الموضوع	المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي	شرح النووي على صحيح مسلم
شرح أحاديث الأبواب.	مشى القرطبي في شرحه على نسق واحد من أول الكتاب إلى آخره، يشرح ما أشكل من الأحاديث من غير إطالة ولا تقصير إلا في بعض الأبواب فإنه أفاض في شرحها فمثلاً باب فضائل أبي بكر شرحه القرطبي في حوالي ١٥٥ سطر بينما شرحه النووي في ٩٠ سطر. وأقصر باب رأيته في المفهم هو باب الرخصة في لباس الحرير لعلّة حيث لم يتجاوز فيه الثلاثة أسطر.	بعض الأبواب لم يتجاوز شرحها ثلاثة أسطر أو أقل: مثل: باب فضل قراءة القرآن في الصلاة لم يتجاوز فيه ٣ أسطر (ص: ٨٩/٦) وكذلك باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية (ص: ١٦٥/٤). وبعض الأبواب لم يذكر فيها الشارح شيئاً، وأحال القارئ على باب آخر (انظر مثلاً باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا نابهما شيء في الصلاة ١٤٨/٤).
تراجم الأبواب.	مختصرة ودقيقة في مجملها تمشياً مع أسلوبه في اختصار صحيح مسلم، فمثلاً (باب النهي عن العَوْدِ في الصدقة) وترجم الإمام النووي لنفس الباب بقوله: (باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة إلا ما وهبه لولده وإن سفل).	وافية يغلب على بعضها الطول.
دراسة الأسانيد.	لم يتطرق القرطبي إلى دراسة الأسانيد. إلا في حالات نادرة وذلك لأن كتابه المفهم هو شرح لتلخيص صحيح مسلم الذي جرّده من الأسانيد.	تميّز شرح النووي على شرح القرطبي بدراسة أسانيد الأحاديث والكلام على رجالها.

الفصل الثالث

جهود محدّثي الأندلس في شرح كتب السنة الأخرى

المبحث الأول: كتاب الإمعان في شرح النسائي لأبي الحسن (ابن النعمة).

المبحث الثاني: عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي لابن العربي.



المبحث الأول:
كتاب الإمعان في شرح النسائي
لأبي الحسن (ابن النعمة)

يبدو أن اهتمام محدّثي الأندلس انصبّ بشكل رئيسي على دراسة وشرح موطأ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ، وتحقيق سماعاته والتعريف برجاله.

بعده اعتنى الأندلسيون بشرح الصحيحين للبخاري ومسلم، لما لقياه من القبول لدى علماء الأمة.

ولم تحظ كتب السنة الأخرى بنفس الاهتمام التي حظي به الموطأ والصحيحان، خاصة سنن أبي داود وابن ماجة التي لم تشر كتب التاريخ والتراجم لمن شرحهما من الأندلسيين.

أما سنن النسائي فقد ذكر الضبي في بغيته أن:

علي بن عبدالله بن خلف بن النعمة يكنى أبا الحسن الفقيه الحافظ المحدّث، شرح كتاب النسائي في عشرة أسفار شرحا لم يتقدمه أحد إليه، وتوفي ابن النعمة في حدود السبعين وخمسمائة(١).

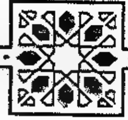
(١) بغية الملتمس للضبي ص: ٤١١ رقم ١٢٢٤.

وذكر صاحب نيل الابتهاج أن الكتاب المذكور هو: «الإمعان في شرح سنن النسائي أبي عبد الرحمٰن» لم يتقدمه لمثله بلغ فيه الغاية احتفالاً وإكثاراً(١)، وأنه توفي ببلنسية سنة ٥٦٧هـ.

والكتاب المطبوع من الشروح الأندلسية للسنن والمتوفر بين أيدينا هو كتاب ابن العربي «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي»، الذي سنتعرف على مؤلفه ومنهجه فيه.



(١) نيل الابتهاج لبابا التنبكتي ص: ١٩٩ ـ ٢٠٠.



المبحث الثاني: عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي لابن العربي

١ ـ **مؤلفه**: هو العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد الإشبيلي. ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة. رحل إلى المشرق وسمع من طرّاد الزينبي، ونصر بن البطر، ونصر المقدسي، وتخرج بأبي حامد الغزالي، وأبي بكر الشاشي، وأبي زكريا التبريزي، وجمع وصنّف، وبرع في الأدب والبلاغة، وَبَعُدَ صيته، وكان متبحّراً في العلم، ثاقب الذهن، كريم الشمائل، ولي قضاء إشبيلية فكان ذا شدّة وسطوة، ثم عزل فأقبل على التأليف ونشر العلم، وبلغ رتبة الاجتهاد. وصنّف في غير فنّ تصانيف مليحة كثيرة حسنة مفيدة منها: أحكام القرآن، وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب القبس على موطأ مالك بن أنس، وعارضة الأحوذي على كتاب الترمذي، وكتاب العواصم من القواصم، والمحصول في أصول الفقه، وغيرها من التآليف.

وتوفي ـ رحمه الله ـ في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة[1].

٢ ـ التعريف بالكتاب:

قال ابن خلكان: أما معنى عارضة الأحوذي، فالعارضة القدرة على

(١) الديباج المذهب ص: ٢٨١. وطبقات الحفاظ للسيوطي ص: ٤٦٨ رقم ١٠٤٦. وبغية الملتمس للضبي ص: ٨٢ رقم ١٧٩.

الكلام، يقال فلان شديد العارضة، إذا كان ذا قدرة على الكلام. والأحوذي: الخفيف في الشيء لحذقه، وقال الأصمعي: الأحوذي المشمّر في الأمور، القاهر لها، الذي لا يشذّ عليه منها شيء وهو بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وفي آخره ياء مشدّدة[1].

وهو شرح لسنن الإمام الترمذي (جامع الترمذي).

وقد استهل ابن العربي ـ رحمه الله ـ كتابه بمقدمة عدّد فيها مزايا سنن الترمذي وبيّن العلوم التي حواها، ثم أوضح على سبيل الاختصار منهجه في الشرح قال: «ونحن سنورد فيه ـ إن شاء الله ـ بحسب العارضة: قولاً في الإسناد والرجال والغريب وفنّاً من النحو والتوحيد والأحكام والآداب، ونكتاً من الحكم وإشارات إلى المصالح»[2].

بعد ذلك ذكر سنده لسنن الترمذي قال:

«كنت قرأت هذا الكتاب على أبي طاهر البغدادي[3] بدار الخلافة، وعلى أبي الحسين القطيعي[4] كلاهما عن ابن زوج الحرة، إلا أنّي رأيت أبا الحسين أحلى في القلب والعين فعكفت عليه، قال أخبرنا أبو يعلى أحمد بن عبد الواحد: أخبرنا أبو علي شيخي، أخبرنا ابن محبوب عنه، وقيّدته من غير هذه الطرق، قال أبو عيسى»[5].

(١) انظر عارضة الأحوذي ص: ٥/١ (دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط١ /١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
(٢) المصدر السابق ص: ٦/١.
(٣) هو الحافظ أبو طاهر السّلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني كان حافظاً ناقداً ثبتاً ديّناً، روى عنه الحفّاظ في حياته ـ توفي سنة ٥٧٦هـ وله ١٠٦ سنين. (طبقات الحفاظ ص: ٤٦٩ رقم ١٠٤٧) و(ميزان الاعتدال ١٥٥/١ رقم ٦١٠).
(٤) أبو الحسين المبارك بن عبدالجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي المعروف بابن الطيوري (مرت ترجمته).
(٥) عارضة الأحوذي المقدمة ص: ٦/١. وقد ترجمت لرجال هذا السند عند ذكر طرق رواية جامع الترمذي.

٣ ـ منهج الحافظ ابن العربي في كتابه عارضة الأحوذي في شرح الترمذي:

١ ـ معروف أن الإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ رتّب كتابه الجامع على النحو التالي: يعنون أولا لمجموعة أبواب الموضوع بقوله: أبواب السفر مثلا، ثم يذكر الأبواب مفصلة كل باب على حدة.

أما ابن العربي ـ رحمه الله ـ فقد قسّم كتابه (العارضة) إلى: كتب وكل كتاب إلى أبواب.

٢ ـ يبدأ بذكر أحاديث أو حديث الباب، بسنده ومتنه الذي في الأصل.

٣ ـ يذكر الطرق الأخرى لحديث أو أحاديث الباب ويعزوها إلى مصادرها، منبّها على الزيادات الواردة فيها، ويردّ على الضعيفة منها بالصحيح من السنة.

٤ ـ عند استدلاله بالأحاديث، غالبا ما يكتفي في السند بذكر الصحابي كقوله مثلا «وفي مسلم عن ابن عمر صحبت رسول الله ﷺ في السفر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله»[(١)].

وأحياناً يذكر السند كاملاً.

٥ ـ يشرح الألفاظ الغريبة الواردة في أحاديث الباب، ويشكّلها. مستندا في ذلك إلى أقوال أئمة اللغة.

٦ ـ يذكر الأحكام المستنبطة من كل حديث ويشرحها واحدة واحدة مستدلا في ذلك بالأحاديث والآثار، ويورد أقوال الصحابة، والتابعين وفقهاء الأمصار، في المسائل المختلفة، لا يراعي في ذلك ترتيبا محدداً، غير أنه يتوسع في ذكر أقوال فقهاء المالكية كابن القاسم وأشهب وغيرهما.

ويرجّح ما يراه صواباً ولو كان مخالفاً لرأي المالكية.

---

(١) نفس المصدر السابق ص: ١٦/٣.

٧ ـ تحت عنوان (التوحيد) يورد كل ما يتعلق بالعقيدة من مسائل فيشرحها ويوضح غامضها.

٨ ـ استدرك ابن العربي على الإمام الترمذي بعض الأبواب مثل: باب ما يكون الرجل به مسافراً، قال ابن العربي: هذا باب لم يذكره أبو عيسى، وقد جهله قوم وعلمه آخرون[(١)].

٩ ـ من أهم مصادر ابن العربي في العارضة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، وسنن الدارقطني، كما أنه يحيل كثيراً على كتبه: مثل: القبس، والنيرين وأحكام القرآن وغيرها.

بعد هذا العرض لأهم عناصر منهج الحافظ ابن العربي في كتابه عارضة الأحوذي بشرح الترمذي، وحتى يتضح أسلوبه في الشرح نورد المثال التوضيحي الآتي:

ففي كتاب الطهارة ـ باب ما جاء: لا تقبل صلاة بغير طهور ـ: عن سماك[(٢)] عن مصعب بن سعد[(٣)] عن ابن عمر[(٤)] عن النبي ﷺ قال: «**لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول**».

وفي باب ما جاء في فضل الطهور: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء أو نحو**

---

(١) عارضة الأحوذي في شرح الترمذي ص: ٢٢/٣.

(٢) سِمَاك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البَكري، الكوفي، أبو المغيرة صدوق ـ روايته عن عكرمة مضطربة، تغيّر بأخرة مات سنة ١٢٣هـ (التهذيب ص: ٢٥٥ رقم ٢٦٢٤ ـ ميزان الاعتدال ص: ٢٣٢/٢ رقم ٣٥٤٨).

(٣) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري أبو زرارة المدني ـ ثقة مات سنة ١٠٣هـ (التقريب ص: ٥٣٣ رقم: ٦٦٨٨).

(٤) عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبدالرحمٰن، ولد بعد المبعث بيسير وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر مات سنة ثلاث وسبعين. (التقريب ص: ٣١٥ رقم ٣٤٩٠).

هذا، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب».

قال ابن العربي:

مصعب بن سعد عن ابن عمر عن النبي ﷺ: **«لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»** أصح شيء في هذا الباب.

ـ (إسناده): قال القاضي أبو بكر بن العربي: أخرج مسلم هذا الحديث بسنده بلفظه وزاد فيه دخل عبدالله بن عمر على ابن عامر يعوده وهو مريض، فقال: ألا تدعو لي يا ابن عمر، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول، وكنت على البصرة»**.

ورواه الفريابي فقال: دخلت على عبدالله بن عامر وعنده قوم يدعون له بالعافية فقال لي: أبا عبدالرحمن ما لك لا تدعو؟ فقال: إني من أودهم لك وأحرصهم على صلاحك وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يقبل الله صلاة من غير طهور ولا صدقة من غلول، وكنتَ على البصرة، ولا أراك إلا قد أصبت منها شرّا»**.

ـ (غريبه): القبول في ألسنة السلف: الرضاء، قبلت الشيء رضيته وأردته والتزمت العرض عنه.

فقبول الله العمل هو رضاه به وثوابه عليه.

الطهور بفتح الطاء وبضمّها، فبالفتح عبارة عن الماء وبالضمّ عبارة عن الفعل، وجعل بفتح الطاء عبارة عن آلات الفعل: كالسحور، والوضوء، والدلوك، وقد قيل أنهما بمعنى واحد.

والغلول الخيانة خفية، فالصدقة من مال حرام في عدم القبول واستحقاق العقاب، كالصلاة بغير طهور في ذلك.

ـ (أحكامه): فيه خمسة مسائل:

الأولى: فيه اشتراط الطهارة في صحة الصلاة، وهي من شرائط الأداء، لا من شرائط الوجوب بإجماع الأمة. وفي الصحيح عن همام بن منبّه عن أبي هريرة وهي صحيفة صحيحة عالية مجموعة قال النبي ﷺ: **«لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»**.

الثانية: قوله: لا يقبل الله صلاة بغير طهور، عموم، فيمن أحدث ومن لم يحدث، فخص هذا الحديث الثاني، من ذلك العموم بوجوب الطهارة لمن أحدث بعد الوضوء، واستحبابه لمن صلى بدليل بديع ليس من شرط العارضة.

الثالثة: العاجز عن استعمال الطهارة لمرض أو عدو أو سبع أو عدم قدرة، لا يمكنه تطهير بماء أو تراب، مختلف فيه على ستة أقوال:

١ ـ قال مالك وابن نافع: لا صلاة ولا قضاء.

٢ ـ قال ابن القاسم يصلي ويقضي.

٣ ـ يصلي ولا يعيد قاله أشهب والشافعي.

٤ ـ يصلي إذا قدر، قاله أصبغ.

٥ ـ يصلي ويعيد.

٦ ـ يومئ إلى التيمم أشار إليه أبو الحسن بن القابسي.

الأظهر قول أشهب لأن الطهارة شرط أداء لا شرط وجوب، فعدمها لا يمنع من فعلها كسائر شروطها من ستر وطهارة ثوب واستقبال قبلة.

الرابعة: إذا أسلم الكافر، فلم يكن بعد إسلامه موجب للطهارة من جنابة ولا حدث، هل يغتسل أم لا؟ ......قال الشافعي والقاضي أبو إسحاق: يغتسل استحبابا، وقال مالك وابن القاسم وأحمد وأبو ثور: الغسل واجب، وهو الصحيح لقوله: لا يقبل الله صلاة بغير طهور، وقد أجمعت الأمة على وجوب الوضوء، فالغسل مثله. دليل بدليل واعتراض باعتراض وجواب بجواب.

الخامسة: في قول ابن عمر لعبدالله بن عامر، وقد سأله الدعاء، لا يقبل الله صلاة بغير طهور، يدل على أن الوضوء للدعاء مشروع، وكذلك في الحديث الصحيح أن أبا موسى الأشعري سأل النبي ﷺ أن يستغفر لأبي عامر الأشعري قال: فدخلت على النبي ﷺ وأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقوله: قل له استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه، اللهم اغفر لعبدالله بن عامر، ورأيت بياض إبطيه، وقد كان النبي ﷺ لا يردّ السلام إلا على وضوء، قوله: وكنتَ على البصرة، يريد أنه أصاب سرّ الولاية في التقصير عن النظر للمسلمين والإساءة إليهم، ولا ينتفع بالدعاء من كان على هذه الصفة عنده، والصحيح أن العاصي ينتفع بالدعاء ولذلك يدعى للميت وإن كان عاصياً.

(التوحيد): فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله خرجت الخطايا يعني غُفِرَتْ، لأن الخطايا هي أفعال وأعراض لا تبقى فكيف توصف بدخول أو خروج، ولكن الباري لما أوقف المغفرة على الطهارة الكاملة في العضو، ضرب لذلك مثلاً الخروج، ولأن الطهارة حكم ثابت استقر له الدخول.

الثانية: الخطايا المحكوم بمغفرتها هي الصغائر دون الكبائر لقوله ﷺ: **«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهنّ ما اجتنبت الكبائر»**. فإذا كانت الصلاة مقرونة بالوضوء لا تكفّر الكبائر، فانفراد الوضوء بالتقصير عن ذلك أحرى.

الثالثة: أن هذا التكفير إنما هو للذنوب المتعلقة بحقوق الله سبحانه فأما المتعلقة بحقوق الآدميين، فإنما يقع النظر فيها بالمقاصّة مع الحسنات والسيئات كما بيناه في كتب الأصول[1].

الرابعة: في تفسير الخطايا: أما خطايا العين فهي النظر إلى ما لا يحلّ

(١) كتاب المحصول في أصول الفقه لابن العربي.

قصداً إليه وخطايا اليد اللمس لما لا يجوز وخطايا الرجل المشي فيما لا ينبغي وخطايا الفم المراودة على الفاحشة والمواعدة في المعصية، وخطايا الأنف شمّ ما لا يحل كطيب مغصوب أو على امرأة أجنبية، فإن شمّ الطيب المغصوب صغيرة، وإتلافه بالاستعمال كبيرة.

وباب العلم بالصغائر والكبائر مكتوب في الأصول.

الخامسة: لو وقعت الطهارة باطنا بتطهير القلب عن أوضار المعاصي، وظاهرا باستعمال الماء على الجوارح بشرط الشرع واقترنت به صلاة جرّد فيها القلب عن علائق الدنيا وطردت الخواطر واجتمع الفكر على أجزاء العبادة كما انعقد عليه إحرامها واستمرت الحال كذلك حتى خرج بالتسليم عنها فإن الكبائر تغفر وجملة المعاصي والحالة هذه تكفّر، وكذلك كان وضوء جماعة السلف منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وروى عنه أنه كان إذا توضأ امتنع، فيقال له في ذلك فيقول: تعلمون من أُناجي، وهذه العبادة هي المخبر عنها بقوله: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»، وقد بيّناه في القسم الرابع من تفسير القرآن.

السادسة: جعل العين مخرجاً لخطايا الوجه دون الفم والأنف لمعنيين، أحدهما أن الفم والأنف قد يكون منه كبيرة كالكذب والنميمة، وشم الطيب حتى يمني، والعين لا يكون منها كبيرة، الثاني: أن الفم والأنف لهما طهور في الوجه ينفردان به مختصا بفائدتها، وليس في العين طهور ولا يلزم ذلك في الأذنين مع الرأس، حتى جعلهما مخرجاً لخطايا الرأس، مع أنهما يختصان بطهور دونه عندنا لأجل أن الفم والأنف مقدمان في الطهارة على غسل الوجه، فلم يكن لهما حكم التبع، والأذنان بعد الرأس فكان لهما حكم التبع.

السابعة: في حديث مالك أن خطايا الفم تخرج مع المضمضة كما أن خطايا الأنف تخرج مع الاستنثار، كما أن خطايا العين تخرجن من غسل الوجه، وكل عضو يختص تكفيره بطهارته[1].

(١) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ص: ١/٧ ـ ١٢.

بعد استنباطه للأحكام وشرح الغريب وتوضيح مسائل العقيدة قال ابن العربي:

أما قوله: «حسن» فإن بعض أهل العلم قال: الحسن ما عرف مخرجه واشتهر رجاله كحديث البصريين عن قتادة، والكوفيين عن أبي إسحاق السبيعي، والمدنيين عن أشهب، والمكيين عن عطاء، وعليه مدار الحديث[(١)]، وقد أكثر منه أبو داود وأبو عيسى، وقال أبو عيسى في آخر كتابه: أردت بقولي حسن، ما لا يكون في سنده متهم بالكذب ولا يكون شاذاً، ويروى من غير وجه ـ وأما قوله غريب: فمعناه أنه لا يروى إلا من طريق واحد. وقد روي من طرق، فيستغرب إذا جاء من طريق منفردة غيرها[(٢)].

بعد هذا العرض لأهم عناصر منهج القاضي أبي بكر بن العربي في شرحه لجامع الترمذي، يمكننا القول بأن هذا الشرح امتاز بتعمّق المؤلف في توضيح وبيان المسائل واستنباط الأحكام. وهو مع حسن ترتيبه اشتمل على فوائد غزيرة في الحديث والفقه والأصول واللغة. والحق أن ابن العربي أحسن في عارضته وأبدع، حتى طار صيته كل مطار، وصارت شاهداً له على إمامته في الفقه والحديث، ودليلاً على أن المغاربة لم تقتصر جهودهم على خدمة الموطأ وصحيح مسلم فحسب. وأنهم صالوا وجالوا في كتب السنة شرحاً لمتونها وبياناً لأحكامها وتوضيحاً لغريبها وتعريفاً برجالها.

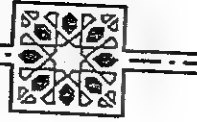
هذا وقد قام علماء الأندلس بتأليف ضروباً كثيرة من الكتب في تراجم الرجال وتاريخهم، خدمة للسنة المطهرة، ومساهمة في تصفية الدخيل عنها، فعرفوا بالرواة وكشفوا عن تفاصيل حياتهم، وبينوا درجاتهم جرحاً وتعديلاً، كي يستبين القوى من الضعيف والصادق من الكاذب، فتنوعت تصانيفهم في

(١) قاله الإمام الخطابي في معالم السنن ص: ١/١١ (مطبعة أنصار السنة المحمدية ـ مصر ـ ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م).

(٢) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ص: ١/١٤.

هذا المجال. فمنها الخاص بالصحابة وأخرى في رجال كتب مخصوصة أو بلدان معينة. ومنها كتب مخصصة لمعرفة الكنى والألقاب وغير ذلك من المصنفات التي ستتكلم عليها في الباب القادم إن شاء الله.





فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

